

كليلة ودمنة



دار الشروق







أَكْمَلُ الشُّخْ وَأَصَحُّهَا وَأَقْدَمُهَا

جميع الحقوق محفوظة للناشرين

دار الشُّرُوق

بيروت : ص.ب. ٨٠٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٣١٥١٠١
بغداد : دار الشُّرُوق - تلوكبري ٢٠١٧٥ - بيروت

الشركة الوطنية للنشر والتوزيع

٣ شارع زبيروت يوسف - الجزائر

الطبعة الثانية

١٩٨١ م - ١٤٠١ هـ

كَلِيلَةُ وَدَمْنَةُ

لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُقَفَّعِ

طبعة جديده منقحة

للسخة التي حققها وقدم لها

الدكتور عبد الوهاب عزام

• تصدير • الدكتور أحمد طالبا إبراهيمي

• عبد الرحمن ماضي

عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر

الإشراف العام

• محمد المعلم

عن دار الشروق

• اللوحات • سوزانة قريتز

الفلاف وتصميم ملغزل الأبواب

الإخراج والإشراف الفني

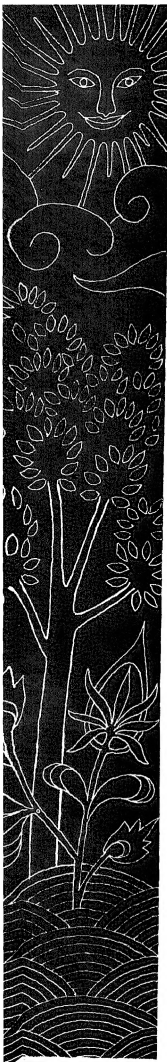
عبد السلام الشريف

• أشرف التفيذ • المهندس إبراهيم المعلم

• الناشران •

دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة • بيروت

الشركة الوطنية للنشر والتوزيع • الجزائر





طبع الكتاب في
مطابع الشروق • بيروت

تصدير بقلم :

الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي

يسرني أن أقدم لقراء العربية هذه الطبعة الجديدة من كتاب كليلة ودمنة الذي نقله عن الفارسية عبد الله بن المقفع .
ولسائل أن يسأل : لماذا اخترنا كتاب كليلة ودمنة من بين كل الكتب وأعطيناه هذا الاهتمام ، وطبعناه هذه الطبعة الفاخرة المزينة بالرسوم التي تصور بعض أحداث القصص المروية ؟

لقد دفعنا إلى اختيار هذا الكتاب عدة عوامل :
أولها : أن تلعب الجزائر المستقلة دورها في إحياء التراث العربي الإسلامي وتشارك بذلك أشقاءها في البلدان العربية ، وكتاب كليلة ودمنة من أحسن الكتب التي تمثل هذا التراث ، فهو أثر فني رفيع جمع بين الأدب والأخلاق والسياسة والحكمة والتربية .
ورغم أن الكتاب عريق في القدم فما زالت الحاجة إليه تتجدد لانفاق العامة والخاصة على تقديره ، والانتفاع به ، وما أحوج أجيالنا وناشئتنا لمثل هذا الكتاب وتدبر ما فيه .

وثانيها : إن الفترة التي عاشها ابن المقفع تشبه هذه الفترة التي نعيشها اليوم ، فقد كانت الثقافة العربية الفتية آنذاك تهضم كل ما في الثقافات الأخرى ، وحيث نشطت حركة الترجمة إلى العربية من علوم الهند والفرس والاعريق وغيرها ، وجاء اختيارنا لهذا الكتاب باعتباره من أوائل الكتب المترجمة إلى العربية ، هذه الترجمة الراقية التي تدل على براعة ابن المقفع ، وقد ذكر العلامة محمد كرد علي في كتابه «كنوز الأجداد» ما نصه :
«لم يعرف لمقدم ولا متأخر أن نقل إلى اللسان العربي شيئاً في الأدب والعلم لا تحس فيه أثر اللغة المنقول عنها إلا ابن المقفع» .

وقد ترجم الكتاب إلى أكثر من عشرين لغة ، أخذ معظمها عن الترجمة العربية ، كما أن كثيراً من الأساطير والحكايات التي نراها في الآداب العالمية مستوحى من كتاب كلية ودمنة .

والعامل الثالث في اختيارنا لهذا الكتاب أن لغته تعتبر آية في البلاغة العربية التي توصف بالسهل الممتنع ، فأسلوبه سهل ولغته مبسطة ، وبما أن الجزائر تخوض اليوم معركة التعريب فإن هذا الكتاب يعتبر من أهم الوسائل المساعدة على ذلك . وأسلوبه ولغته ، مما يشجع شبابنا على المطالعة ويساعده على تكوين ملكة الكتابة . بالإضافة إلى المعاني السامية التي يحتوي عليها والدروس والعبر التي يضمنها ، والتي لا يستغني عنها الكبار ولا الصغار .

طبعة

الجزائر في 28 ذي الحجة 1392

الوافق 1 فبراير 1973



مقدمة

الدكتور عبد الوهاب عزام

القسم الأول :

طبقات الكتاب وأصولها

1 - لماذا نعى بهذا الكتاب

كأنني ببعض من يطلعون على هذه الطبعة لكتاب « كليله ودمنة » أو يسمعون بها يقولون : ما لهذا الكتاب يُعنى به ، ويُبدل في تصحيحه وتوضيحه ومقابلة نسخه وبيان تاريخه هذا الجهد العظيم ، وتنفق على نشره هذه الأموال الكثيرة ، وهو كتاب تكرر طبعه في الشرق والغرب ، وتوالت طبعاته في مصر منذ عهد محمد علي باشا إلى اليوم ، واتخذته وزارة المعارف كتاباً مدرسياً فلا تجد في مصر عالماً أو متعلماً إلا اطلع عليه وقرأه كله أو بعضه ؟ وإني أعجل الجواب لهؤلاء فأقول :

قليل من الكتب نال من إقبال الناس وعنايتهم ما نال هذا الكتاب ؛ فقد تنافست الأمم في ادخاره منذ كُتِب ، وحرصت كل أمة أن تنقله إلى لغتها . فليس في لغات العالم ذات الآداب لغة إلا تُرجم هذا الكتاب إليها . وبحق عُتيت الأمم بهذا الكتاب العجيب الذي يحوي من الحكم والآداب وضروب السياسة وأفانين القصص ما يملأ القارئ عيرة وإعجاباً وسروراً .

والأهم العربية أولى أن تُعنى بهذا الكتاب في لغتها ، وأجدر أن تهتم بتاريخه وتوضيحه وتقده لأسباب عدة : أولاً أن النسخة العربية أصل لكل ما في اللغات الأخرى - حاشا الترجمة السريانية الأولى - فقد فقد الأصل الفهلوي الذي أخذت عنه الترجمة العربية . وفقد بعض الأصل الهندي الذي أخذت عنه الترجمة الفهلوية ، واضطرب بعضه . فصارت النسخة العربية أمراً يرجع إليها من يريد إحداث ترجمة أو تصحيح ترجمة قديمة ؛ بل يرجع إليها من يريد جمع الأصل الهندي وتصحيحه .

والثاني من الأسباب أنَّ هذا الكتاب كُتب باللغة العربية في منتصف القرن الثاني من الهجرة. فهو من أقدم ما بين أيدينا من كتب النثر العربي، وأسلوبه مثال من أقدم أساليب الإنشاء في لغتنا؛ وهو لذلك جدير بعناية مؤرخي الأدب العربي.

والثالث أنَّ هذا الكتاب نُقل من الفارسية إلى لغتنا. ولؤرخي الآداب كلام كثير في تأثير الأدب الفارسي في الأدب العربي في تلك العصور. والترجمة من أقوى الوسائل لتأثير أدب في آخر. فدراسة هذا الكتاب تُبين صلة ما بين الفارسية والعربية في القرن الثاني، وتبين أنَّ الأساليب العربية أخذت من الأساليب الفارسية أو لم تأخذ.

والرابع من دواعي العناية بهذا الكتاب أنَّ عندنا منه نسخاً مختلفة لا تتفق اثنان منها اتفاقاً تاماً، ويعظم الخلاف بين بعضها بالزيادة والنقص في بعض الأبواب وبعض القصص والأمثال، وبالإطناب والإيجاز واختلاف الألفاظ في الموضوع الواحد حتى يعجب القارئ الذي يقبس نسخاً من الكتاب بأخرى، ويغلب على ظنه أنَّ الكتاب ترجم إلى العربية أكثر من مرة وسيأتي بيان هذا.

وقد عثر الأستاذ هرتيل (Johannes Hertel) على كتاب «بَنَجَ تَنَرَا» الهندي وهو أصل من أصول «كليلة ودمنة». ودعا بعضُ المستشرقين إلى تحري النص الصحيح العربي ليستعان به على تصحيح الأصل الهندي.

وعني الأستاذ برسيد (James H. Brestead) رئيس المعهد الشرقي في جامعة شيكاغو بدراسة النصوص العربية لكتاب «كليلة ودمنة». وكتب الأستاذ سبرنجلين (Sprengling) من أساتذة هذه الجامعة مقالاً مفصلاً في الجريدة الأمريكية للغات والآداب السامية (The American Journal of Semitic Languages and Literatures) عدد يناير سنة ١٩٢٤ (1924) بين فيه عناية هذه الجامعة بتصحيح النص العربي للكتاب، وعَدَّ المخطوطات الكثيرة التي جمعت من أرجاء العالم لهذا المقصد، ودعا الأدباء في الشرق والغرب إلى إمداده بما عندهم من نصوص وآراء لهذا العمل.

2 - طبعات الكتاب

فإن كان الكتاب لهذه الأسباب جديراً بعناية أدباء العربية، فميناً بأن يطبع مستوفياً حقه من التصحيح والنقد، فهل طبع الكتاب مرة على هذه الشاكلة؟ ليس في طبعات الكتاب التي ظهرت في أوروبا والبلاد العربية وبلاد الشرق الإسلامي طبعة واحدة جديرة بثقة القارئ الناقد، صالحة أن يعتمد عليها مؤرخ لهذا الكتاب أو مؤرخ للأدب العربي. وبرهان هذه الدعوى فيما يلي:

١ - طبعة دي ساسي

طبع الكتاب لأول مرة في باريس سنة ١٨١٦ م 1816، طبعه المستشرق الكبير سلفستر دي ساسي (Sylvestre de Sacy). ويتبين من المقدمة التي كتبها الناشر أنه رأى كثرة الاختلاف بين النسخ التي وجدها في باريس فاختار أقدمها في رأيه، وصَحَّحها ونَقَّحها من نسخ أخرى. وكانت النسخة التي اختارها في حاجة إلى التكميل والتصحيح والتفتيح، فيها نقص تداركه بعض القراء بخط حديث، وفيها مواضع ذهب بها إلى، وكلمات محيت فوضعت موضعها أخرى. فالكتاب الذي نشره دي ساسي لا يقدم للناقد نسخة واحدة تصلح للنقد والمقايسة، ولكن نسخة

ملفقة. ولهذا لم يبق بها المستشرقون الذين عنوا بالموضوع أمثال فلكنر (Falconer) وجويدي (Guidi) ورايت (Wright) وزنتبرج (Zotenberg). وشاركهم الأب شيخو في رأيهم. يقول نلدكه (Noldeke): «يمكن أن يقال إن اختيار أي مخطوط رديء للطبع كان أجدى على النقد» (Kalilah and Dimnah by Falconer) ص (XVII). وقد وجد نلدكه أن النسخة التي كانت أقل النسخ حظا من عناية دي ساسي هي أقرب النصوص إلى النسخة السريانية القديمة.

ب - الطباعات المصرية

وكل الطباعات التي طبعت في مصر كانت تكراراً لهذه الطبعة؛ فالطبعتان اللتان أخرجهما مطبعة بولاق سنة ١٢٤٩ (1249) وسنة ١٢٥١ هـ (1251) في عهد محمد علي باشا، صورتان من طبعة دي ساسي إلا كلمات قليلة. يقول مصصح الكتاب في المقدمة:

«فصادف سعده (أي محمد علي باشا) المقترن من الله بالمنة، وجود نسخة مطبوعة بالعربي في غير بلاد العرب من كتاب كليله ودمنة. وهي التي ترجمها عبد الله بن المقفع الكاتب المشهور في أيام أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور. وكانت ترجمتها من اللغة الفهلوية إلى اللغة العربية. واتفق الناس على صحة تلك النسخة لشهرة مصححها بالألمعية. وهنا ينقل المصحح فقرات من مقدمة دي ساسي تبين طريقة هذا المستشرق في تصحيح الكتاب).

«ثم إن تلك النسخة المطبوعة عرضت هي وغيرها على شيخ مشايخ الإسلام وقُدوة عُمد الأنام مولانا الشيخ حسن العطار، أدام الله عموم فضله ما دام الليل والنهار. فقال: يصح ألا يوجد لها في الصحة مثال، لشهرة مصححها بالضبط وسعة الاطلاع على الأقوال. وحينئذ اتفقت الآراء على أن يكون المولى في طبع ذلك الكتاب عليها، ومنتهى اختلاف النسخ ووافقها إليها. فبادرت إشارة الأمر بصريح الامتثال، وسرحت في رياض تلك النسخ سائم الطرف والبال. فوجدت المطبوعة أفصحها عبارة، وأوضحها إشارة، وأصحها معنى، وأحكمها مبنى؛ غير أن فيها لفيطات حادت عن سنن العربية، وبعض معان مالت بها الركاكة عن أن تفهم بطريقة مرضية. فقرت أضياف المعاني بأي لفظ تشتهيه. ورَبَّ البيت أدري بالذي فيه. خصوصاً مع وجود المواد التي تكشف عن وجوه الصحة نقاب الاشتباه، ومن كان ذا مكنة فليفتق مما آتاه الله. مستعيناً على ذلك بما لدي من النسخ التي بخط القلم، معولاً على عناية من علم الإنسان ما لم يعلم».

وكل الطباعات التي توالى في مصر كانت تكراراً لطبعة بولاق إلا فصولاً وجملاً ألفيت غير ملائمة للآداب فحذفت.

ج - طبعة البازجي وطبارة

والطباعات الشامية كذلك اعتمدت على طبعة دي ساسي وما حكاها من طباعات مصر مع تصحيح أو تليق بينها وبين بعض المخطوطات.

ذكر الشيخ خليل البازجي في مقدمة طبعته أنه عثر على نسخة مكتوبة منذ ثلاثمائة سنة، وقايس بينها وبين

النسخة المطبوعة في مصر ونسخة دي ساني، ووجد بينهما اختلافاً كثيراً، ثم قال: «وقد جمعت بين النسخ الثلاث وطبقت بينها بأن اخترت من كليهما أحسنها مع نقل المزيد في نسخة الخط المشار إليها وإصلاح ما في النسخ الثلاث من أغلاط النسخ وغيرها وزادات آخر زدتها بما عن اللخاطر الضعيف للربط بين فواصل الكلام أو لاستدعاء المقام لها أو لاستحسان موقعها أو استطراداً جرّ إليه سياق الكلام مما يظن أن النسخة الأصلية لم تحلّ عن شيء بمعناه وغير ذلك مما جرّاني عليه الرغبة في ردّ هذا الكتاب الجليل ما أمكن إلى رونقه القديم وإن كان يقصر عن ذلك ذرعي ويضيق وسعي ولكني فعلت رجاء أن أستعين به عليه وأتطرق منه إليه. فتيسر لي أن أجمع من النسخ الثلاث نسخة وافية جديرة بأن تنزل منزلة النسخة الأصلية». ثم يذكر أنه حذف أمثالا وعبارات لا تلائم آداب العصر، ولا تصلح لقراءة التلاميذ.

وأما نسخة أحمد حسن طبارة التي استعان على تصحيحها السيد مصطفى المنفلوطي فيقول في مقدمتها إنه عثر على نسخة مصوّرة كتبت سنة ١٠٨٦ هـ (1086)، فعزم على طبعتها، ثم يقول: «فعينتُ أولاً بمقابلتها على ما توفّر لدي من نسخها كنسخة باريس المطبوعة سنة ١٨١٦ (1816) ونسخة مصر المطبوعة سنة ١٢٩٧ (1297) ونسخ بيروت الشهيرة واخترت منها ما كان أقربها إلى الأصل وأبعدها عن التحريف والتبديل وأسلمها من الزيادة والنقصان». فترى من هذا أن نسختي اليازجي وطبارة، على ما لقيتُنا من تصحيح وعناية، قد لقيتُنا لهما نسخ مختلفة، ووقع فيهما من تصرف الناشرين ما يذهب بقيمتيهما التاريخية، ويقلل خطرهما في رأي الناقد.

د - طبعة شيخو

يقول الأب شيخو في المقدمة الفرنسية التي قدّمها لطبعته إنه عثر في دير الشير في لبنان على مخطوط من كتاب «كليلة ودمنة» كتب سنة ٧٣٩ هـ (739)، وأنه رأى في أسلوبها شبيهاً بما يُعرف من أسلوب ابن المقفع، ورأى أنها أقرب النسخ إلى الأصل الهندي «بنج تنترا» وإلى الترجمتين السريانييتين: الترجمة القديمة المأخوذة عن الفهلوية، والحديثة المأخوذة عن العربية، وأنه طبع الكتاب كما هو، لم يصحح أغلاطه ولم يوضح غامضه ليكون أمام المستشرقين صالحاً للمقارنة والنقد.

ثم يقول إنه ألحق بالكتاب الأبواب التي ليست في نسخته، مطبوعة بحروف صغيرة تميزها عن الأبواب التي في نسخته.

ولا ريب أن طبعة شيخو - على ما فيها من سقط وغلط وتحريف كثير، بعضه يدرّكه صوابه لأول نظرة، وبعضه لا يدرّكه إلا بعد طول بحث ومقارنة - لا ريب أن هذه الطبعة أول طبعة في اللغة العربية تقدّم للقراء نصّاً كاملاً غير ملفّق من كتاب «كليلة ودمنة»، وتصلح أن تكون حلقة في سلسلة البحث عن أصل هذا الكتاب كما تُرجم عن الفهلوية.

ثم قال الأب شيخو في آخر مقدمته إنه سيصحح نسخته من مخطوطات أخرى ليجعل منها نسخة مدرسية. وقد أخرج من بعد نسخة مدرسية مصححة.

وهذا مثال من نسخة شيخو يبين تحريفها. ويرى استدراك الأب شيخو بين هاتين العلامتين () واستدراكا بين العلامتين الآخرين [] : «ولست أجدني مخصوصاً [مخصوصاً] في هذه المقالة لأنني لم أخالفه في شيء من

ذلك قط على رؤوس جنده إلا وقد تدبر [تدبرت] فيه المنفعة والزين. ولم أجاهره بشيء من ذلك قط على رؤوس جنده ولا عند خاصته وأصحابه ولكن كنت أدخل به فألتبس ما أكلمه من ذلك كلام القانت لربه الموقر له وعرفت أنه من طلب الرخص من النصحاء عند المشاورة ومن الأطباء عند المرضى وعند الفقهاء في الشبهة (كذا) [والفقهاء عند الشبهة] أخطأ منافع الرأي وزاد في الرأي المرض (كذا) وجعل الوزر في الدين [فقد أخطأ الرأي وزاد في المرض واحتمل الوزر]. فإن لم يكن هذا فعسى ذلك أن يكون من بعض سكرات السلطان فإن من سكراته أن يرضى عن [من] [عن] استوجب السخط ويسخط على من استوجب الرضا (الرضى) من غير سبب معلوم. وكذلك قالت العلماء: خاطر من لجج في البحر وأشد منه مخاطرة صاحب السلطان فإن هو صحبهم (كذا) [يستعمل السلطان جمعاً وهو استعمال صحيح قديم] بالوفاء والاستقامة والمودة والنصيحة خليف (كذا) لأن يعثر فلا ينتعش أو يعد (يعود) وقد أشفى على الهلكة أن ينتعش وإن لم يكن هذا فعلى بعض ما أعطيت من الفضل جعل فيه هلاكي. فإن الشجرة الحسنة ربما كان فسادها في طيب ثمرتها إذا تنولت [تنولت] أغصانها وجذبت حتى تكسر وتفسد. والظاويوس ربما صار ذنبه الذي هو حسنه وجهاله وبالا عليه فاحتال (فاذا احتال) لا حاجة لما بين القوسين إلى الخفة والنجاة ممن يطلبه فيشغله عن ذلك ذنبه. والفرس الجواد القوي ربما أهلكه ذلك فأقصد (كذا) [فأجهد] وأتعب واستعمل لما عنده من الفضل حتى يهلك «شيخو» (الطبعة الثانية ص 82 ٨٢). وليست هذه الفقرات أكثر من غيرها تحريفاً.

3 - نسختنا

يرى مما قدمت أن كتاب «كيلة ودمنة» طبع طبعات مدرسية كثيرة تفي بتعليم الناشئة، ولكنه لم يطبع طبعة واحدة يطمئن إليها الناقد الذي يتحرى ما كتبه ابن المفع.

فلم يكن عجباً أن يطول البحث والعناء ليطبع الكتاب طبعة أخرى. وكان من سوء الاتفاق أن هذه الحرب الماحقة التي يصل بناها جنتها وغير جنتها، شبت ونحن نتأهب لنشر هذا الكتاب فلم يتيسر لنا تحصيل المخطوطات التي أردناها؛ ولكن كان من حسن الحظ أن عثرنا على نسخة في مكتبة أبا صوفيا باسطنبول كتبت سنة ٦١٨ هـ (618). فهي أقدم من كل المخطوطات التي وصفها المستشرقون، وأقدم من نسخة شيخو المكتوبة سنة ٧٣٩ هـ (739) والتي رآها شيخو أقدم نسخة مؤرخة فكتب على صفحة العنوان: «أقدم نسخة مخطوطة مؤرخة لكتاب كيلة ودمنة».

لم يكن التقديم وحده سبباً لاختيارنا هذه النسخة واحتمال العناء الطويل في نشرها؛ ولكن اجتمعت فيها مزايا ظننا معها أنها جديرة بالنشر، وأن نشرها خطوة سديدة في سبيل نقد الكتاب وتقريبه من أصله جهد المستطاع.

وهذا وصف النسخة وتبين مزاياها وعيوبها:

عنوان النسخة: «كتاب كيلة ودمنة» وما وضعه علماء الهند على لسان الطير والوحش وغير ذلك، في الحكم والأمثال. وتحت العنوان: «يقى بالكافي محمد بن الحجا في». وتحت هذا ثلاثة أسطر مشطوبة شطباً يمنع من قراءتها. وفي آخر النسخة: «تم الكتاب بعون الله وتوفيقه وكان الفراغ منه في مستهل جمادى الآخر من شهر سنة ثمانية عشر وسنة غفر الله لكتابه ولصاحبه ولئن نظر فيه وجميع المسلمين والأحياء منهم والأنوات. كتبه لنفسه الفقير إلى الله تعالى المعترف بالتقصير عبد الله بن محمد العمري عفا الله عنه».

وبعد هذا خمسة أبيات في وصف الكتاب.

وبعدھا: «حسبنا الله ونعم الوكيل» في سطر. وفي سطر آخر: «كعمق زهوق»^{١٠}. وفي سطر آخر: «الحمد لله وحده اه اه اه».

وبعد هذا سطران فيهما اسم بعض من ملكوا النسخة، ثم البيتان:

[لئن] نال غيري وهو دوني وصالحا وأصبح ذكرى عندها غير نافقي [نافق]

فكم يبدق للشاه أصبح قاهرا ولا زال قدر الشاه فوق البيادقي [البيادق]

والظاهر من صفحتي العنوان والخاتمة أنَّ صاحب النسخة اسمه محمد بن الحجافي، وأنَّ كاتبها اسمه عبد الله ابن محمد العمري، وأنَّ الكاتب من عامَّة النساخ لا يجيد النحو ولا رسم الحروف. فقد كتب: «كليلق ودمني» بالصرف، وكتب: «جمادى الآخر من شهور سنة ثمانية عشر وستائة»، والصواب: جمادى الآخرة من شهور سنة ثمانى عشرة وستائة، وكتب في أبيات في الصفحة الأخيرة: «ألسنتُ فصيحة» بناء مفتوحة بدل: «ألسنة».

ولهذا وقع في النسخة تحريف شنيع، وسقط في جمل وكلمات وحروف، ورُسمت بعض الكلمات وأعجمت على صورة عجيبة لا توافق حروف العربية، حتى ظننت أنَّ الكاتب كان لا يحسن قراءة الكتاب وكان يرسم الحروف كما يراها فيخطئ في كثير منها. ويَبْدُو أنَّ نصيب الكلمات الغريبة من هذا التحريف أوفر. وبعض التحريف لا يُفسَّر إلا بأنَّ الكاتب كان يستعمل فيسيء السمع أو يخطئ الرسم.

وهذه أمثلة من التحريف، وقد وضعتُ تصويها بين هاتين العلامتين []:

«ثم إنَّ شربة لم يلبث أن عكن وشحن وسر [.. أن عكد وشحم وتر]» (ص ٨٤ ٨٤).

«كان أسد البصرة وأبلج الصدر وأحرى أن يُقدم المريدة على غيره الشبهة والشك [كان أسد للبصرة وأتلج الصدر، وأحرى أن يُقدم المرء به على غير الشبهة والشك]» (ص ١٣٤ ١٣٤).

«فإن الكاتم لدم المجرم في رنغ منتفع شره إياه فيه [فإن الكاتم لجرم المجرم في وَنَغ مُبْتَغ شره فيه]» (ص ١٣٦ ١٣٦).

«لم يقبض المختال ولا للحسب [لم يقبض للجمال ولا للحسب]» (ص ١٨٨ ١٨٨).

«كذلك العالم يبصر الإثم فيبحه والبغي فيعلمه [يبصر الإثم فيجتنبه، والبر فيعلمه]» (ص ٢٤٧ ٢٤٧).

«فاطمئن إلى ما ذكرت وتؤمني [فاطمئن إلى ما ذكرت، وثق به مني]» (ص ٢٧٢ ٢٧٢).

ومن التحريف الذي أحسبه نشأ عن الإملاء:

«لقد أورتني [أورطني] الحرص والشره، على كبر السن، شر مورط» (ص ٢٢٤ ٢٢٤).

«لم يأتي [يأت] إليك شيئا إلا وكنتي [كنت] ركبتي [ركبت] من غيرك مثله» (ص ٣٢٢ ٣٢٢).

وإذا عرف القارئ أنَّ كثيرا من هذه الجمل المحرفة تنفرد بها نسختنا فلا يمكن تصحيحها من النسخ الأخرى، وأنَّ بعضها يقابله تحريف مثله أو أشنع منه في نسخة شيخو، تبين مقدار الغناء الذي احتُمِل في رد هذه الجمل إلى صواب يطمئن إليه الباحث.

^{١٠} «كعمق زهوق» أو «كبيكج»: أفاظ كان يكتبها الناسخون أو مالكو النسخ على مخطوطاتهم ظنا منهم أنها تحميا من الأرضة (المراجع)

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين
 الحمد لله اللطيف الخبير العليم القدير القاهر في ملكه
 الدائم في عزه العادل في قضائه المنفرد في ملكوته عالم
 الخلق وباسط الزرق ليس كمثله شيا وهو النبع البصير
 نعم المولي ونعم النصير خلق آدم بيده ونم فيه من روحه
 واسكن فيه حكمته وتوارث ذلك دريته فمنهم شيعته
 بأمراته وشقيا بقدرته واشهدان لا اله الا الله وحده
 لا شريك له يشهد ارجوا بها الخلاص واغفر بياوم الاثام
 واشهدان محمد عبده ورسوله خلفه للمهدي وتذقوا من به
 اغدري صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم
 هذا كتاب طليله وديمه وهو ما وصفته على
 الهند من الامثال والاحاديث التي القسوا بها الخناس
 بعدد من القول في الحق الذي ارادوا ولم يزل العقل لا يزل
 خجل زمان يفتشون ان يعمل عنهم ويحاولون لولا نصيب
 الجبل ومطبوخت اخراج ما عندهم من العلق يدعاهم ذلك الى
 ان وضعوا هذا الكتاب ولخصوا فيه من لمع الكلام ونفقت
 على نواه الجوهر والظاهر والسماع فاجمع لهم من الماسمان
 امامهم فرجوا منقصة في القول وسعها ما حذر منقصة
 نعم لهم وحله فاجتبه الحكيم الحكيم والسبح لله واما العلل
 من الاحداث وغيرهم فسطوا العلم وحذف عليهم خطه فاذا اختلف
 الحدث واجتمع له اسره وثاب اليه عقله بدر ما ان جض منه

وبرى القارئ مثالا من تتبّع الجمل المخرّفة في مواضعها من تراجم الكتاب المختلفة في تعليقات باب «البوم والغربان» (ص ١٨٨ 188 : تعليق رقم 4) حيث يرى كيف صححت الجملة: «فإن من يراكل القتل يراكل الحيف» فردّت إلى أصلها: «فإن من يواكل الفيل يواكل الحيف» .

4 - مزايا هذه النسخة

ولكن هذه النسخة، على تحريفها وما فيها من سقط، تفضّل النسخ المطبوعة كلها، وتحوي نصاً يخالف ما في تلك النسخ مخالفة بيّنة، وتمتاز بمزايا منها :

1 - احتوائها جملاً طويلة تشبه ما يعرف من كلام ابن المقفع في كتبه. وهذه الجمل تلفى مختصرة أو ميسّرة في النسخ الأخرى. وواضح أنّ تصرف النّسّاح والقراء يكن بتقريب الكتاب وتيسير جملة لا العكس، فالجمل الطويلة المستغلقة في نسختنا حرّية أن تكون أقرب إلى الأصل من الجمل القصيرة اليسيرة التي تقابلها في النسخ الأخرى .

2 - ومنها أنّ في نسختنا جملاً يتيّن فيها أثر الأسلوب الفارسي وقد غيّرت في النسخ الأخرى بما يُدخلها في الأساليب العربية المألوفة. وهذه أمثلة منها:

« حتى غلب على صاحب البيت النعاس، وحمله النوم » (ص 40 41) فجملة: « حملته النوم » ترجمة لفظية للجملة الفارسية: « خواب آورا برد ». وفي النسخ الأخرى: « فغلب الرجل النعاس » .

« وعرفت أي، إن أوافقه على ما لا أعلم، أكنّ كالمصدّق المخدوع الذي زعموا أنّ جماعة من اللصوص ذهبوا إلى بيت رجل من الأغنياء الخ » (ص 65 66). وظاهر أنّ « الذي » هنا ليست ملائمة للسياق وليس بعدها عائد على الموصول. ويقابل « الذي » في الفارسية: « كه »؛ ولكن « كه » تأتي أيضاً للتعليل أو التفرّيع. فكان ينبغي أن تترجم الجملة: فقد زعموا الخ. ولكن المترجم وضع « الذي » هنا موضع « كه » التي جاءت في الأصل الفارسي للتفرّيع . وهي في غير موضعها. وفي النسخ الأخرى: « الذي زعموا فيه » أو « في شأنه »، وهي زيادة لتعريب الجملة. وفي شيخو (ص 34 35): « كالمصدّق المخدوع مثل الذي (كذا) زعموا أنه ذهب سارق الخ » .
« وأما من دونه فقد تجري أمورهم فتوتاً يغلب على أكثر ذلك الخطأ » (ص 138 139). فوضع « ذلك » موضع الضمير فيه شبه بالعبارة الفارسية .

« فسأله رجل فقال » (ص 315 316) . تشبه هذه الجملة التعبير الفارسي: « برسيده گفت ».

وتركوا التاج على رأسه » (ص 316 317). فاستعمال « تركوا » في موضع « وضعوا » يشبه أن يكون ترجمة للكلمة: « كذاشتند » وهي تأتي بمعنى « الترك » وبمعنى « الوضع » . وقد تُرجمت هنا بالمعنى الأول، والأولى بها المعنى الثاني .

3 - ومن مزايا نسختنا كذلك استعمال كلمات صحيحة غير شائعة. وهذه الكلمات تغيّر في النسخ الأخرى إلى كلمات مأثوفة. ومن أمثلة هذا :

«آمال أم اللذات أم الصوت أم أجّر الآخرة ؟» (ص 62٦٢). فاستعمال «الصوت» بمعنى «الصيت» صحيح. ولكن النسخ الأخرى غيّره إلى «الصيت» أو «الذكر». وفي نسخة شيوخ (ص 31) : «الصور» ، وهو تحريف «الصوت» .

« فقال الأسد لقراينه » (ص 88). فاستعمال كلمة «قراين» بمعنى خاصة الملك، وتغييرها في النسخ الأخرى إلى «جلسائه» ونحوها إثارة للكلام المؤلف .

«السلطان» (ص 86 ، 109 ، 111) استعملت هذه الكلمة بمعنى الجمع ، وهو استعمال قديم صحيح . وقد استعمل في النسخ الأخرى بمعنى الفرد .

«وكانت للملكهم ابنة كريمة عليه، وكانت حاملاً فأصابها بطن» (ص 146). «البطن» جمع البطن، وقد غيّرت في النسخ الأخرى إلى «جمع البطن» .

«فإن أوى أهل الدنيا بطيب العيش وكثرة السرور وحسن الثناء، من لا يزال رحله موطوءاً من إخوانه» (ص 177). ومثل هذا في شيخو مع التحريف. يقال هذا في النسخ الأخرى: «من لا يزال ربه من إخوانه وأصدقائه معموماً»، فقد غيّر «رحله موطوءاً» إلى «ربه معموماً» تقريباً للعبارة .

فتغيير النسخ الأخرى هذه الجملة أريد به تيسير الكتاب. والنسخة التي تشتمل على الألفاظ الصحيحة المستعملة عند خاصة الكتاب، أقرب إلى الأصل من النسخ التي تقابل هذه الألفاظ بألفاظ شائعة مأثوفة عند عامة القراء .

4 - ويقرب من هذا حرص نسختنا على ذكر أسماء للمدن والأشخاص لا تذكر في النسخ الأخرى، وحفظها لبعض الأسماء صيغاً أغرب مما في غيرها. وهذا كثير يمكن تتبعه في كل فصول الكتاب. ومن أمثلة هذا اسم الرجلين: «آذرهد» (ص 51٥) و «أزويه» (ص 52٥٢)، واسم الأسد: «بنكلة» (ص 84٨٤)، وأرض «مردات» (ص 128١٢٨)، ومدينة «برود» (ص 140١٤٠)، وانظر الأسماء في باب «إبلاد وإيراخت وشادرم» .

والظاهر أن النسخ الأخرى حذف هذه الأسماء الأعجمية اختصاراً وتخفيفاً على القراء .

5 - والخامس مما تفضل به نسختنا النسخ المطبوعة أن نصوصها أقرب في الجملة إلى النصوص التي تلقى في كتب قديمة مثل كتاب «عين الأخبار» لابن قتيبة المتوفى سنة 276 ٢٧٦ . ففي هذا الكتاب جمل كثيرة منقولة عن كتاب «كليلة ودمنة» ينسبها المؤلف إلى هذا الكتاب تصريحاً، أو يقول: «وقرأت في كتاب للهند». والظاهر أن ابن قتيبة لا يلتزم نص الكتاب دون تغيير، ولكن ما نقله يصلح أن يكون بألفاظه أو معانيه مقياساً بين النسخ المتأخرة من هذا الكتاب .

ويرى القارئ أمثلة فيما يأتي :

١ - عين الأخبار: «وإنما تشبه بالجليل الوعر فيه الثمار الطيبة والسباع العادية فالارتقاء إليه شديد والمقام فيه أشد» (ج ١١ ص ١٩١) .

نسختنا: «وإنما شبه العلماء السلطان بالجليل الوعر الذي فيه الثمار الطيبة، وهو معلين السباع المخوفة؛ فالارتقاء إليه شديد، والمقام فيه أشد وأهول» (ص ٨٧ ٨٦).
النسخ الأخرى: «وإنما شبه العلماء السلطان بالجليل الصعب المرتقى الذي فيه الثمار الطيبة، والجواهر النفيسة، والأدوية النافعة وهو مع ذلك معدن السباع والنمور والذئاب وكل ضار مخوف، فالارتقاء إليه شديد والمقام فيه أشد» طباعة (الطبعة الرابعة ص ٩٦ ٩٥) .

ب - عين الأخبار: «إنما مثل السلطان في قلة وفاته للأصحاب وسخاء نفسه عن فقد منهم مثل البغي والمكتب كلما ذهب واحد جاء آخر» (ج ١١ ص ٢٥ ٢٤) .
نسختنا: «إنما مثلهم، في قلة وفاتهم لأصحابهم وسخاء أنفسهم عن فقدوا منهم، مثل البغي كلما ذهب واحد جاء آخر مكانه» (ص ١١٠ ١١١) وتعليقات باب الأسد والثور (ص ١٩ ١٩) .
النسخ الأخرى: لا تلتفي هذه الجملة .

ج - عين الأخبار: «ثلاثة أشياء تزيد في الأُنس والثقة: الزيارة في الرحل والمواكلة ومعرفة الأهل والحشم» (ج ٢ ص ٢٤ ٢٤) .
نسختنا: «إن أموراً ثلاثة ترداد بها لطافة ما بين الإخوان، واسترسال بعضهم إلى بعض؛ منها المواكلة، ومنها الزيارة في الرحل، ومنها معرفة الأهل والحشم» (ص ٢٢٢ ٢٢٢) .
النسخ الأخرى: لا توجد الجملة في المصرية وطبارة. وفي اليازجي: «فإن أفضل ما يلتمسه المرء من أخلائه أن يغشوا منزله وبنالوا من طعامه وشرابه ويعرفهم أهله وولده وجيرانه» اليازجي (ص ٢٧٢ ٢٧٢) .

د - عين الأخبار: «ثلاثة يُهزأ بهم: مدعي الحرب ولقاء الزحوف وشدة النكاية في الأعداء وبدنه سليم لا أثر به، ومنتحل علم الدين والاجتهاد في العبادة وهو غليظ الرقبة أسمن من الأئمة الخ» (ج ٢ ص ٢٠ ٢٠) .
نسختنا: «ثلاثة ينبغي أن يُسخر منهم: الذي يقول: شهدت زحوفاً كثيرة فأكثر القتل، ولا يرى في جسمه شيء من آثار القتال، والذي يخبر أنه عالم بالدين ناسك مجتهد وهو بادن غليظ الرقبة لا يرى عليه أثر التشنع الخ» (ص ٢٥٠ ٢٥٠) .

النسخ الأخرى: في شيخو قريب مما هنا، بعد تصحيح التحريف الشنيع. ولا توجد الجملة في النسخ الأخرى .

هـ - وكذلك الجملة: «أربعة يخافون مما لا ينبغي الخ» نسختنا (ص ٢٥٢ ٢٥٢). يرى نظيرها في «عين الأخبار» ولا تعرف في النسخ الأخرى .

و - ونجد مثالا آخر في هذه الجملة من نسختنا (ص ٨٥ ٨٥): «كالأسد الذي يفترس الأرنب، فإذا رأى

الغبر تركها وأخذها». في نسخة شيخو (ص 56٥): «فاذا رأى الأتان». وفي النسخ الأخرى: «البعير». وفي منظومة أبان بن عبد الحميد التي نظمها للبرامكة:

كالأسد الذي يصيد أرنباً ثم يرى الغبر المجتهد هرباً
فيرسل الأرنب من أظفاره ويتبع الغبر على إدباره

5 - نماذج من اختلاف النسخ

يجار قارئ الكتاب فيما بين نسخه من تخالف وتقارب واتفاق: في بعض الصفحات تختلف النسخ اختلافاً يَبِيناً، وفي بعضها تقارب في المعنى واللفظ، وفي أخرى تتفق؛ ولكن الاتفاق يندر بين نسختنا والنسخ المطبوعة في مصر والشام، حاشا شيخو، فإن موافقتها لنسختنا كثيرة، بل توافقهما أكثر من تخالفهما. وليست أبواب الكتاب سواءً في تقارب النسخ وتباعدها؛ بل بعض الأبواب كإبلاد وإيراحت وشادرم يتضح فيه تقارب النسخ، وبعضها كإبلاد والأسد والثور يتضح فيها التباعد. كأن الأبواب الأكثر نصيباً من عنابة القراء كانت أكثر نصيباً من التغيير؛ على أن الباب الواحد فيه فصول متقاربة وأخرى متباعدة. وسأبحث في أسباب اختلاف نسخ الكتاب حين الكلام على ترجمته إلى العربية. وأعرض فيما يلي على القارئ قصة السمكات الثلاث منقولة من نسخ مختلفة لتكون مثلاً لما بينها من تباعد وتقارب:

نسختنا: «زعموا أن غديراً كان فيه ثلاث سمكات: كبسة، وأكبس منها، وعاجزة. وكان ذلك المكان بنجوة من الأرض، لا يكاد يقربه من الناس أحد. فلما كان ذات يوم، مر صيادان على ذلك الغدير مجتازين، فتواعدا أن يرجعا إليه بشبّاكهما فيصيدها الثلاث السمكات اللواتي رأياهن فيه. فلما رأتهما الحازمة ارتابت بهما، وتحوّفت منهما، فلم تعرّج أن خرجت من مدخل الماء إلى النهر. وأما الكبسة فتلبّثت حتى جاء الصيادان، فلما أبصرتهما قد سداً مخرجها، وعرفت الذي يريدان بها، قالت: فرطت، وهذه عاقبة التفریط، فكيف الخلاص وقلما تنجح حيلة المهرق؟ ولكن العالم لا يقنط على كل حال، ولا يدع الأخذ بالرأي. ثم تماوتت وجعلت تطفو على وجه الماء منقلبة، فأخذها فألقياها على الأرض غير بعيد من النهر، فوثبت فيه فنجت منهما. وأما العاجزة فلم تزل في إقبال وإدبار حتى صاهاها» (ص ١٠٥ 105).

شيخو: «زعموا أن غديراً كان فيه ثلاث سمكات عظام وكان ذلك الغدير بفقوة من الأرض لا يقربها أحد. فلما كان ذات يوم من هنالك (كذا) أتى صيادان مجتازان فتواعدا أن يرجعا بشبكتهما فيصيدها تلك السمكات الثلاث التي رأيا فيه. وأن سمكة منهن كانت اعقلهن وأما ارتابت وتحوّفت فعاجلت الأخذ بالحزم فخرجت من مدخل الماء الذي كان يخرج من الغدير إلى النهر فتحوّلت إلى مكان غيره. وأما الأخرى التي كانت دنبا في العقل فأخبرت معاجلة الحزم حتى جاء الصيادان فقالت: قد فرطت وهذه عاقبة التفریط. فرأتهما وعرفت ما يريدان فوجدتهما قد سداً ذلك المخرج فقالت: قد فرطت فكيف الحيلة على هذا الحال للخلاص وقل ما تنجح حيلة العجلة والإرهاق ولكن لا نقنط على حال ولا ندع ألوان الطلب. ثم أنها للحيلة تماوتت فطفئت على الماء منقلبة على ظهرها فأخذها

(فأخذها) الصيَّادان بحسبان انها مينة فوضعاها على شفير النهر الذي يصبُّ في الغدير فوثبت في النهر فنجت من الصيَّادَين . وأما العاجزة فلم تزل في إقبال وإدبار حتى صيدت » (ص ٧٥) .

البازجي : « زعموا أنَّ غديرًا كان فيه ثلاث من السمك كيسية وأُخيس منها وعاجزة . وكان ذلك الغدير بنجوة من الأرض لا يكاد يقر به أحد وبقره نهر جار . فاتفق أنه اجتاز بذلك النهر صيادان فأبصرا الغدير فتواعدا أن يرجعا إليه بشباكهما فيصيدا ما فيه من السمك فسمع السمكات قولهما فأما أكيسهن فلما سمعت قولهما اترابتا بهما وتخوفت منهما فلم تعرج على شيء حتى خرجت من المكان الذي يدخل فيه الماء من النهر إلى الغدير فنجت بنفسها . وأما الكيسية الأخرى فإنها مكثت مكانها وتهاوتت في الأمر حتى جاء الصيادان . فلما رأتهما وعرفت ما يريدان ذهبت لتخرج من حيث يدخل الماء فإذا بهما قد سدا ذلك المكان . فحينئذ قالت فرطت وهذه عاقبة التفريط فكيف الحيلة على هذه الحال وقلما تنجح حيلة العجلة والإرهاق . غير أن العاقل لا يقنط من منافع الرأي ولا ييأس على حال ولا يدع الرأي والجهل . ثم إنها تماوتت فطفت على وجه الماء منقلبة على ظهرها تارة وتارة على بطنها . فأخذها الصيادان وظنَّاه مينة فوضعاها على الأرض بين النهر والغدير فوثبت إلى النهر فنجت . وأما العاجزة فلم تزل في إقبال وإدبار حتى صيدت » (ص ١٤٤ ١٤٤) .

6 - نسختنا ونسخة شيخو

أقرب النسخ إلى نسختنا نسخة شيخو . وهي على كثرة تحريفها واضطرابها تقارب نسختنا في أكثر الفصول ، وقد تختلفان بالزيادة والنقص والإجمال والتفصيل واختلاف الألفاظ . ونجد فيهما جملاً مستغلة لم يتصرف فيها الكتاب كما تصرفوا في الأخرى ؛ نجد في باب (بعثة برزويه) أثناء الكلام على برزويه وصديقه الهندي هذه الجملة : « فلم يطمئنَّ إلى أحد منهم إلا إلى صديقه ذلك عند ما ورد عليه وكيف فتش عقله ووثق به واطمأنَّ إليه أن قال له الخ » نسختنا وقد أصلحتُ العبارة (ص ٥٣) .

« وكان ممَّا حكم به برزويه صديقه ذلك والذي ردَّ عليه وكيف فتش عقله حتى وثق به واطمأنَّ إليه أن قال له » شيخو (ص ٢٢) .

وهي جملة مضطربة متشابهة في النسختين .

وبعد هذه الجملة بسطر نجد في النسختين :

« فاعلم أيُّي لأمر جئت ، وهو غير ما ترى يظهر مني » نسختنا (ص ٥٣) .

« فاعلم أيُّي لأمر ما جئت له وهو غير ما ترى يظهر مني » شيخو (ص ٢٢) .

فالجملة : « وهو غير ما ترى يظهر مني » على غرابتها مشتركة فيهما . وقد غُيِّرَت في النسخ الأخرى إلى : « وهو غير الذي يظهر مني » .

وهذه الجملة المستغربة في هاتين النسختين تدلُّان على أصل صحيح تنتهيان إليه . ومن العجيب أنهما تتفقان

- أحياناً على تحريف، ففي قصة « الأسد والشعر » :
- « فلما اجتمعوا على ذلك من كيدهم، دسوا ذات يوم للحم كان الأسد استطرفه » نسختنا (ص ٢٩٢ 292) .
- « فلماً أجمعوا على ذلك لكيدهم دسوا ذات يوم للحم كان الأسد استطرفه » شيخو (ص ٢٢١ 221) .
- والصواب: « دبوا » وقد حرفت في النسختين إلى: « دسوا » .
- وفي الباب نفسه نجد في النسختين :
- « وذلك سريعاً في إضاعة الأمر، وجلب عظم الخطر » نسختنا (ص ٢٩٥ 295) .
- « وذلك سريعاً (كذا) في ضياعة الأمر وانتشاره وجلب عظم الضرر والعب » شيخو (ص ٢٢٣ 223) .
- والصواب: « سريع » وقد حرفت في النسختين إلى: « سريعاً » .
- وبعد هذا بقليل :
- « كصاحب الخمر الذي أراد شراءها احتاج إلى اختبار لونها وطعمها » نسختنا (ص ٢٩٦ 296) .
- « كصاحب الخمر الذي أراد ان يشتريها احتاج إلى اختبار لونها وطعمها وريحها » شيخو (ص ٢٢٤ 224) .
- والظاهر أنَّ الصواب: « كصاحب الخمر إذا أراد الخ » .
- وفي باب ابن الملك وأصحابه :
- « ثم قال بعضهم لبعض: انصرفوا يومكم هذا حتى نكسر عليهم ويرخصوه علينا » نسختنا (ص ٣١٤ 314) .
- « انصرفوا يومكم هذا حتى نكسر عليهم فيرخصوا علينا » شيخو (ص ٢٣٥ 235) .
- والظاهر أنَّ كلمة: « نكسر » محرفة من: « يكسُد » .
- وفي باب « الناسك والضيف » في النسختين :
- « وليس في بلادي الذي أسكنها » نسختنا (ص ٣٢٩ 329) .
- « وليس في بلادي الذي (التي) أسكنها » شيخو (ص ٢٤٣ 243) .
- والصواب: « التي » وقد حرفت في النسختين إلى: « الذي » .
- وأرى أنَّ الاتفاق على هذا التحريف يدل على أصل واحد قد بعدت الوسائط بينهما وبينه، وقد أصاب نسخة شيخو من التحريف ما لم يصب نسختنا .

القِسم الثاني :

أصول الكتاب وتراجمه وأبوابه

1 - الشرق مهد الأمثال

بلاد الشرق مهد القصص والأمثال المضروبة على ألسن الحيوان. وكانت الهند خاصة مهد قصص حكيمة شاعت في أرجاء الأرض؛ انتقلت إلى بلاد الصين والتَّبت وإيران، وبلغت أوروبا في عصور قديمة. وكثير من أساطير إسوب (ESOP) تتخللها أمثال شرقية .

وذاعت من بين قصص الهند وأمثالها طائفة من القصص جُمعت في كتابين، أحدهما مأخوذ من الآخر أو كلاهما مأخوذ من أصل واحد، على اختلافهما في الأسلوب وفي بعض القصص .

يعرف أحد هذين الكتابين باسم: «بِنَجَ تَنْترا» أي: خمسة أبواب. وقد عثر عليه الأستاذ هِرْتل، ونُعي به الباحثون، وطبع وترجم إلى لغات أوروبية عدّة. ويرى هرتل أنّ مؤلفه حكيم هندي اسمه: بَرَهْمَن وشنو، ألفه حوالي سنة ٣٠٠ م 300 .

ويسمى الكتاب الثاني: «هَيوادشا» أي: نصيحة الصديق. وقد شاع في أوروبا وترجم إلى بعض لغاتها وترجم إلى الإنكليزية ثلاث مرات .

2 - كليلة ودمنة، كتاب هندي

يقول ابن خلكان: «ويقال إنّ ابن المقفع هو الذي وضع كتاب كليلة ودمنة. وقيل إنه لم يضعه وإنما كان فارسياً فنقله إلى العربية، وإن كان الكلام الذي في أول هذا الكتاب من كلامه». وقد شكّ بعض الناس في أمر الكتاب، ورددوا رواية ابن خلكان .

وهذا كلام لا وزن له؛ فلم يبق ريب في أنّ الكتاب هندي الأصل، وقد عثر على معظم أبوابه في الكتابين: «بِنَجَ تَنْترا» و «هَيوادشا» من الكتب الهندية .

وقد عَرَفَ هذا من قبل العلامة المحقق أبو الريحان البيروني، فقال في كتابه «تحقيق ما للهند من مقولة»: «ولهم (أي للهند) فنون من العلم آخر كثيرة، وكتب لا تكاد تحصى؛ ولكني لم أحط بها علماً. وبوَدِّي أن كنت أتمكن من ترجمة كتاب بِنَجَ تَنْترا. وهو المعروف عندنا بكتاب كليلة ودمنة؛ فإنه تردّد بين الفارسية والهندية ثم العربية والفارسية على ألسنة قوم لا يؤمن تغييرهم إياه كعبد الله بن المقفع في زيادته باب برزويه فيه قاصداً تشكيك ضَعْفَى العقائد في الدين وكسرهم للدعوة إلى مذهب المناطقة. وإذا كان متهماً فما زاد لم يخل عن مثله فيما نقل». ليس لدينا إذن ما يدعو إلى الشك في الرواية المتداولة أنّ هذا الكتاب ترجم من الهندية إلى الفهلوية، ثم ترجم إلى العربية في القرن الثاني من الهجرة. وأما الأخبار التي يتضمنها باب «بعثة برزويه» فسنعرض لها من بعد .

3 - نقل الكتاب من الهندية إلى الفهلوية

ليس عندنا ما يمنع من قبول ما تضمنه باب «بعثة برزويه» من أن الكتاب نقل إلى الفهلوية في عهد كسرى أنو شروان، نقله بعض أطباء القروس الذين ساحوا في بلاد الهند وعرفوا اللغة الهندية .
هذا هو الأصل الذي كتب عليه باب «بعثة برزويه» . وهو جدير بالقبول وليس لدينا ما يدعو إلى الشك فيه .
وأما إرسال كسرى برزويه إلى الهند لينقل الكتاب إلى الفهلوية، واحتياله للاطلاع على الكتاب، ومبالغة الهند في منع الأجانب أن يطلعوا على كتابهم، فهو مما حاكه الخيال لإكبار برزويه والإعجاب بعمله والإشادة به، وتعظيم قدر الكتاب .

وقصة سفر برزويه إلى الهند تروىها «الشاهنامه» وكتاب الثعالبي «غرر أخبار ملوك القروس» . ولكن قصة «الشاهنامه» تخالف ما هنا بعض المخالفة، وإليك إجمالها:

جاء برزويه الحكيم إلى أنو شروان وقال: أيها الملك إني قرأت في كتاب هندي أن في جبال الهند عشباً إذا ركب منه دواء فنثر على ميت ارتد حياً . فجهّز أنو شروان وسيره إلى الهند وبعث معه كتاباً إلى الملك . فلما أخذ ملك الهند الهدايا وقرأ الكتاب جمع علماء وسيرهم مع برزويه لطلب هذا العشب في الجبال فجمعوا كل ضرب من العشب وجربوه، فما أحيا ميتاً . فندم برزويه على ما جشتم نفسه من مشاق السفر والطلب، وتحنّن ماذا يقول للملك أنو شروان . ثم سأل من كان معه من العلماء: أتعرفون في الهند أعلم منكم ؟ قالوا: نعم، شيخ يفضلنا علماً وسناً . فلما جاهد وقصّ عليه القصص قال: أمّا الجبال فهي العلوم، وأمّا الموتى فهم الجهال، وأمّا العشب فكتاب في خزائن ملك الهند يسمى «كليلة ودمنة» يحيي موتى الجهل . فأسرع برزويه إلى ملك الهند يرجو أن يطلع على الكتاب . فاعتمّ الملك وقال: ما طلب أحد هذا الطلب من قبل، ولكننا لا نضنّ على الملك أنو شروان بشيء . وأمر أن يؤتى بالكتاب وأن يطلع برزويه عليه أمامه حتى لا يظنّ أحد أنه نسّخه . فكان برزويه يقرأ كل يوم فصلاً - إلى آخر ما في القصة التي في باب «بعثة برزويه» .

4 - هل تترجم الكتاب إلى العربية أكثر من مرة ؟

يقول صاحب «الفهرست»، وهو يعدّد أسماء كتب الهند في الخرافات والأخبار: «كتاب كليلة ودمنة» وهو سبعة عشر باباً . وقيل ثمانية عشر باباً . فسره عبد الله بن المقفع وغيره . والتفسير هنا معناه الترجمة .
وقد نقل الأب شيخو الجملة الآتية من نسخة محفوظة في مكتبة أبا صوفيا مكتوبة سنة ٨٨٠ هـ 880 :
«هذا كتاب كليلة ودمنة الذي استخرجه برزويه المتطبّب الحكيم من بلاد الهند ونقله من الهندية إلى الفارسية لكسرى أنو شروان بن قباد بن فيروز ملك فارس ونقله من الفارسية إلى العربية عبد الله بن عليّ الأهوازي ليحيى بن خالد بن برمك في خلافة المهدي أحد خلفاء بني العباس وذلك في سنة خمس وستين ومائة وقد نظمته سهل بن نوبخت الحكيم الفاضل ليحيى بن خالد البرمكي وزير المهدي والرّشيد فلما وقف عليه ورأى حسن نظمته أجازته على ذلك ألف دينار» (مقدمة شيخو ص ٢٠) .

فهذا تصريح باسم مترجم غير ابن المقفع . وفي «كشف الظنون» لحاجي خليفة:
«ثم ترجمه في الإسلام عبد الله بن المقفع كاتب أبي جعفر المنصور العباسي من اللغة الفارسية إلى اللغة العربية .

ثم نقله من الفارسية إلى العربية عبد الله بن هلال الأهوازي ليحيى بن خالد البرمكي في خلافة المهدي وذلك في سنة خمس وستين ومائة. ونظمه سهل بن نوبخت الحكيم ليحيى بن خالد المذكور وزير المهدي والرشيد. فلما وقف عليه أجازوه بألف دينار .

لا يستطيع الباحث أن يقطع رأياً في نقله شيخو عن نسخة أيا صوفيا حتى يرى النسخة ويرى موضع هذه الجملة في مقدمتها، هل هي ملحقة بقلم أحد القراء أو هي من متن النسخة ؟ فإن كانت الأولى فلعلها نقلت عن « كشف الظنون ». وإن كانت الثانية فلعل صاحب « كشف الظنون » نقلها. والعبارتان متشابهتان في الكتابين .

وأما إغفال اسم ابن المقفع في النسخة التي ذكرها شيخو فلا يدل على أنها ترجمة أخرى تخالف النسخ التي بأيدينا؛ فإن النسخة، كما يتبين من قطعة نقلها شيخو من باب « الأسد والثور »، تشابه النسخ الأخرى مشابهة قريبة. وأكبر الظن أن بعض النساخ أو القراء كتب في صدر الكتاب ما كتب نقلاً عن بعض الكتب التي ذكرت من ترجموا « كلبية ودمنة » .

ومهما نُقِلَ في إغفال هذه النسخة اسم ابن المقفع واقتصارها على اسم المترجم الآخر فقد اجتمع لنا ثلاثة نصوص تذكر غير ابن المقفع : صاحب « الفهرست » يقول : « فسرّه عبد الله بن المقفع وغيره »، ونسخة أيا صوفيا و « كشف الظنون » يسميان : « عبد الله بن علي الأهوازي » أو « عبد الله بن هلال الأهوازي » . وهذه مسألة لها خطرهما في تاريخ الكتاب واختلاف نسخه .

5 - هل يُفسّر اختلاف النسخ باختلاف الترجمة ؟

قلت فيما تقدم إن نسخ الكتاب تختلف اختلافاً يدعو الباحث إلى أن يظن أن الكتاب ترجم أكثر من مرة. فهل اختلاف النسخ التي أمامنا يرجع إلى اختلاف الترجمة ؟

هذا البحث لا يمكن أن يوفى حقه من النظر ومقابلة النصوص إلا بعد الاطلاع على مخطوطات صحيحة متعددة. وليس لدينا الآن من النصوص التي يوثق بها بعض الثقة إلا نسختنا ونسخة شيخو، وهما متقاربتان لا يمكن أن تكونا ترجمتين مختلفتين؛ وإنما الخلاف الكثير بينهما وبين النسخ الأخرى الملفقة كما بينت آنفاً. وهذا التلفيق يمنعنا أن نقطع رأياً في هذا الشأن؛ فإني أجد اختلافاً بين نسختنا وهذه النسخ يشبه أن يكون اختلافاً بين ترجمتين، ثم أجد جملاً متماثلة لا تصدر إلا عن كاتب واحد. ولست أستطيع أن أثبت صلة هذه الجمل المتماثلة بالمتون المختلفة لما دخل النصوص من التلفيق .

على أي، مع إعواز النصوص التي تعين على صحة الرأي، أرجح أن اختلاف النسخ التي بين أيدينا ليس اختلاف ترجمة إلا في زيادة بعض الأبواب ونقصها، وهي أبواب يتبين فيها أسلوب يخالف أسلوب ابن المقفع، وسيأتي بيان هذا .

فإن لم يكن اختلاف النسخ اختلاف ترجمة فكيف وقع في الكتاب ؟ قبل إجابة هذا السؤال ينبغي أن نجيب سؤالاً آخر : لماذا ترجم الكتاب أكثر من مرة ؟

ترجمه عبد الله بن المقفع، ثم ترجمه عبد الله بن هلال الأهوازي، ونظمه أبان اللاحقي ثم سهل بن نوبخت ثم ابن الهبارية من بعد .



وكذلك ترجم من العربية إلى الفارسية أيام السامانيين، ثم ترجمه نصر الله بن عبد الحميد في عهد الغزنويين ثم ترجمه الكاشفي في القرن العاشر، ونُظم بالفارسية أكثر من مرة .
وكذلك تعددت تراجم الكتاب في بعض اللغات الأوروبية (انظر جدول التراجم ص (٢٥ 25) .
سبب تعدد الترجمة في اللغة الواحدة أنه كتاب أدبي ذو قصص ومواعظ يختلف الكتاب في إجمالها وتفصيلها .
وفي طريقة قصصها وأسلوب بيانها، فربما يبدو لمتراجم أن يخالف من سبقه بالإجمال والتفصيل أو التأنق في العبارة وتيسيرها، وهكذا .
وهذا السبب الذي دعا إلى تعدد تراجم الكتاب في اللغة الواحدة هو الذي أدى إلى اختلاف نسخه وإن رجعت إلى ترجمة واحدة. فقد لقي هذا الكتاب من عناية الأدباء والمؤدبين ما جعله كتاب تأديب، وحاول بعض الكتاب والمؤدبين أن ييسروا بعض عباراته أو يُغريوا فيها، وأن يوجزوا فيها أو يطنبوا، فكان من ذلك اختلاف نسخ الكتاب .
ولعل تعدد الترجمة قد يسّر للناس التصرف في أسلوب الكتاب بعد قياس ترجمة بأخرى، أو سوّغ لهم أن يدخلوا عبارات ترجمة في عبارات ترجمة أخرى، وهكذا. ولعل أسلوب ابن المقفع، وهو طويل الجمل مستغلق أحياناً، دعا إلى تغيير كثير في متن الكتاب .
وبعد فهي قضية لا بدّ للفصل فيها من مقايسة مخطوطات لا نستطيع الاطلاع عليها الآن. وعسى أن نتاح الفرصة من بعد، بتوفيق الله .

6 - أبواب الكتاب

الأبواب التي تحتويها النسخ المختلفة من هذا الكتاب تنقسم إلى الأقسام الآتية :

1 - المقدمات وهي :

« مقدمة عليّ بن الشاه الفارسي »، « عرض الكتاب لابن المقفع »، « بعثة برزويه إلى بلاد الهند »، « باب برزويه الطبيب » .

2 - الأبواب الخمسة الأولى، بعد استثناء « باب الفحص عن أمر دمنة »، وهي الأبواب التي يحتويها الأصل الهندي « پنج تنتر » :

« الأسد والثور »، « الحمامة المطوقة »، « البوم والغريبان »، « القرد والغليم »، « الناسك وابن عرس » .
ويتبع هذا القسم باب « الفحص عن أمر دمنة »، وهو بعد باب « الأسد والثور » ومكمل له. وباب « السائح والصواغ » وقد جاءت قصته في أثناء الباب الأول من « پنج تنتر » .

3 - والقسم الثالث: الأبواب الثلاثة التي تلي الخمسة المعدودة في القسم الثاني، وهي معروفة في كتاب « المهابهارتا » :

« الجرد والسنور »، « الملك والطائر »، « الأسد وابن آوى » .

4 - والقسم الرابع الأبواب الأخرى وهي قسمان :

1 - الأبواب التي تتفق عليها النسخ وهي :

«إبلاد وإبراحت وشادرم ملك الهند»، «اللبوة والأسوار»، «الناسك والضيف»، «ابن الملك وأصحابه» .

ب - الأبواب التي توجد في بعض النسخ دون بعض وهي :

«ملك الجرذان»، «مالك الحزين والبطّة»، «الحمامة والتعلب ومالك الحزين» .

فهذه واحد وعشرون باباً تتضمنها نسخ الكتاب على اختلافها. وإذا تركنا المقدمات جانباً وأخرجنا الأبواب الأخيرة التي تختلف فيها النسخ بقي أربعة عشر باباً، منها تسعة معروفة في اللغة السنسكريتية وهي الخمسة التي في «بنج ننترا» و«باب السائح والصواغ» الذي يتضمنه الباب الأول من ذلك الكتاب، والثلاثة التي في «المهابارتا». والخمسة الباقية لم تعرف في اللغة الهندية حتى اليوم، وهي باب «الفحص عن أمر دمنة» والأبواب الأربعة الأولى من القسم الرابع .

ونجد في الترجمة الفارسية لنصر الله بن عبد الحميد فهرس الكتاب في نهاية باب «بعثة برزويه» على هذه الصورة: «وكتاب كليله ودمنة هذا ستة عشر باباً منها الأصلي الذي وضعه الهند وهو عشرة أبواب، ومنها ما ألحقه الفرس وهو ستة أبواب». ثم يذكر العشرة الهندية وهي خمسة الأبواب الأولى التي يتضمنها «بنج ننترا» و«باب الفحص عن أمر دمنة»، وثلاثة الأبواب التي في «المهابارتا» يزداد عليها باب «الأسوار واللبوة». ويعتد المترجم بعدها الأبواب التي ألحقها الفرس وهي بابان من المقدمات وأربعة من أبواب الكتاب .

وهذا نسق الأبواب كلها كما ذكرت في هذا الفهرس :

الأبواب الهندية

ا - «الأسد والثور»، «الفحص عن أمر دمنة»، «الحمامة المطوقة»، «البوم والغربان»، «القرود والسلفاة»،

«الناسك وابن عرس» (وهي الخمسة التي في بنج ننترا) .

ب - «الجرذ والسنور»، «الملك والظائر»، «الأسد وابن آوى» (وهي الثلاثة التي في المهابارتا) .

ج - «الأسوار واللبوة» .

الأبواب الفارسية

ا - «ابتداء كليله ودمنة» (وهو الذي يسمى في النسخ الأخرى باب «عرض الكتاب لابن المقفع» وهو

في هذه النسخة منسوب إلى بزرجمهر) و«باب برزويه الطبيب» .

ب - «الناسك والضيف»، «إبلاد والبراهمة»، «السائح والصايغ»، «ابن الملك وأصحابه» .

وأعرض على القارئ في الصفحات التالية تفصيل الكلام في أبواب الكتاب كلها .

القسم الأول من أبواب الكتاب :

المقدمات

فأما «مقدمة علي بن الشاه الفارسي» فلا ريب أنها زيدت على بعض النسخ العربية بعد ابن المقفع بقرنين أو أكثر. وقد خلت منها كثير من النسخ العربية القديمة كنسختنا ونسخة شيخو، كما خلت منها التراجم التي أخذت عن العربية كلها. ويرى لذلك أن كاتب هذه المقدمة هو علي بن محمد بن شاه الطاهري من نسل الشاه ابن ميكال المتوفى سنة ٣٠٢ هـ (302).

وهي مقدمة طويلة تضمنت بعض الأساطير التي خلفتها فتوح الاسكندر المقدوني في الشرق، وأريد بها الإبانة عن السبب الذي من أجله وضع هذا الكتاب، والتعريفُ بدبشليم الملك وبيدبا الفيلسوف اللذين يُذكران في فواتح الأبواب.

وإذا اكتفينا بهذه الكلمات عن هذه «المقدمة» بقي من القسم الأول ثلاثة أبواب: باب «عرض الكتاب لابن المقفع» وباب «بعثة برزويه إلى بلاد الهند لتحصيل الكتاب» وباب «برزويه الطبيب». والترتيب الطبقي أن تتوالى الأبواب على هذا النسق. وهي كذلك في نسختنا. ولكن النسخ الأخرى، عدا نسخة شيخو، تضع باب «عرض الكتاب لابن المقفع» بين باب «بعثة برزويه» وباب «برزويه الطبيب». ونسخة شيخو تضع باب «عرض الكتاب لابن المقفع» بعد الباين، وهو فيها ناقص سقط أكثره. وبعض النسخ العربية وترجمة نصر الله الفارسية تضع فهرس الأبواب في آخر باب «بعثة برزويه» قبل باب «عرض الكتاب لابن المقفع».

ويبين من هذا أن النسخ العربية تختلف في الترتيب بين باب «بعثة برزويه» وباب «عرض الكتاب». ولكنَّ هذه النسخ تتفق على نسبة عرض الكتاب إلى ابن المقفع، وتخالفها النسخة الفارسية ففتتح الباب بهذه الجملة: «ابتداءً قليلة ودمنة وهو من كلام بزرجمهر البختكان».

وأما باب «بعثة برزويه» فنسبته نسختنا ونسخة شيخو إلى بزرجمهر، وتغفل بعض النسخ تسمية كاتبه. وفتتحه النسخة الفارسية بقولها: «كذلك يقول أبو الحسن عبد الله بن المقفع».

فالنسخة الفارسية تجعل الباب الأول: باب «بعثة برزويه» من انشاء ابن المقفع، والباين التاليين من إنشاء بزرجمهر. فترتيب الأبواب فيها مقبول إن صحت نسبة الأبواب إلى من نسبتها إليهم. ولكني أبعد أن يكون باب

«عرض الكتاب» لغير ابن المقفع للأسباب الآتية:

- 1 - اتفاق النسخ العربية التي في أيدينا على نسبته إلى ابن المقفع.
- 2 - وأنه ينتهي في نسختنا بهذا الكلام: «وإنا لما رأينا أهل فارس قد فسروا هذا الكتاب وأخرجوه من الهندية إلى الفارسية ألحقنا باباً بالعربية ليكون له أسماً ليستبين فيه أمر هذا الكتاب لمن أراد قراءته، وفهمه، والاعتباس منه». وظاهر أن الباب الذي يبين مقصد الكتاب، ويدعو القارئ إلى قراءته وفهمه هو باب «عرض الكتاب».

وأبين من هذا ما في نسخة اليازجي آخرَ هذا الباب: «قال عبد الله بن المقفع لما رأيت أهل فارس قد فسّروا هذا الكتاب من الهندية إلى الفارسية وألحقوا به باباً وهو باب برزويه الطبيب ولم يذكروا فيه ما ذكرنا في هذا الباب لمن أراد قراءته واقتباس علومه وفوائده وضعنا له هذا الباب. فتأمل ذلك تُرشّد إن شاء الله تعالى».

3 - والثالث أنّ النسخة الفارسية نفسها تحتم هذا الباب بقولها: «يقول ابن المقفع لما رأينا أهل فارس ترجموا هذا الكتاب من لغة الهند إلى اللغة البهلوية أردنا أن يكون لأهل العراق والشام والحجاز نصيب منه وأن يترجم إلى العربية وهي لغتهم».

وإذا رجع أن باب «عرض الكتاب» من إنشاء ابن المقفع فكيف وضع بين باب «بعثة برزويه» وباب «برزويه الطبيب» في بعض النسخ؟ أبعّد هذا دليلاً على أنّ باب «بعثة برزويه» زيد على الكتاب بعد أن ترجمه ابن المقفع كما زيدت «مقدمة بهنود بن سحوان» (أو علي بن الشاه الفارسي)؟ أو يدل على أنّ ابن المقفع وضع هذا الباب وجعله مقدمة، ثم وضع باب «عرض الكتاب» كما وضع الفرس باب «برزويه الطبيب»، وهذا يوافق النسخة الفارسية وهي تنص على أنه من كلام ابن المقفع كما تقدم؟ أرجح أنه مزيد على الكتاب بعد ابن المقفع. وأما نسختنا فننسب باب «بعثة برزويه» إلى بزرجمهر كباب «برزويه الطبيب»، وتضعه بعد مقدمة ابن المقفع وهو ترتيب لا إشكال فيه.

والخلاصة أنّ الفرس زادوا على الكتاب باب «برزويه الطبيب»، وأنّ ابن المقفع زاد باباً آخر هو باب «عرض الكتاب»، وأنّ باب «بعثة برزويه» موضع نظر: أهو مقدمة لباب «برزويه الطبيب» كتبه بزرجمهر، أم هو من إنشاء ابن المقفع، أم هو مزيد على الكتاب بعد ابن المقفع؟ ولكني أرجح أنه مما زيد في النسخ العربية لما ذكرت آنفاً من وضعه في بعض النسخ قبل باب «عرض الكتاب لابن المقفع»، ووضع الفهرس بعده، ولأنّ الترجمتين السريانيّتين خاليتان منه، والأولى مترجمة عن الفهلوية والثانية عن العربية. وهو ليس في منظومة ابن الهبارية أيضاً. ومعنى هذا أنّ النسخ العربية القديمة لم تُجمع على هذا الباب فخلت منه الترجمة السريانية المأخوذة من العربية. وهذا يدل على أنه لم يكن في الفهلوية أيضاً. ويؤيد هذا أنه ليس في النسخة السريانية القديمة التي ترجمت عن الفهلوية.

القِسْمُ الثَّانِي مِنْ أَبْوَابِ الْكِتَابِ :

الأبواب الخمسة التي يتضمنها كتاب « پنج تنتر »

تتفق النسخ العربية وغيرها على وضع هذه الأبواب الخمسة أول الكتاب بعد باب « برزويه الطيب »، وعلى ترتيبها. وقد تضمنها كتاب مستقل في اللغة السنسكريتية. فهي أمهات الكتاب وأثبت أبوابه في التاريخ. وهي أجمعها قصصاً، وأكثرها مواضع وعبراً، وأطولها حواراً. وقد سمي الكتاب كله « كليله ودمنة » باسم ابني آوى اللذين هما محور القصص في الباب الأول: باب « الأسد والثور » (تنظر مقارنة القصص التي في هذه الأبواب بنظائرها في « پنج تنتر » في مقدمة الترجمة الإنجليزية لكتاب أنوار سهيل الفارسي الذي ترجمه ادورد إيستوك (Edward B. Eastwick). وأما باب « الفحص عن أمر دمنة » فلا يُعرف في الأدب الهندي، ولا يُلقى في النسخة السريانية القديمة. وينتهي باب « الأسد والثور » في « پنج تنتر » بأنَّ الأسد لم يفكر في شترية من بعد، وأنه جعل دمنة وزيره وعاش سعيداً. وليس في خاتمة باب « الأسد والثور » من نسختنا ونسخة شيخو ما يدل على أنَّ وراءه باباً للفحص عن أمر دمنة. والنسخ الأخرى العربية المطبوعة والنسخة الفارسية والسريانية الحديثة تحتم الباب بأنَّ الأسد اطلع على كذب دمنة فقتله.

والظاهر أنه باب إسلامي وضعه ابن المقفع لئلا ينجو دمنة الخائن من العقاب الجدير به. وفي الباب مسحة إسلامية ولا سيما في الكلام على النِّبَّة، وقد جاءت فيه كلمة: « الإسلام » في نسختنا. ولعلها سهو من الكاتب (انظر تعليقات باب « الفحص عن أمر دمنة » رقم 7) .

وأما باب « السائح والصَّوَّاع » فقد جاء في الباب الأول من « پنج تنتر » وهو باب « الأسد والثور ». وقد عثر عليه في مجموعة من الأساطير البوذية اسمها: « سَواهني » وكتاب آخر بوذي اسمه: « كوماجتكا ». فلا ريب أنه وضع بادىء بدء في الآداب الهندية .

القِسْمُ الثَّالِثُ مِنْ أَبْوَابِ الْكِتَابِ :

أبواب « الجرد والسنور » و « الملك والطار » و « الأسد وابن آوى »

هذه القصص الثلاث تلتفي في الحماسة الهندية الكبرى التي تسمى: « مهاجراتا ». وقصة « الملك والطار » تلتفي كذلك في كتاب آخر اسمه: « هرَونجه » .

وهي تتوالى في النسخ كلها كما تتوالى الأبواب الخمسة التي يتضمنها كتاب « پنج تنتر » وتليها في بعض النسخ. ويتخلل بين هاتين المجموعتين في نسخ أخرى بعض الأبواب، يفصل بينهما في نسختنا باب « إبلاد وإيراخت وشادرم » وباب « ملك الجرذان »، وفي نسخة شيخو باب « إبلاد وشادرم وإيراخت » وحده . وهذه الأبواب الثلاثة والأبواب الخمسة الأولى داخلية في العشرة التي عندها نصر الله بن عبد الحميد أبواباً هندية. وبقيّة العشرة باب « الفحص عن أمر دمنة » وباب « الأسوار واللبوة » .

ويظهر مما تقدم أنَّ النسخ التي تُولي بين هذه الأبواب الثانية أقرب إلى ما عرف من تاريخ الكتاب حتى اليوم، وأنَّ الفصل بين الأبواب الخمسة والأبواب الثلاثة طارئٌ على الكتاب. ثمَّ أحد البابين الفاصلين في نسختنا وهو باب «ملك الجرذان» ليس من كلام ابن المقفع بلا ريب. وفي هذا دليل آخر على أنَّ الفصل بين الأبواب الخمسة والأبواب الثلاثة حادث في الكتاب .

القِسْمُ الرَّابِعُ مِنْ أَبْوَابِ الْكِتَابِ :

وأما القسم الرابع فهو كما قدمت قسماً : أربعة أبواب تتفق عليها النسخ، وثلاثة تختلف في إثباتها .

1 - الأبواب التي تتفق عليها النسخ :

1 - والباب الأول من الأربعة المتفق عليها هو في نسختنا باب «إبلاد وإيراخت وشادرم ملك الهند». وهو كما يرى القارئ باب هندي بوذي يمثل العداوة بين البراهمة والبوذية ويشنع على البراهمة. وقد عُرِّ على القصة في اللغة التبتية. والظاهر أنه نقل إليها من الهندية. ووضعهُ في نسختنا ونسخة شيخو بين الأبواب التي عرف أصلها الهندي يؤيد هذا. ويرى القارئ أنَّ الباب قسماً مختلفان: الأول قصة الأحلام وتناولها، والثاني المحاورة بين الملك ووزيره. والقسم الثاني مختصر في نسخة دي سامي والنسخ المصرية، ومطلب في نسختنا ونسخة شيخو والنسخة السريانية الحديثة .

2 - وأما باب «البؤة والأسوار» فظاهر فيه النزعة الهندية: تحريم اللحم والافتيات بالفاهكة، ثمَّ الترحج من أكل الفاهكة والاجتزاء بالعشب حينما شكت الوحوش قلَّة الفاهكة .

3 - والباب الثالث، باب «التاسك والضيف» لا يوجد في السريانية القديمة المترجمة من الفهلوية، وليس فيه ما يدل على أصل هندي، بل فيه من ذكر التمر واللغة العبرية ما يبعده عن الهند. وإمَّا أن يكون مزيداً في اللغة الفهلوية وقد أسقط في الترجمة السريانية القديمة، وإمَّا أن يكون من زيادات النسخة العربية ألحقه ابن المقفع أو ألحق بعده. ولست أرى في أسلوبه ما يبعده من كلام ابن المقفع. وأتفقا النسخ العربية عليه يرجح هذا .

4 - وأما باب «ابن الملك وأصحابه» فقد رأى بعض الباحثين شبهاً بينه وبين قصة جاءت في الباب الأول من «بنج تنرا». ويرى الأستاذ فلكر أنَّ هذه المشابهة ضعيفة لا تبرر الحكم بأنهما من أصل واحد، وينقل عن Benfey رأيه في أنَّ الباب بوذي الأصل. وأرى أسلوبه ليس بعيداً من أسلوب ابن المقفع. فالظاهر أنه مما ترجمه كذلك

ب - الأبواب التي توجد في بعض النسخ دون بعض :

1 - فأما «باب ملك الجرذان» فهو لا يوجد إلا في نسختنا وحدها. ولا ريب أن لغته وأسلوبه بعيدان من لغة ابن المقفع وأسلوبه كل البعد؛ بل أرى فيه من الركاكة ومقاربة العامة ما يرجِّح أنه ألحق ببعض نسخ الكتاب بعد ابن المقفع بقرون. وهذا الباب يوجد في السريانية القديمة، وهو آخر أبوابها. ويظهر أنه ترجم منها أو من كتاب آخر وألحق بهذا الكتاب، ولذا تخلو منه نسخ عربية كثيرة، وتخلو منه أكثر التراجم التي نقلت عن العربية .

ويرى الأستاذ نلذكه أنّ هذا الباب فارسي لا هندي. وقد لخص فلكنر أدلة نلذكه ومنها أنّ الأسماء في هذا الباب ليست هندية وكثير منها فارسي، وأنه ورد أثناء الباب عبارة: « في أرض البراهمة ». وهي عبارة لا تقال في كتاب هندي، وأنّ في الباب جملة تدم الانتحار وهذا قريب من مذهب الفرس لا الهند (انظر مقدمة فلكنر ص XXXVI).

2- وأما باب « مالك الحزين والبطّة » فقد عثر عليه دي ساسي في بعض النسخ، وقد كتب ناسخه أنه باب زيد على الكتاب من بعد. ونحبرنا فلكنر أنه ورد في بعض المخطوطات العربية، ولم أجده في النسخ العربية المطبوعة كلها. ويوجد في بعض التراجم المأخوذة عن العربية كالترجمة الأسبانية والعبرية .

3 - وأما باب « الحمامة والثعلب ومالك الحزين » فقد ورد في النسخ المصرية والشامية المطبوعة إلا في نسخة شيخو. وليس في نسختنا* ولا في طبعة دي ساسي، وهو في بعض التراجم المأخوذة عن العربية كالاسبانية والعبرية كالباب الذي قبله .
وهذه الأبواب الثلاثة ليست في ظني من كلام ابن المقفع .

* * *

هذه خلاصة ما هدى إليه البحث في كتاب « كليله ودمنة » وتاريخه. وعسى أن تكون هذه المقدمة وهذه الطبعة خطوتين سديتين لم يظفر بمثلهما تاريخ الكتاب في اللغة العربية من قبل. وعسى أن يجدا من عناية الأدباء والباحثين ما يكافئ قيمتهما، ويجازي ما بذل من اجتهاد ودأب، وما احتمل من نفقة وعناء لإخراج الكتاب في صورة تفخر بها الطباعة في الأقطار العربية كلها . والله وليّ التوفيق .

عبد الوهاب عزام

القاهرة في ١٠ 10 مارس سنة ١٩٤١ 1941

* وقد أضفناه إلى نسختنا لأنه أقرب الأبواب الثلاثة إلى كلام ابن المقفع (المراجع) .



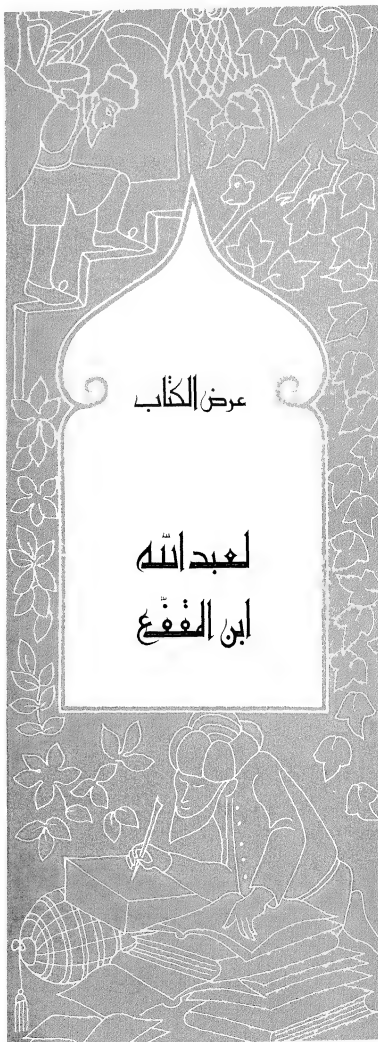
باب السجود

الحمد لله اللطيف الخبير ، العليم القدير ، القاهر في ملكه ،
العزيز في جوده ، العاقل في فضائه ، المتفرد في ملكوته ،
خاتم الخلق ، وبسط الرزق ، ليس كملكه شيء وهو المميع
الخير ، نعم المولى ونعم النصير ، خالق آدم بيده ،
ونعم فيه من زوجه ، وأمكن فيه حركته ، وتوالت
فلكه فزبت ، فمنهم سعيد بارادته ، وكفى بقدرته .

والشهادة لله لا اله الا الله ، وحده لا شريك له ، شهادة
أرجوها ، الف الف ، وفوزها يوم الاخر ، ولا يشهد لها
محمد لا جدوه ورسوله ، خلفه الهدى ، وقد فاز بها من
العتري . حسنى الله عليهم وعلى آله وصحبه وسلم .

عرض الكتاب

لعبد الله
ابن الففغ



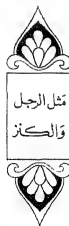


هذا كتابٌ كليلَةٌ وِدْمَنَةٌ. وهو مما وضعته علماءُ الهندِ من الأمثال والأحاديث التي التمسوا بها أبلغَ ما يجدون من القول، في النحو الذي أرادوا. ولم يزلَ العقلاء من أهل كل زمان يلتَمسون أن يُعقَلَ عنهم، ويحتالون لذلك بصنوف الحِيل، ويطلبون إخراجَ ما عندهم من العِلَل. فدعاهم ذلك إلى أن وضعوا هذا الكتاب، ولخّصوا فيه من بليغ الكلام مُتَصَرِّفًا في القول، وشِعَابًا يأخذون فيها والسباع. فاجتمع لهم من ذلك أمران: أما هُمُ فوجدوا مُتَصَرِّفًا في القول، وشِعَابًا يأخذون فيها. وأما هو فجمعَ كهوًا وحِكْمَةً. فاجتبه الحكماءَ لحِكْمَتِهِ، والسُّخْفَاءَ لِلْهُوهِ. وأما المتعلمون من الأحداثِ وغيرِهِم فنَشِطُوا لِعِلْمِهِ، وَخَفَّ عَلَيْهِم حِفْظُهُ. فإذا احتنكُ * الحَدِثُ واجتمع له أمرُهُ، وثاب إليه عقلُهُ، وتَدَبَّرَ ما كان حَفَظَ منه، وما وعاه في نفسه، وهو لا يدري ما هو - عَرَفَ أَنَّهُ قد ظَفِرَ من ذلك بكنوزٍ عظام. فكان كالرجل يُدْرِكُ فيجدُ أباه قد كَثُرَ له من الذهب والفضة،

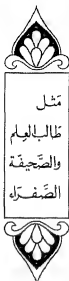
* بلغ أشده.

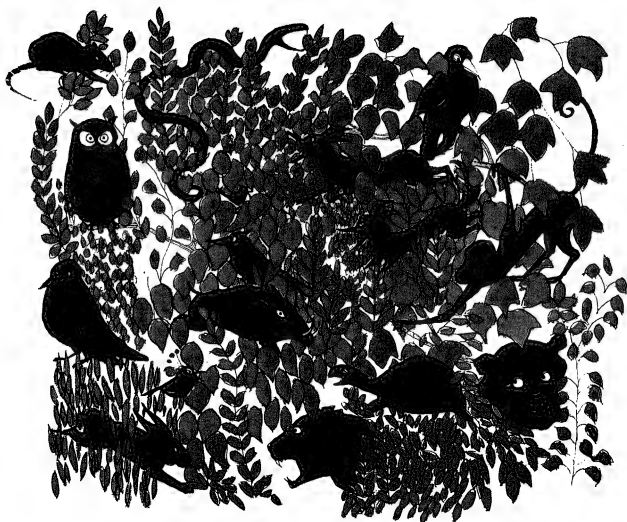
واعتقد* له ما استغنى به عن استقبال السعي والطلب. ولم يكن - إذ كثرت صنوف أصول العلم ثم تفرعت فروعها - بدُّ من أن تكثر العلل التي تجري عليها أقاويل العلماء .

فأول ما ينبغي لمن طلب هذا الكتاب أن يبتدىء فيه بجودة قراءته والتثبت فيه، ولا تكون غايته منه بلوغ آخره قبل الإحكام له؛ فليس ينتفع بقراءته ولا يفيد منه شيئاً. وإن طمحت عيناه إلى جمعه، ولم يأخذ منه ما يعي الأول فالأول، فإنه خليق ألا يصيب منه إلا كما أصاب الرجل الذي بلغني أنه رأى في بعض الصحارى كثراً؛ فلما كشف عنه ونظر إليه رأى شيئاً عظيماً لا عهد له بمثله، فقال في نفسه: إن أنا أحرزت ما ههنا بنقله وخصي لم أنقله إلا في أيام، وجعلتُ لنفسي عملاً طويلاً؛ ولكن أستأجر رجالاً يحملونه. ففعل ذلك، وجاء بالرجال فحمل كل واحد منهم ما أطاق. وانطلقوا، فإذا زعم، إلى منزله. فلم يزل دائباً في ذلك حتى فرغ واستنفد الكنز كله. ثم انطلق إلى منزله بعد الفراغ فلم يجد شيئاً، وجد كل رجل منهم قد حاز ما حمل نفسه؛ ولم يكن له إلا العناء في استخراجها والتعب عليه .



فليس ينبغي أن يجاوز شيئاً إلى غيره حتى يُحكمه ويتثبت فيه وفي قراءته وإحكامه. فعليه بالفهم لما يقرأ والمعرفة حتى يضع كل شيء موضعه وينسبه إلى معناه. ولا يعرض في نفسه أنه إذا أحكم القراءة له وعرف ظاهر القول، فقد فرغ مما ينبغي له أن يعرف منه. كما أن رجلاً لو أتى بجوز صبحاح في قشوره لم ينتفع به حتى يكسره ويستخرج ما فيه. فعليه أن يعلم أن له خبيئاً وأن يلتمس علم ذلك. ولا يكن كالرجل الذي بلغني أنه طلب علم الفصاحة فأتى صديقاً له ومعه صحيفة صفراء. فسأله أن يكتب له فيها علم العربية. فكتب له في الصحيفة ما أراد. فانطلق الرجل إلى منزله وجعل يقرأها ولا يدري ما معناها. وظن أنه قد أحكم ما في الصحيفة - وأنه تكلم في بعض المجالس وفيه جماعة من أهل الأدب والفصاحة. فقال له بعضهم: لحت. فقال: ألحن والصحيفة الصفراء في منزلي؟ فالمرء حقيق أن يطلب العلم فإذا وجد حاجته منه





وضعوا هذا الكتاب على أفواه الطير والبهائم والسياع .

وفهمه وعرفه وبلغ غايته منه، انتفع بما يرى فيه من الأدب. فإنه يقال في أمرين لا ينبغي لأحد أن يقصر فيهما بل يُكثِرُ منهما: حُسْنُ العمل والتزوّدُ للآخرة .

ويقال أيضاً في أمرين يحتاج إليهما كلُّ من احتاج إلى الحياة: المالُ والأدب .

ويقال في أمرين: لا ينبغي لأحد أن يستكبر عنهما: الأدبُ والموت. ويقال: إنَّ الأدب



يجلو العقل كما يجلو الودك* النار ويزيدها ضوءاً. والأدب يرفع صاحبه كما ترفع الكرة يضرها الرجل الشديد. والعلم يُنجي من استعمله. ومن علم ولم يستعمل علمه لم ينتفع بعلمه، وكان كمثل الرجل الذي بلغني أن سارقاً دخل عليه في منزله فاستيقظ الرجل فقال في نفسه: لأسكن حتى أنظر غاية ما يصنع، ولأتركه حتى إذا فرغ مما يأخذ قمتُ إليه فنغصت ذلك عليه وكدرته. فسكت وهو في فراشه. وجعل السارق يطوف في البيت، ويجمع ما قدر عليه حتى غلب على صاحب البيت النعاس، وحمله النوم³ فنام ووافق ذلك فراغ السارق. فعمد إلى جميع ما كان قد جمعه فاحتلمه وانطلق به. واستيقظ الرجل بعد ذهاب السارق فلم ير في منزله شيئاً. فجعل يلوم نفسه ويعاتبها ويعض كفيه أسفاً. وعرف أن فطنته وعلمه لم ينفعاه شيئاً إذ لم يستعملهما.

والعلم لا يتيم لامرئ إلا بالعمل. والعلم هو الشجرة، والعمل هو الثمرة. وإنما يطلب الرجل العلم لينتفع به. فإن لم ينتفع به فلا ينبغي أن يطلبه. ورب رجل لو قيل له: إن رجلاً كان عارفاً بطريق مخوف ثم ركب فأصابه فيه مكروه أو أذى، لتعجب من جهله وفعله. ولعله أن يكون يركب من الأمور ما يعرف به القبح والذم وشر العاقبة، وهو بذلك أشد استيقاناً من ذلك الرجل الذي ركب الهول بجهله، وحمله على ذلك هواه. ومن لم ينتفع بمعرفته كان كالمرضى العالم الذي يعلم ثقل الطعام من خفيفه، ثم تحمله الشهوة على أكل الثقيل منه.

فأقل الناس عُذراً في ترك الأعمال الحسنة من قد عرف فضلها وحسن عائدها وما فيها من المنفعة. وليس يعلره أحد على الخطي، كما أنه لو أن رجلين، أحدهما أعمى والآخر بصير، وقعا في جب فهلكا جميعاً ولم ينبج البصير من الهلكة - لأنه صار والأعمى في الجب بمنزلة واحدة - لكان البصير عند العقلاء أقل عُذراً من الأعمى.

ومن كان يطلب العلم ليعلمه غيره وليعرفه سواه، فإنما هو بمنزلة العين التي ينتفع الإنسان بمائها وليس لها من تلك المنفعة شيء. فإن خلالاً ثلاثاً ينبغي لصاحب الدنيا أن يقتبسها ويقتبسها:



وتكلم في بعض المجالس وفيه جماعة من أهل الأدب والفصاحة .

منها العلم، ومنها المال، ومنها اتّخاذ المعروف. وقد قيل: إنه لا ينبغي لطالب أن يطلب أمراً إلا من بعد معرفته بفضلِهِ؛ فإنه يُعدّ جاهلاً من طلب أمراً وعنى نفسه فيه وليس له منفعة.

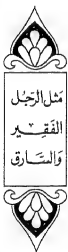
وقد نرى بعض من يقرأ هذا الكتابَ فيتعجب منه ويجهد نفسه في حفظه ويترك العمل به. (ولا ينبغي للعالم أن يعيب أحداً بما هو فيه) فيكون كالأعمى الذي غير الأعور بعوره.⁴ وينبغي لمن عقل ألا يطلبَ أمراً فيه مَصْرَّةٌ لصاحبه، يطلبُ بذلك صلاحَ نفسه فإنَّ الغادر مأخوذ. ومن فعل ذلك كان خليقاً أن يُصيبه ما أصاب الرجلَ الذي بلغني أنه كان يبيع السمسم،



وكان له شريك. فكان سمسهما في بيت واحد، غير أنَّ الذي لكل واحد منهما على حدة. فأحبَّ أحدهما أن يذهب بالذي لشريكه من السمس، ثم أحبَّ أن يجعل له علامةً حتى إذا دنا الليلُ عرفه بها، فعَمَدَ إلى رِداءه فغطَّاه به. ثم انطلق إلى صديق له فأخبره بالذي هم به، وسأله أن يُعينه عليه، فأبى صديقه ذلك إلا أن يجعل له نصف ما يأخذ منه، ففعل. ثم إنَّ شريكه دخل البيت فرأى سمسهُ مُغطَّى برداء صاحبه، فظنَّ أنه غطَّاه من التراب والدواب. فقال في نفسه: لقد أحسن شريكي في تغطيته سمسِي وإشفاقه عليه. وسمسُهُ أحقُّ أن يُعطَى بردائه⁵. فحوَّل الرداءَ على سمس صاحبه. فلما كان في الليل جاء التاجر، والرجلُ معه، ودخلا البيت وهو مُظلم. فجعل الرجلُ يلتمس ويحسُّ حتى وقعت يده على الرداء المغطَّى على السمس، وهو يُقدِّر أنه كما غطَّاه، وأنه سمسُ صاحبه. فأخذ نصفه وأعطى صديقه الذي عاونوه نصفه. فلما أصبح جاء هو وشريكه حتى دخلا البيت. فلما رأى الرجل أنَّ الذي ذهب سمسُهُ، ورأى سمس صاحبه على حاله، دعا بالويل، وعرف أنَّ الذي أخذه ذلك الرجلُ ليس برادِّه، ويخشى أن تكون فيه فضيحته، فلم يُقل شيئاً⁶.

وبنبغي لمن طلب أمراً أن تكون له غاية ينتهي إليها؛ فإنه من أجري إلى غير غاية أوشك أن يكون فيه عناؤه وتقوم فيه دابته. وهو حقيقٌ ألا يُعَيِّن نفسه بطلب ما لا يجد، وأن يكون لآخرته مؤثراً على دُنياه؛ فإنه قد قيل: مَنْ قَلَّ تعلقُهُ بالدنيا قَلَّتْ حسرته عند فراقها. وبنبغي له ألا يئس من أن يُصيب ذلك وإن قسا قلبه؛ فإنه يقال في أمرين يجملان بكل أحد؛ وهما النُسك والمال. وإنما مثل ذلك كالنار المتأججة التي لست تَقْدِفُ إليها خطباً إلا قبلته وكان لها موافقاً.

وربما أصاب الرجلُ الشيء وهو غيرُ راجٍ له، كما أصاب الرجلُ الذي بلغني أنه كانت به حاجةٌ شديدة، وختلةٌ ظاهرة، وفاقه وعري. فغدا يطلب من معارفه، وشكا إليهم، وسألهم ثوباً يلبسه. وجهِد فلم يُصَب شيئاً، ورجع إلى منزله وهو آيس. فبينما هو نائم على فراشه إذا بسارق قد دخل عليه في منزله فلما رآه الرجل قال: ما في منزلي شيء يستطيع هذا السارق أن يسرقه؛ فليصنع ما يشاء، وليُجهِد نفسه. وإنَّ السارق دار في البيت، وطلب فلم يجد شيئاً يأخذه. فغاظه ذلك، وقال في نفسه: ما أرى ههنا شيئاً، وما أُحِبُّ أن يذهب عَنائي باطلاً. فانطلق





إلى خابية فيها شيءٌ من بُرٍّ
فقال: ما أجْدُ بُدأ من أخذ
هذا البُرِّ إذ لم أجْد غيره .
فبسط ملحفة كانت عليه ،
وصبَّ ذلك البُرَّ فيها. فلما
بَصُر به الرجل قد جعل البُرَّ
في الملحفة وهو يريد أن ينطلق
بها قال: ليس على هذا صبرٌ ؛
يذهب البُرَّ ويجمعُ علي أمران:
الجوع والعُري. ولن يجتمعا على
أحدٍ إلَّا أهلكاه. فصاح بالسارق
فهرب من البيت وترك الملحفة.
فأخذها صاحبُ المنزل فلبسها
وأعاد البُرَّ إلى مكانه. فليس
ينبغي لأحد أن يئأس، ولا
يطلبَ ما لا يُنال؛ ولكن لا يَدَعْ
جُهداً في الطلب على معرفة؛
فإنَّ الفضل والرِّزق يأتيان من
لا يطلبهما؛ ولكن إذا نَظَرَ

وغلَب صاحب البيت النعاس،
فعمد السارق إلى جمع ما كان
قد جمعه، فاحتمله وانطلق به .

• قمع •

في ذلك وَجَدَ من طَلَبَ وأصاب أَكْثَرَ مَن أَصاب بِغير طلب، ولم يكن حَقِيقاً أَن يَقْتَدِيَ بذلك الواحدِ الذي أَصاب من غير طلب، ولكن يَقْتَدِيَ بالكثير الذين طلبوا فأصابوا .

وحقٌّ على المرء أَن يُكْثِرَ المَقَاسَةَ، وينتفعَ بالتجارب. فإذا أَصابه الشيء فيه مَضَرَّةٌ عليه حَذَرُهُ وَأَشْبَاهُهُ، وقاسَ بعضه ببعض، حتى يحذَرُ الشيءَ بما لَقِيَ من غيره؛ فإنه إن لم يحذَرِ إِلَّا الذي لَقِيَ بعينه لم يُحْكَمْ التجارب في جميع عُمره، ولم يزل يَأْتِيهِ شيء لم يكن أَتاه بعينه. فأما الذي يَنْبَغِي أَلَّا يدَعَهُ على حال فَأَن يحذَر ما قد أَصابه. وينبغي له مع ذلك أَن يحذَر ما يُصِيبُ غيره من الضرر حتى يَسَلَّمَ من أَن يَأْتِيَهُ مِثْلُهُ، ولا يَكُونَ مِثْلُهُ كَمِثْلِ الحمامة التي يُؤْخَذُ فرخاها فيذبحان، وترى ذلك في وَكْرُهَا، ولا يَمْنَعُهَا من الإقامة في مكانها حتى تُؤْخَذَ هي فُتْدِيحٌ .

وينبغي له مع ذلك أَن يَكُونَ للأُمُور عنده حَدٌّ لا يَجُوزُهُ ولا يُقَصِّرُ عنه؛ فإنه مَن جاز الحدَّ كان كَمَن قَصَرَ عنه؛ لأَنهما خالفا الحدَّ جميعاً. وينبغي أَن لا يَعْلَمَ أَن كلَّ إِنسانٍ ساعٍ؛ فمن كان سعيه لآخِرته ودنياه فحياته له وعليه⁷. ويقال في ثلاثة أَشياء: يحقُّ على صاحب الدنيا إِصلاحُها وَأَن يتدارك نفسه فيها: أَمْرُ دنياه، وأَمْرُ معيشتها، وأَمْرُ ما بينه وبين الناس. وقد قيل في أُمُورٍ شَتَّى: مَن كانت فيه لم يَسْتَقِمْ أَمْرُهُ له: منها التواني في العمل، ومنها التضييع للفرص، ومنها التصديق لكل مُخْبِر. وربَّ رجلٍ يُخْبِرُ بالشيء لا يَقْبَلُهُ، ولا يَعْرِفُ استقامته فيصدقُّ به لما يَرَى من تصديق غيره، فيتأدَّى به ذلك حتى يَكُونَ كأنه عَرَفَهُ. ورجلٌ يصدقُّ به لهواه في الأَمْر الذي يُخْبِرُ به. فالعاقِل لا يَزَالُ للهوى مَتَمِّهاً. وينبغي له أَلَّا يَقْبَلَ من أَحَد، وإن كان صَدُوقاً، إِلَّا صِدْقاً. وينبغي له أَلَّا يَتَأَدَّى في الخطأ ولا يتوانى في النظر. وينبغي له، إِذا التبس عليه أَمْر، أَلَّا يُلْجَ في شيء منه، ولا يُقَدِّمَ عليه قبل أَن يَسْتَيِقِنَ بالصواب منه، فيَكُونَ كالرجل الذي يَجُورُ عن سَنَنِ الطريق فيسيرُ على جَوْرِهِ وعلى الاعوجاج، ولا يَزِدُّ في السير حَتَّى إِذَا ازداد من الطريق بُعْداً، أو كالرجل الذي يَدْخُلُ في عينه القَذَى فلا يزال يدلكُها حتى يَعْلُوها البياض فتذهب. وعلى العاقل أَلَّا يَأْخُذَ إِلَّا بالحزم، ويعْلَمُ أَنَّ الأجزاء كائن. ومن أَتى إِلى صاحبه بمثل ما أَتَى إِليه فشقَّ عليه فقد ظَلَمَ⁸ .



فبسط السارق ملحفة كانت عليه وصب البرّ فيها .

فمن قرأ هذا الكتاب فليقتدِ بما في هذا الباب؛ فإنني أرجو أن يزيد به بصراً ومعرفة. فإذا عرفه اكتفى واستغنى عن غيره. وإن لم يعرفه لم ينتفع به، فيكون مثله كمثل الذي رمى بحجر في ظلمة الليل، فلا يدري أين وقع الحجر ولا ماذا صنع⁹.

وإنّا لما رأينا أهل فارس قد فسّروا هذا الكتاب¹⁰ وأخرجوه من الهندية إلى الفارسية ألحقنا

باباً بالعربية ليكون له أسساً ليستبين فيه أمر هذا الكتاب لمن أراد قراءته، وفهمه، والاقتباس منه .
فأول ما نبتدىء بذكر بعث برزويه إلى بلاد الهند .



وربى بحجر في ظلمة الليل .



باب

نویس
کسر انوشروان
برزویه
البلاد الهند



قال بزرجمهر¹ : أما بعد ؛ فإن الله ، تبارك وتعالى ، خلق خلقه برحمته ، ومن على عباده بفضله ، ورزقهم ما يقديرون به على إصلاح شأنهم ومعايشهم في الدنيا ، وما يدركون به استنقاذ أرواحهم من ألم العذاب . وأفضل ما رزقهم الله ومن عليهم به العقل الذي هو قوة لجميع الأشياء ؛ فما يقدر أحد من الخلق على إصلاح معيشة ، ولا اجترار منفعة ، ولا دفع مضرة إلا به . وكذلك طالب الآخرة المجتهد على استنقاذ روحه من الهلكة . فالعقل سبب لكل خير . وهو مكتسب بالتجارب والآداب ، وغريزة مكنونة في الإنسان كامنة ككوكب النار في الحجر والعود ؛ لا ترى حتى يقدحها قاذح من غيرها يظهر ضوءها وحريقها . كذلك العقل من الإنسان لا يظهر حتى يظهره الأدب وتقوية التجارب . فإذا استحكم كان هو ولي التجارب والمقوي لكل أدب ، والمميز لجميع الأشياء ، والدافع لكل ضرر . فلا شيء أفضل من العقل والأدب . فمن من عليه خالفه بالعقل ، وأعان هو على نفسه بالمثابرة على الأدب والحرص عليه سيد جده ، وأدرك أمته في الدنيا والآخرة .

والعقل هو المقوي الملك السعيد الجَدّ ، الجليل المرتبة . ولا تصلحُ السُّوقَة إِلَّا عليه وعلى تديره ² .

وقد ³ جعل الله لكل شيء سبباً ، ولكل سبب علةً ، ولكل علةٍ مجرى . وكان من علة انتساح هذا الكتاب ، ونقله من بلاد الهند إلى مملكة فارس ، إلهامُ الله تعالى أنوشروانَ كسرى ابنَ قباد في ذلك ؛ لأنه كان من أفضل ملوك فارسَ علماً وحُكماً ورأياً ، وأكثرهم بحثاً عن مكامن العلم والأدب ، وأحرصهم على طلب الخير ، وأسرعهم إلى اقتناء ما يزيّنه بزينته الحكمة ، وفي معرفة الخير من الشرِّ ، والضّر من النفع ، والصدق من العدو . ولم يكن يعرف ذلك إِلَّا بعون الله خلفاءه وساسة عبادَه وبلاده لإقامة رعيته وأموره . فكان مما خصَّ الله به كسرى أنوشروانَ أن أكرمَه بهذه الكرامة ، ورزقه هذه النعمة ؛ حتى استوفقت له الرعية ، وأذعنَتْ له بالطاعة ، وصفت له الدنيا ، وانقادت الملوكُ له ، فركنت إلى طاعته . وتلك نعمة من الله سابعةٌ قسمها له في دولته ، وعُبابُ ملكه .

فبينما هو في عزِّ ملكه وبهاء سُلْطانه إذ بلغه أنَّ بالهند كتاباً من تأليف العلماء ، وترصيف الحكماء ، وتدير الفهماء ، قد مُيزت أبوابه ، وأثبتت عجائبه على أفواه الطير والبهايم والوحش والسياب والهوامِّ ومائر حشرات الأرض ، مما يحتاج إليه الملوك في سياسة رعيّتها وإقامة أودها وإنصافها . فلا قوامَ للرعية إِلَّا بحسن سياسة الملوك ، وسعة أخلاقها ، ورأفتها ورحمتها . ولذلك لم يدع كسرى أنوشروانُ اقتناء ذلك الكتاب الذي بلغه عنه أنه ببلاد الهند ، وضمه إلى نفسه ، والاستعانة به على سياسته ، والعمل بحسن تديره .

فلما عزم على ما أراد من أمره ، وهمَّ بالبعثة في طلب كتاب كَلِيْلَة وِدْمَة وانتساخه قال في نفسه : من لهذا الأمر العظيم ، والأدب النفيس ، والخطب الجليل الذي يزيّن به ملوكُ الهند دون ملوك فارس ؟ وقد هممنا ألا ندعَ - مع بُعد السفر ، وصعوبة الأمر ، ومخاطر الطريق ، وكثرة النفقة - طلب هذا الكتاب حتى نصل إلى نسْخه ونقف على إقنانه ، ورسالة أبوابه ، وعجائبه . ولا بد لنا من أن ننتخب مَنْ نُريد إرساله في ذلك من هذين الصنّفين من الكتاب والأطباء ؛ فإنَّ أهل هذين يجتمع عندهم جوامعٌ من بُحور الأدب ، وكُنُوز الحكمة ،

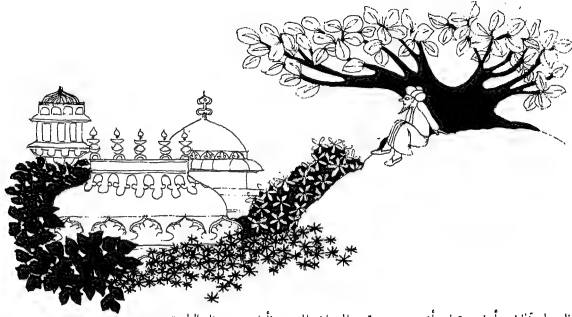
في أناةٍ وتؤدّة ، وتجربةٍ وتفادٍ حيلة ، وتحفّظٍ وتحرّزٍ ، وكمالٍ مروءة ، ودهاءٍ وفطنة ، وحلمٍ وتصنّعٍ ، ولطفٍ سياسيٍّ وكيانٍ سرّ .

فلما فحّصَ الرأيَ فيما أجمع عليه ، اختار في مملكته ، وانتخب من علمائه ، فلم يجد أحداً على نحو ذلك إلا برزّويه بن آذرهربد⁴ . وكان من رؤساء أطباء فارسٍ ومن أبناء مُقاتِلِها . فدعاه كسرى وقال له : إنّنا قد انتخبناك لموضع حاجتنا ، ونفّر سنّا فيك الخير ، وأملنا فيك أن تكون على ما أردنا من إصابةٍ هذه الحاجة التي نحن مُرسِلوك فيها ؛ لما علّمنا عنك من الاجتهاد في العلم والأدب ، وجرحيك على طلبهما .

ونحن مُرسِلوك إلى بلاد الهند لما بلغنا عن كتابٍ عند ملوكها وعلمائها قد ألّفته العلماء ، وهذبته الحكماء ، وأتقنه الفطناء ، ليس في خزائن الملوك مثله - يستعين به على عظامتهم ملوكُ الهند . فتعزّم على المسير بسببه فستفيده برفقٍ وتؤدّة وتلطفٍ . وتحملُ معك من المال ما أردت ، ومن طُرف بلاد فارس وهداياها ما تعلم أنه يُعينك على استخلاصه ، مع ما تقدّر عليه من الكتب التي يحتاج إليها الملوك . وليكن ذلك في سرّ مكتوم .

فإذا أكملتَ ما تريده وأنت في بلاد الهند ، كتبتَ إلينا بذلك ، وأسّرتَ الوفودَ إلى حضرتنا ؛ فإنّا مُجزّلو عطيّتك ، ورافعو درجتك ، ومُبلغوك فوق ما أمَلْتُهُ من دولتنا . فبادِرْ لما أُمِرْتَ ، واحفظ ما وُصِّيتَ به ، وليكن من شأنك التثبُّتُ والتأني في جميع أمورِك . فخرّ برزويه ساجداً وقال : سمعاً وطاعةً . سيّجِدني الملك كما أحبّ إن شاء الله . ثم نهض إلى منزله فتخيّر من الأيام أيّنها ، ومن الساعات أبركها ، وسار في اليوم المختار ، فلم يزل تخفّضه أرض وترفعه أخرى حتى قدم إلى بلاد الهند ، فأراح من وعثاء الطريق .

ثم إنه طاف بباب الملك ، وتخلّل مجالس السوقة ، وسأل عن قرابة الملوك والأشراف ، وعن العلماء والفلاسفة . فجعل يغشاهم في منازلهم وعلى باب الملك ، ويتلقّاهم بالتحية والمساءلة ، ويخبرهم أنه قدم بلادهم لطلب العلم والأدب ، وأنه مُحتاجٌ إلى معوتهم على ما طلب من



فلم يزل تخفضه أرض وترفعه أخرى؛ حتى قدم إلى بلاد الهند، فأراح من وعناء الطريق .

ذلك، ويسألهم إرشاده إلى حاجته، مع شدة كتمانهم لما قدم له، وكتمانته عنه. فلم يزل كذلك زماناً طويلاً؛ يتأدّب بما هو أعلم به، ويتعلّم من العلم ما هو ماهر فيه، ويكتني عن بُغيته وحاجته.

وانخذ، لطول لُبّته وإقامته، أصدقاء كثيرين من أهل الهند، من الأشراف والسوقة وأهل كل صناعة. واختصّ من جماعتهم رجلاً كان شريفاً عالماً يسمّى أزويه⁵. وكان صاحب سرّه ومشوّره لما ظهر له من علمه وفصل أدبه، وصحّ له من إخوانه ومحض مودّته، وفصاحة منطقته. وكان يُشاوره في جميع أموره، ويستريح إليه فيما يُهمّه؛ إلا أنه كان يكتُمه الأمر الذي هو بُغيته. وكان يبلّوه باللفظ لينظر هل يراه موضعاً لإطلاعه على سرّه فلم يزل يبحث عن ذات نفسه حتى وثّق به، وعلم أنه لما استودع من السرّ موضعاً، وفيما سأل مُشَفّع، وفيما استعان به

عليه مجتهد . فازداد له إطفاءً . فكان ، إلى ذلك اليوم الذي رجا أن يكون قد ظفر بحاجته ، قد أعظمَ النِّفَقَةَ معَ طولِ الغَيِّبةِ والطَّافِ الأصدقاء ، وبجالسهم على الطعام ومناديتهم على الشراب لطلب الثقات منهم فلم يطمئنْ إلى أحد منهم إلا إلى صديقه ذلك .

وكان مما حكَ* به برزويه صديقه ذلك ورازه** وفَتَشَ عقله ووثق به واطمأنَّ إليه ؛ أن قال له يوماً ، وهما خاليان : يا أخي ما أريد أن أكتمك من أمري شيئاً فوق ما قد كتمتُك . فاعلمُ أني لأمر جئت ، وهو غير ما ترى يظهرُ مني . والعاقِلُ يكتفي من الرجل بالعلامات الظاهرة فيه ، من نظره وإشارته بيده . فيعلمُ سرَّ نفسه ، وما يُضمرُّ عليه قلبه . قال الهندي : إني وإن كنتُ لم أبدأك ، ولم أخبرك بما له جئت ، وإياه طلبت ، وأنت تطلبه وأنت تُظهر غيره فإنه لم يكن يخفي عليّ . ولكن ، لرغبتني في إحتائك ، كرهتُ أن أواجهك بأنه قد ظهر لي ما تَكْتُمُ ، وأنه قد استبان لي ما أنت فيه وما تُخفيه . فأما إذ افتتحت الكلامَ فأنا مُخبرُك عن نفسك ، ومُظهرُك سريرة* * أمرك ، ومُعلِّمُك حالَك الذي قَدِمْتَ عليه . فإنك قَدِمْتَ بلادنا لتسلبنا علومنا الرفيعة وكنوزنا النفيسة . فتذهبَ بها إلى بلادك لتسرَّ بها مَلِكُك . وكان قدومُك بالمر ، ومصادقتُك بالخديعة ؛ ولكن لما رأيتُ صبرَك ، وطولَ مُواظبتك على طلب حاجتك ، وتحفظُك من أن تسقط في الكلام - في طولِ لَيْثِك* * عندنا - بشيء نستدل به على سريرة أمرك ، ازدادت رغبة في عقلك ، وأحببتُ إخاءك . ولا أعلمُ أني رأيتُ أوزنَ منك عقلاً ، ولا أحسنَ أدباً ، ولا أصبرَ على طلب حاجة ، ولا أكتُمُ للسرِّ منك ، ولا أحسنَ خلقاً ، ولا سبياً في بلاد غربة ، ومملكةٍ غير مملكتك ، وعند قوم لم تكن تعرف سُنَّتَهُم ولا أمرهم .

واعلم أنَّ عقل الرجل يستبين في أمور ثمان : الأولى منها الرِّفْقُ والتلطف . والثانية أن يعرف الرجلُ نفسه ويحفظها . والثالثة طاعةُ الملوك وتحريُّ ما يرضيهم . والرابعة معرفة الرجلِ بموضع سرِّه ، وكيف ينبغي أن يُطْلِعَ عليه صديقه . والخامسة أن يكون على أبواب الملوك حَوْلًا* أريباً ملى اللسان . والسادسة أن يكون لسرِّه ولسرِّ غيره حافظاً . والسابعة أن يكون قادراً على لسانه فلا

* اختبر . ** جرب ما عنده ووزنه سر بقائل بصيراً بتحويل الأمور .

يلفظ من الكلام إلا ما قد رَوَى فيه وقدره . والثامنة إذا كان في المحفل لم يُجب إلا بما يُسأل عنه ، ولم يُظهر من الأمر إلا ما يجب عليه .

فمن اجتمعت فيه هذه الخصال الثمانية كان هو الداعي إلى نفسه الخير والريح ، والمجنب لنفسه الشر والخسران . وقد كملت هذه الخصال بأسرها وهي بيّنة ظاهرة فيك . ومن اجتمعت فيه هذه الخصال شُفّع في طلبته ، وأُسعِف بحاجته . وإن حاجتك التي تطلب قد أُرعبتني وأدخلت عليّ الوحشة والخشية ونسأل الله السلامة .

فلما سمع برزويه بذلك تيقّن أنه قد ظفر بحاجته . وأقبل عليه ، وقال : يا أخِي لم تُخطِر فِرَاسِي فيك في أول مَقْدَمِي عليك ، واستأعي جوابك . وإنما رميتك بجملة كلامي ، وإيجاز منطقي ، لما علمتُ من حُسْنِ مَنَقِبَتِكَ ، وبُعد مذهبك ، وغوصك على معدن الفطنة والحكمة . فلذلك وثقتُ منك بحسن القول مني وقبول كلامي ، وإسعافي بحاجتي . وإن إفشاء السر إلى العلماء والعقلاء وأهل العلم ، والثقة بهم أفضلُ عِلَّة . وكذلك شَبَّهت العلماء مودِع الأسرار عند أهلها بالجليل الشامخ الذي لا تُزِيله الريح ، ولا تحرّكه بكثرة إذرائها . وأنت - بحمد الله - يدك عندي جميلة ، عليها أعتد .

قال الهندي : حَفِظُ الأسرار وكتائبها شَبَّهت العلماء بغلاف القارورة المغطّي عليها ؛ تراها واحدةً فإذا نُزِعَ الغطاء فَجَرَمَانِ اثْنان ، فإذا فُرِغَت مما فيها فهي ثلاثة مشهورة قد عُلِمَ بها⁶ . ورأسُ الأدب حَفِظُ السر ؛ لأنَّ السرَّ إذا تكلّم به لسانان صار إلى ثلاثة ، وإذا صار إلى ثلاثة شاع في الناس . ومثله في ذلك مثلُ الغيوم التي في السماء ؛ إذا كانت متقطّعة فادّعى ناس أنها مستوية ليس فيها خللٌ ولا فُرْجة ، كذبهم قوم آخرون . وعلى الناظر تمييزُ صدق ذلك من كذبه . ولك عندي يا أخِي - مع قُرب العهد بيننا - من الأيدي الكرام والألطف ، ما أتدّمُّ⁷ لذلك منك . وإنك تسألني حاجةً أتخوّف أن تَذيع أو يَفْطُن بها حاسد فيكون ذلك فيه هلاكي واستئصالي ،

٥ ما يعقد لك مني ذمة وأماناً .

ثم لا أقدرَ على الافتداء بعوض ولا مال ولا جاه ولا عون ؛ لأنَّ هذا الملك سُخطه أدنى شيء ، ولا يُرضيه كثرة التملُّق ولا التضرُّع . فذلك دعائي إلى الانقباض منك والتأكيد عليك .

قال برزويه : من أفضل الأشياء في الرجال كتمان السرِّ ، وحفظ ما استودع منه ؛ فإنما نجاحُ حاجتي بإذن الله في يدك ، وكتمانُ ذلك في يدي .

قال برزويه⁸ : إنَّ العلماء قد مدحت الصديقَ إذا كتمَ سرَّ صديقه . وهذا الأمر الذي قدمتُ له ، إياك اعتمدتُ به ، وإليك أفضيتُ . ولن يتجاوز مني ومنك إلى أحدٍ تَكَرَّهه وتُخاف إذاعته وإفشائه . وأنت تعلم أنك من قبلي آمِن ؛ ولكنك تتقي أهلَ بلادك المطيفين بالملك أن يُشيعوا ذلك ، وأرجو ألاَّ يَشيع ؛ لأنِّي ظاعِنٌ وأنت مقيم . وما أقمتُ فليس بيننا ثالث . فشفَّعه الهندي فيما طلب ، وأعطاه حاجته من الكتب ، ودفع إليه كتاب كلبيلة ودمنة⁹ .

فلما وقع برزويه في تفسير الكتب وسُخِّها ، أقام على ذلك زماناً عظمتُ فيه مئونته ونفقتُه ، وأنصَبَ فيه بدنه ، وسهر فيه ليله ، ودأب فيه نهاره من الخوف على نفسه .

فلما فرغ منه ومن سائر الكتب وأحكمها ، كتب إلى كسرى أنو شروان يُعلمه بما لقيَ من التعب والعناء ، وأنه قد فرغ منه ومن سائر الكتب . فأجابه كسرى في سرِّ مكتوم يأمره بالأوبة إليه ساعة يرِدُّ عليه الكتاب . فتجهَّز برزويه ، وخرج من بلاد الهند حتى ورد فارس ، ودخل على كسرى ، وخرَّ له ساجداً . فلما رفع رأسه واستوى قائماً ، رآه كسرى قد شحَبَ لونه وتغيَّرت سَخنته ، وشاب رأسه ، فرقَّ له وقال : أبشر أيها العبدُ المطيعُ مولاه ، الناصحُ لملكه ، ببشرى صالحة ؛ فقد استوجبتُ الشكرَ مِنَّا ، ومن جميع الخاصة والعامة ؛ فإنَّا لا نَدَعُ رَفْدَكَ والنظرَ لك . ونحن صانعون لك أفضلَ ما رجوت وأملت . ثم أمره أن ينصرف ويُرِيحَ بدنه سبعة أيام ثم يأتبه . ففعل . فلما كان في اليوم الثامن دعا به . وأمر أن يُحضَر العلماء والأشراف من أهل مملكته . وأمر بُزرجيه أن يقرأ الكتاب على رعوس الأَشهاد . فلما قرأ الكتاب وسمعوا ما فيه من العلم



فشفَّعه الهندي فيها طلب ، وأعطاه حاجته من الكتب .

والأدب والأعاجيب التي حكَّوها على ألسُن الحيوان والطير تعجَّبوا منه وشكروا الله على ما أنعم عليهم به من الأدب والمعرفة على يد برزويه وأحسنوا الثناء عليه .

ثم إنَّ الملك أمر بأن تُفتح خزائن الذهب والفضة لبرزويه ، وأمره أن يأخذ منها ما أحبَّ . فسجد برزويه للملك ، ورفَّع رأسه وقال : عشتَ أيها الملك حميداً مُخلِّداً . إنا بحمد الله قد

أفادنا الله، في دولة الملك وبهاء ملكه وعزّ سلطانه، ما لم نأمله. وكلّ ما أنعم الله علينا به، من الله ومن الملك. ولا حاجة لي إلى شيء من ذلك. لكني أريد أن أسأل الملك حاجةً يسيرة يكون لي في قضائها ذكرٌ وفخر. قال الملك: وما تلك الحاجة؟ قال برزويه: إن رأى الملك أن يأمر بُزرجيهـر بنَ البختكان أن يضع لي في رأس هذا الكتاب باباً باسمي، وينسبَ إليه شأني وفعلي ليكون لمن بعدي عبرةً وتأدياً، ويحيا به ذكرِي ما حييتُ في الدنيا، وبعد وفاتي. فإنه إن فعل ذلك فقد شرفني وأهل بيتي آخر الأبد¹⁰.

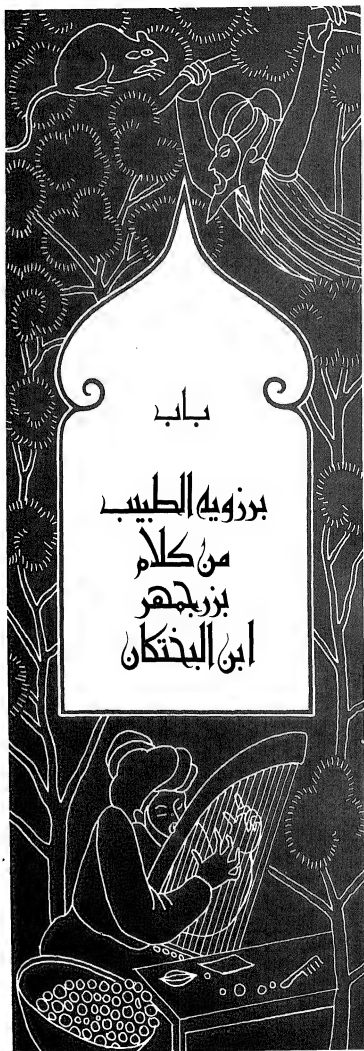
فقال الملك: ما أهونَ ما سألتَ في جنب ما استوجبت. وتقدّم إلى بُزرجيهـر بأن يضع له باباً وينسبه إليه، على موافقة الحق، ليكون تحريضاً لمن قرأه على طاعة الملوك، ولا يقصّر في إتقانه وتحبيره بغاية وسعه وطاقته¹¹. فقبل بُزرجيهـر وصيّة كسرى في ذلك، لعلّمه بحُسن رأيه في برزويه وإكرامه إياه. وأطّلب في ذلك الباب، واجتهد في إتقانه وترصيفه، ونسبه إليه، وذكرَ تنقله من حال إلى حال، وبحثه عن الأديان، والتماسه طلب الحكمة. ثم استأذن على الملك فقرأه بين يديه. فتعجب كسرى ومن بحضرته منه¹².

فلما قرأ الكتاب وسمعوا ما فيه من العلم والأدب والأعاجيب التي حكوها على ألسن الحيوان والطيور تعجبوا منه.



فمن قرأ هذا الكتاب فليعرف السبب الذي وُضِعَ عليه كتابُ كَلِيلَةِ وِدْمَنَةِ، وَحَوْلَ من أرض
الهند إلى أرض فارس، وليعرفَ فَضْلَ الملوِكِ وطاعتهم، ويؤثرها على سائر الأعمال، وليعلَمَ
أَنَّ الشَّرِيفَ من شَرَفَتْهُ الملوِكُ، ورفَعَتْهُ في دولَتِها .







قال بُرْزَجِهْر : إِنَّ بَرْزَوِيه رَأْسَ أَطْبَاءِ فَارَسَ ، وَهُوَ الَّذِي وَلَّى ائْتِسَاخَ هَذَا الْكِتَابِ وَتَرْجَمَتَهُ
مَنْ كُتِبَ الْهِنْدُ ، قَالَ :

إِنَّ أَبِي كَانَ مِنَ الْمُقَاتِلَةِ ، وَكَانَتْ أُمِّي مِنْ بَنَاتِ عِظَمَاءِ الزَّمَانِ * ، وَفَقِهَائِهِمْ فِي دِينِهِمْ .
وَكَانَ مِمَّا ابْتَدَأَنِي بِهِ رَبِّي مِنْ نِعَمِهِ أَنِّي كُنْتُ مِنْ أَكْرَمِ وَلَدِ أَبِي عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا ، وَأَنَّهُمَا أَسْلَمَانِي
فِي تَعْلِيمِ الطِّبِّ لَمَّا صَارَ لِي مِنْ عَمْرِي سَبْعُ سِنِينَ² . فَلَمَّا بَلَغْتُ وَعَرَفْتُ أَمْرَ الطِّبِّ وَفَضْلَهُ ، شَكَرْتُ
رَأْيَهُمَا فِي ذَلِكَ ، وَرَغِبْتُ فِي تَعَلُّمِهِ ، حَتَّى إِذَا شَدَّوْتُ مِنْهُ عِلْمًا ، وَبَلَغْتُ فِيهِ مَا أَمْنْتُ لَهُ نَفْسِي
عَلَى مَدَاوَاةِ الْمَرْضَى وَهَمَمْتُ بِذَلِكَ ، آمَرْتُ نَفْسِي وَذَكَرْتُهَا وَخَيَّرْتُهَا بَيْنَ الْأُمُورِ الْأَرْبَعَةِ الَّتِي
يَأْهَاهَا يَطْلُبُ النَّاسُ ، وَلَهَا يَسْعَوْنَ ، وَإِلَيْهَا يَجِدُونَ . فَقُلْتُ : أَيُّ هَذِهِ الْخِلَالِ يَنْبَغِي لِمِثْلِي أَنْ يَلْتَمِسَ ؟

* قِيمَ مِنْ أَتْبَاعِ « الْأَبَسَا » وَهُوَ كِتَابُ الْمَجُوسِ الَّذِي قِيلَ إِنَّ وَاضِعَهُ هُوَ زَرَادَشْتُ .

وأياها أخرى، إن هو بغاه، أن يدرك منه حاجته؟ آمالُ أم اللذاتُ أم الصوتُ أم أجرُ الآخرة؟ واستدللتُ على المختار من ذلك، فوجدتُ الطبَّ محموداً عند العقلاء، ولم أجده مذموماً عند أحد من أهل الأديان والمِلل. وأصبحتُ في كتبهم أن أفضل الأطباء من واطب على طِبِّه لا يريد بذلك إلا الآخرة. فرأيتُ أن أواطبَ عليه أبتغي ذلك، ولا ألتمسَ له ثَمَنًا ولا أكونَ كالتاجر الخاسر الذي باع ياقوتَه، كان مصيباً من ثمنها غنى الدهر، بحُرْزَةٍ لا تساوي شيئاً. ووجدتُ في كتبهم أيضاً أن الطبيب المبتغي بطبِّه أجر الآخرة، لا ينقصُه ذلك من حظِّه في الدنيا. فإنما مثله في ذلك مثلُ الحرَّاث الذي يُثير أرضَه ويعمرُها ابتغاءَ الزرع لا العُشب، ثم هي لا محالة نابتُ فيها ألوانٌ منه. فأقبلتُ على مداواة المرضى رجاءً ذلك. فلم أدعَ مريضاً، أرجو له البرءَ وأطمعُ له في خِفةِ الرجوع، إلا بلغتُ في معالجته جُهدِي. ومن قَدَرْتُ على القيام عليه قمتُ عليه وفعلتُ به ذلك وإلا وصفتُ له. ولم أرِدَ لشيء من ذلك جزاءً ولا مكافأة ممن فعلته به. ولم أعبطُ، من نُظرائي ومن هو مثلي في العلم وفوقي في المال، أحداً إلا بعين صلاح أو حسن سيرة في الناس قولاً وعملاً. وكنتُ أقرعُ نفسي إذا هي نازعتني إلى أن تغيطَ أولئك وتتمنى منازلهم، وآبى لها إلا الخصومة. وأقولُ: يا نفسُ أما تعرفين نفعك من ضُرِّك؟ ألا تنتهين عن الرغبة فيما لم ينلَه أحد إلا قلَّ انتفاعه به، وكثُرَ عناؤه فيه، واشتدَّتْ مَثَوْنَتُهُ عليه عند فراقه، وعظمتُ التبعَةُ عليه بعده؟ يا نفسُ أما تذكُرِينَ ما أملكُ فتنسِي ما تشرَّهين إليه فيما بين يديك؟ ألا تستحِينَ من مشاركة الفجرة الجهال في حبِّ هذه الفانية البائدة التي من كان في يده منها شيء فليس له، ولا بباقي عليه، والتي لا يألُفها إلا المغترُّون الغافلون؟ يا نفسُ أقصِرِي عن هذا السَّهْوِ، وما أنتِ عليه من خطَلِ الرأي فيه، وأقْبِلِي بِقَوْلِكَ وسعيك وما تملكين، على تقديم الخير والأجر ما استطعت، وإياك والتسويق والتواني. واعلمي أنَّ هذا الجسد ذو آفات، وأنه مملوءٌ أخلاطاً فاسدة قذرة تجمَعُها أربعةُ أشياء متعادِيَةٍ متغالبَةٍ تعيدُهنَّ الحياة، وهي إلى نفاذ. كالصمِّ المفصل أعضاؤه إذا رُكِّبتْ جَمَعُها مِسْمارٌ واحد، وأمسك بعضها على بعض. فإذا أُخِذَ المِسْمارُ تساقطتِ الأوصال. يا نفسُ لا تغترِّي بصُحبة أحيائك وأخلائك، ولا تحرِصي على ذلك؛

ويعمرها ابتغاء
الزرع لا العشب،
ثم ينبت فيها
ألوان منه .



فإنها، على ما فيها من السرور والبهجة، كثيرة الأذى والمثونات والأحزان؛ ثم نختم ذلك بقطع الفراق. كالغرفة تُستعمل في صحتها وجِدَّتْها في حرارة المرق وسخونته، فإذا هي انكسرت صار عاقبة أمرها إلى النار. يا نفس لا يحملنك ما تريدن من صلة أهلك وأقاربك والتماس رضاهم على جمع ما تهلكين فيه، فإذا أنتِ كالدُّخنة الطيبة التي تحترق ويذهبُ بعرفها آخرون، وكالدُّبالة تضيءُ لغيرها باحتراقها⁴. يا نفس لا تغترِّي بالغنى والمثلة التي تُبْطِرُ أهلها؛ فإنها إلى انقلاب. وإن صاحب ذلك لا يبصر صِغَرَ ما يستعظم حتى يفارقه؛ فيكونُ كشعر الرأس الذي يُكرمه صاحبه، ويخدمه ما دام على رأسه؛ فإذا فارق رأسه قَدَره وقَرَّ منه. يا نفسِ دومي على مداواة المرضى، ولا يعوقك عن ذلك أن تقولي إنَّ الطب مئونة شديدة، والناسُ بمنافعها ومنافع الطب جُهاًل؛ ولكن اعتبري بمن يفرج عن رجل كربةً تحلُّ به، ويستنقذه منها حتى يعودَ بعدها إلى ما كان يكون فيه من السَّعة والروح، فإنه أهلٌ لعظيم الأجر وحسن الجزاء. فكيف بالمتطبِّب الذي يفعل ذلك بالعدَّة التي اللهُ أعلمُ بها، فيعودون - بعد الأسقام المُضِية والأوجاع الحائلة بينهم وبين لذات الدنيا من طعامها وشرابها وأزواجها وأولادها - إلى أحسن ما كانوا يكونون عليه من حالاتهم. فإنَّ هذا خليقٌ بجزيل الثواب وعظيم الرجاء. يا نفس لا يبعدنَّ عليك أمرُ الآخرة الدائمة فتميلِي إلى الدنيا الزائلة، فتكونِي في استعجال القليل وبيع الكثير باليسير كالتاجر

الذي زعموا أنه كان له ملء بيت صندلاً، فقال: إن أنا بعته موزوناً طال عليّ. فباعه مجازفة بأخس الثمن .

فلما خاصمت نفسي بهذا وأخذتها به وبصرتها إياه، لم تجد له نقضاً، ولا عنه مذهباً ولا مُنصرفاً، فاعترفت وأقرت، ولَهِت عما كانت تنزع إليه وترغب فيه. وأقمتُ على مداواة المرضى ابتغاء أجر الآخرة. فلم يمنعني ذلك من أن أصبتُ من الدنيا حظاً جسيماً، ونصيباً عظيماً، من الملوك والأولياء والإخوان، قبل أن آتي الهند، وبعد رجوعي منها، وفوق الذي كان طمعي ينجح إليه، وفوق ما كنت له أهلاً .

ثم نظرت في الطب فوجدت الطبيب لا يستطيع أن يداوي المريض بلذاً يذهب عنه داءه، فلا يعود إليه أبداً ذلك الداء ولا غيره من الأدواء التي هي مثله أو أشد منه. فلم أدر كيف أعدّ البرء بُرءاً - والداء لا تؤمن عودته أو اعتيائه ما هو أشد منه - ووجدتُ عمل الآخرة هو الذي يُسَلِّم من الأذى حتى يبرأ صاحبها بُرءاً يأمن معه من الأدواء كلها. فاستخففتُ بالطب وأردت الدين. فلما وقع ذلك في نفسي اشتبه عليّ أمر الدين؛ أما كُتِبَ الطب فلم أجد فيها لشيء من الأديان ذكراً يدلّني على أهداها وأصوبها. وأما الملل فكثيرة مختلفة ليس منها شيء إلا وهو على ثلاثة أصناف: قوم ورثوا دينهم عن آبائهم، وآخرون أكرهوا عليه حتى ولجوا فيه، وآخرون يبتغون به الدنيا. وكلّهم يزعم أنه على صواب وهدى، وأن من خالفه على خطأ وضلالة. والاختلاف بينهم كثير في أمر الخالق والخلق، ومبتدأ الأمر ومُنتهاه، وما سوى ذلك. وكلُّ على كل زارٍ، وله علو، وعليه عائب. فرأيتُ أن أراجع علماء أهل كل ملة، وأناظرهم فأنظر فيما يصفون، لعلي أعرف بذلك الحق من الباطل فأختاره وألزمه على ثقة ويقين، غير مُصدّق بما لا أعرف، ولا تابعٍ ما لا يبلغه عقلي. ففعلتُ ذلك وسألتُ ونظرتُ فلم أجد أحداً من الأوائل يزيد على مدح دينه، وذم ما يخالفه من الأديان. فاستبان لي أنهم بالهوى يجيبون ويتكلمون، لا بالعدل. ولم أجد عند أحدٍ منهم صفة تكون عدلاً يعرفها ذو العقل ويرضى بها .

وشعر الرأس يكرمه صاحبه، ويخدمه
ما دام على رأسه، فإذا فارق رأسه قذره



فلما رأيت ذلك لم أجد إلى متابعة أحد منهم سبيلا، وعرفت أنني، إن أوافقه على ما لا أعلم، أكن كالمصدق المخدوع الذي^٦ زعموا أن جماعة من اللصوص ذهبوا إلى بيت رجل من الأغنياء ليسرقوا متاعه، فعلوا ظهر بيته ليلاً، فانتبه صاحب البيت لوطنتهم، وأحس بهم، فعرف أنه لم يعل ظهر بيته في تلك الساعة إلا لمرب. فأيقظ امرأته وقال لها: رويداً! إني لأحسب اللصوص قد علوا ظهر بيتنا. وأنا متناوِمٌ لك، فأيقظني بصوت رفيع يسمعه من فوق البيت من اللصوص، ثم قولي لي: ألا تخبرني عن أموالك الكثيرة هذه وكنوزك، من أين جمعتها؟ فإذا أبيت عليك فألحني في السؤال. ففعلت المرأة ذلك. وسمع اللصوص كلامها. فقال الرجل: أيتها المرأة، قد ساقك القدر إلى رزقٍ واسع، فكلي واشربي واسكتي ولا تسألي عما لو أخبرتك به لم آمن أن يسمعه سامع فيكون في ذلك ما أكره وتكرهين. فقالت المرأة: لعمري ما يقربنا أحد يفهم كلامنا. قال الرجل: فإني مخبرك أنني لم أجمع هذه الأموال والكنوز إلا من السرقة. قالت: وكيف كان ذلك وأنت في أعين الناس عدلٌ مرضي لم يتهمك ولم يسترب بك أحد؟ قال: ذلك لعلمي أصبته في السرقة كان الطف وأرفق من أن يتهمني أحد أو يرتاب في. قالت: وكيف كان ذلك؟ قال: كنت أذهب في الليلة المقمرة ومعني أصحابي حتى أعلو ظهر البيت الذي أريد أن أسرقه، فأنتهي إلى الكوة التي يدخل منها الضوء إلى البيت فألقي بهذه الرقية وهي: «شولم، شولم» سبع مرّات، ثم أعتنق الضوء فأهبط فيه إلى البيت، ولا يحسّ بوقوعي أحد. ثم

أَقُومُ فِي أَسْفَلِ الضَّوْءِ فَأَعِيدُ الرُّقِيَّةَ سَبْعَ مَرَّاتٍ فَلَا يَبْقَى فِي الْبَيْتِ مَالٌ وَلَا مَتَاعٌ إِلَّا ظَهَرَ لِي،
وَأُمَكِّنِي أَنْ أَتَنَاوَلَهُ، وَقَوِّتْ عَلَى حِمْلِهِ. ثُمَّ أُعِيدُهَا وَأَعْتَنُقُ الضَّوْءَ وَأَصْعَدُ إِلَى أَصْحَابِي فَأَحْمِلُهُمْ
مَا مَعِي، ثُمَّ نَنْسَلُ وَلَا يَشْعُرُ بِنَا أَحَدٌ.

فلما سمع اللصوص ذلك فرحوا وقالوا: لقد ظفّرنا من هذا البيت بأمرٍ هو خيرٌ لنا من
المال، وأمّا به من السلطان. وأطالوا المُكثَ حتى ظنّوا أن الرجل قد نام. ودنا رئيسُهم إلى مدخل
الضوء من الكوة فقال: «شَوْلَمْ، شَوْلَمْ» سبعَ مرّات. ثم اعتنقَ الضوء لينزل إلى البيت فوقع مُنْكَسّاً.
فوثب إليه صاحبُ البيت بهراوة فأرجعه ضرباً وقال له: مَنْ أَنْتَ؟ قال: أنا المصدّقُ المخدوعُ،
وهذه ثمرةُ تصديقي.

فلما تحرّزت من التصديق بما لم آمن أن يوقّعني في مهلكة، عدتُ إلى البحث عن الأديان
والتّمسّ العدل منها؛ فلم أجِدْ عند أحدٍ مِنْ كَلِمَتِهِ، في جواب ما سألتُهُ عنه، ولا فيما ابتدأني
به، شيئاً يحقّ عليّ في عقلي أن أوقِنَ به وأتبعه. فقلت: أما إذا لم أصب ثقةً آخذ منه فإنّ الرأي
أن أُلْزِمَ دينَ آبائي. وهممتُ بذلك فلم أر لي فيه مَخْرَجاً، ولا وجدت الثبوت على دين الآباء
سبيلاً، ولا لي فيه حُجَّةٌ ولا عندراً. فأردت التفرُّغ للعود إلى البحث عن الأديان والمسألة عنها.
فعرّض لي تخوُّفٌ قُرب الأجل وسرعته، وانقطاعُ الدنيا وفناؤها، وفكّرت في ذلك وقلت: أما
أنا فلعل موتِي يكون أَوْشَكَ من تقلّب كَفَيٍّ وَرَجْعٍ جَفَنِيٍّ على عيني. وقد كنتُ أعمَلُ أموراً
أرجو أن تكون من صالح الأعمال، لعل تردّدي وتنقّلي وبحثي عن الأديان يشغلني عن خير
كنتُ أفعله، فيكون أجلي دون ما يطمح إليه أُملي، أو يصيبني في تردّدي وتحوّلي ما أصابَ
الرجل الذي زعموا أنه علّق امرأة ذات بعل وعلّقته. فحفرّت له من بيتها سرباً إلى الطريق وجعلت
مَخْرَجَهُ عند حُبِّ الماء، تخوفاً أن يفاجئها زوجها أو أحد وهو عندها، فبينما هي ذات يوم

إني لأحسب اللصوص قد علوا ظهر بيتنا.

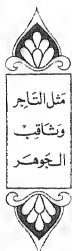


فقال المرأة: أيها المائق وما تصنع بالحب ؟



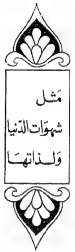
وهو عندها، إذ بلغها أن زوجها بالباب. فقالت للرجل: اعجل واخرج من السرب الذي عند الحب. فانطلق الرجل إلى ذلك المكان، فوافق الحب قد رفع من ذلك المكان. فرجع إلى المرأة قال: قد انتهيت إلى حيث أمرت فلم أجد الحب. فقالت المرأة: أيها المائق وما تصنع بالحب؟ وهل سميت لك إلا لتستدل به على السرب؟ قال: لم تكوني حقيقة أن تذكره لي فتغلطيني به. فقالت المرأة: ويحك! انج بنفسك، ودع التردد والحمق. فقال: كيف أذهب وقد خلطت علي؟ فلم تزل تلك حالته حتى دخل زوجها فأوجعه ضرباً ثم رفعه إلى السلطان.

فلما خفت التردد والتحول رأيت ألا أتعرض لهما، وأن أقصر على كل شيء تشهد العقول أنه بر، ويتفق عليه كل أهل الأديان. فكففت يدي عن الضرب والقتل والسرقة والخيانة، ونفسي عن الغضب، ولساني عن الكذب وعن كل كلام فيه ضرر لأحد. وكففت عن أذى الناس والغيبة والبهتان. وحصنت فرجي عن النساء، والتمست من قلبي ألا أمتنى ما لغيري، ولا أحب له سوءاً، ولا أكذب بالبعث والحساب والقيامة والثواب والعقاب، وزايلت الأشرار بقلبي، وأحببت الصالحاء جهدي، ورأيت الصلاح ليس مثله قرين ولا صاحب، ومكسبه - إذا وفق الله له - يسير، وأصبته خيراً على أهله، وأبر من الآباء والأمهات. ووجدته يدل على الخير،



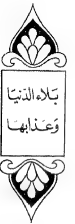
ويُشير بالنصح، فَعَلَ الصديق بالصديق. ووجدته لا ينقص إذا أنفقَ منه؛ بل يزداد على الإنفاق ويكثرُ، ولا يَخْلُق على الابتذال والاستعمال، بل يَحْدُ ويحسُن، ولا خوفَ عليه من السلطان أن يسلبه، ولا من الآفات أن تُفسدَه، ولا من النار أن تُحرِقَه، ولا من اللصوص سَرَقاً، ولا من السباع اقتراساً، ولا من ذي حِمَّةٍ لَدَغاً، ولا من الغارة، ولا من الجوائح. ووجدتُ الرجل الذي يزهد في الصلاح وعاقبته، ويُلْهِيه عن ذلك قليلُ ما هو فيه من الحلاوة العاجلة النفاذ، إنما مثْلُه، فيما ذهبَ فيه أيامُه، مثلُ التاجر الذي زعموا أنه كان له جَوهَر كثير، فاستأجر لثَقْبِه وعمله رجلاً بمائة دينار يومَه إلى الليل فانطلق به إلى بيته. فلما جلسا إذا بصنْجٍ موضوع، فنظر إليه، فقال له التاجر: أتحسِنُ أن تُضْرِبَ به؟ قال: نعم، قال: فدونك. فتناوله، وكان به ماهراً، فلم يزل يُسمِعه صوتاً حسناً مصيباً. وترك سَفَطَ جَوهَرِه مفتوحاً وأقبل عليه.

فلما أَمَسَى قال: مَرُّ لي بأجرتي. قال: وهل عملتَ شيئاً؟ قال: نعم. عملتُ ما أمرتني به. فوقاه أُجْرته، وبقي ما استأجره عليه غيرَ معمول. فلم أزدَ في أمور الدنيا نظراً إلا أحدث لي ذلك فيها زهداً. ورأيتُ أن أَعْتَصِمَ بالتألُّه والنُّسك، ووجدتهما اللذين يعمَّدان للعباد، كما يفعل بالمرء أبوه⁷. وشبَّهتهما الجَنَّةُ الحريزة في دفع الشر الباقي الدائم. ورأيتُهما البابَ المفتوح إلى الجَنَّة. ووجدتُ الناسك قد فكَّرَ فَعَلَّتْهُ السكينة، وشكر فتواضع، وقنع فاستغنى، ورضي فلم يهَمَّ، وخلع الدنيا فنجا من الشرور، ورفض الشهوات فصار طاهراً، وانفردَ فكَفَّيَ الأحران، وطرح الحسد فظْهَرَت منه المحبة، وسَخَتْ نَفْسُهُ عن كل شيءٍ فإن فاستكمل العقل، وأبصر العاقبة فأَمِنَ من الندامة، ولم يُخَفِ الناس فأَمِنَ منهم، ولم يُذنب إليهم فسلم. فلم أزدَ في أمر النُّسك تفكُّراً إلا أحدث لي عليه حرصاً. فَهَمَمْتُ أن أكونَ من أهله، ثم تَحَوَّتُ أَلَا أَصْبِرَ على عيشهم وأن تُردِّي العادة التي جَرِيتُ عليها وغُذِيتُ بها. ولم آمَن، إن أنا خلعتُ الدنيا وأخذتُ في النُّسك، أن أضعُف عنه، وأكونَ قد رفضتُ أموراً كنتُ أعملُها قَبْلَه، أرجو عائدتُها، فأكونُ كالكلب الذي مرَّ بنهرٍ وفي فيه ضِلْعٌ، فرأى ظِلَّهُ في الماء فأهوى إليه ليأخذه وترك ما كان معه فذهب، ولم ينل الذي طمِع فيه. فَهَبْتُ النُّسك هبَّةً شديدة. فأحجمتُ عن الإقدام عليه، وخفتُ على نفسي من الضجر فيه وقلة الصبر عليه، ودعاني الهوى إلى الرضا بما كنتُ عليه من حالي في الدنيا، والثبوتِ عليها. ثم بدا لي أن أقيسَ بين ما أَشْفَقُ أَلَا أَقْوَى عليه، من الأذى والضيق في



النُّسكُ، وبين الذي يُصِيب صاحبَ الدنيا من البلاء فيها. فكان يتحقَّق عِندي أَنه ليس من شهواتها ولذاتها شيءٌ إِلَّا وهو متحوِّلٌ مكروهاً وحُزناً، وأَنه كالماء المِلح الذي لا يزداد الظمآن منه شرباً إِلَّا ازداد به عطشاً. وكالعَظْم المتعَرِّق الذي يُصِيبه الكلب فيجدُ فيه رِيحَ لحم فلا يزال يَلوكه، وكلما ازداد له نَهشاً زاد كُدوحاً حتى يَدِمِّي فاه؛ وهو لا يُكَيِّر التماسه إِلَّا جَرَّحه وأدماه. وكالجدأة التي تظفر بالْبَضعة من اللحم، فتجتمع عليها الطير، فلا تزال في تعب حتى تلفظها وقد أَعْيَتْ وتعبت. وكالكوزة من العسل، في أسفلها سَمٌّ، والدائق لها مصيب منها حلاوة عاجلة، وفي أسفلها موت زُعاف. وكأحلام النائم التي تُفَرِّحه، فإذا استيقظ انقطع ذلك عنه. وكالبرق الذي يضيء قليلاً ويذهبُ وشيكاً، ويبقى راجيه في الظلام. وكدودة الأبريسم التي لا تزداد على نفسها لُفاً إِلَّا ازدادت تشبُّكاً، ومن الخروج بُعداً.

فلما فُكِّرْتُ في ذلك راجعتُ نفسي في اختيار النُّسكِ وخاصمتها فقلت: ما يجوز هذا أنْ أفرَّ من الدنيا إلى النُّسكِ، إذا فُكِّرْتُ في شرورها وأحزانها، ثم أهرَّب منه إليها إذا تذكَّرتُ ما فيه من الضيق والمشقة؛ فلا أزال في تصرُّف وفي تقلُّب لا أبرم رأياً، ولا أعزِّم عليه. فصرتُ كحديرونَ قاضي مَرَّو^٩ الذي سمع من أول الخصمين فقصى على الآخر، ثم سمع من الآخر فقصى له على الأول. فنظرتُ إلى الذي يتكأءُ دُنِّي من أذى النُّسكِ وضيقه فقلت: ما أصغرُ هذا في جنب رُوح الأبد وراحته ! وفُكِّرْتُ فيما تشره إليه النفس من اللهو واللذة فقلت: ما أَوْخمه مع ما يَتَخَوَّف من العذاب والهوان ! فكيف لا يَسْتَحِلِي الإنسان مَرارةً فانيةً قليلةً تُورِثُه حلاوةً كثيرةً بأقية .



ولو أنَّ الرجل عُرِضَ عليه أن يعيش ألف سنة، لا يأتي عليه يومٌ إِلَّا بُضِعَ^{*} لحمه، غيَّرَ أَنه شَرَطَ له أَنه إذا استوفاه نجا من الألم والمشقة، وصار إلى الأمن والسرور - كان حقيقاً أَلَّا يراها شيئاً. فكيف لا يصبر على أيام يسيرة، وأذى حقير يُصِيبه من الدنيا ؟ أو ليس إنَّما الدنيا كُلُّها عذاب وبلاء ؟ فَإِنَّ الإنسان يتقلَّب في ذلك من حين يكونُ جنيناً إلى أن يستوفيَ

* جرح وقطع .



فلم يزل يسمعه صوتاً حسناً . وترك سفظ جوهرة مفتوحاً .

أيامه . فإنا نجد في كتب الطب أن الماء الذي يُقدَّر منه الولد السيِّ، إذا وقع في رَجِم المرأة، اختلط بمائها ودمها، فخرَّ وغلظ، فحُضِّتْهُ الرِّيح حتى يصير كماء الجبن، ثم يصير كاللبن الرائب، ثم تنقسم أعضاؤه لإيَّان أجله . فإن كان ذكراً فوجهه قَبْلَ ظَهْر أمه . وإن كانت أنثى فوجهها قَبْلَ بطنها . ويداه على وجهه، وذقنه على ركبتيه، مقبَّض في المشيمة كأنه مصرور في صرة . وهو يتنفس من متنفِّس شاقّ عليه . وليس منه عضو إلا كأنه في وثاق؛ فوقه حرُّ البطن وثقله، وتحت ما تحته . منوطٌ قِمع سرته إلى مريءٍ بأمعائها، يمصُّ به من طعامها وشرابها . وبذلك يعيش ويحيا . فهو بهذه المنزلة وعلى هذا الحال إلى يوم ولادته . فإذا كان إيَّان ذلك سلَّطت الرِّيح على الرِّجَم، وقويَّ على التحريك، فيتصوَّب رأسه قَبْلَ المخرج، فيجد من ضيقه مثلاً

ما يجد صاحبُ الّهَقِّ من عَصْرِهِ. فإذا وقع على الأرض فأصابته ريح أو مَسْتَه يد، وجد لذلك من الألم ما يجد الإنسان الذي قد سُلِّخ جلدُه. ثم هو في ألوان العذاب إذا جاع وليس به استطعام، أو عطش وليس به استسقاء، أو اشتكى وليس به استغاثة، مع ما يلقي من الوضع والرفع واللف والحلّ والدّهْن والمسح. وإذا أُنِمْ على ظهره أو بطنه لم يستطع تقلّباً ولا تحوّلاً، مع أصناف من العذاب ما دام رضيعاً. فإذا هو أفلت من ذلك أخذ بالأدب، وأذيق منه فنوناً وألواناً، ثم الدواء والحِمْية، والأوجاع والأسقام، وغير ذلك. فاذا هو أدرك فهمه المال والأهل والولد، وتعب الشّرّ والحرص والمخاطرة والسعي، ومجاهدة العدو. وفي كل ما وصفت يتقلب معه أعداؤه الأربعة، من المِرّة والبلغم والدم والريح، والسّم المميّت والهوامّ والسباع والناس، والحرّ والبرد والأمطار والرياح، وألوان مكاره الهرم لمن بلغه. فلو لم يخف من هذه الأمور شيئاً، ووثق له بالسلامة منها، وكان حقيقاً ألا يفكر إلا في الساعة التي يحضره فيها الموت، ويفكر فيما هو نازل به عندها - من فراق الأهل والأحبة والأقارب، وكل مضمون به ومرغوب فيه، والإشراف على الهول العظيم الفظيع المهول بعد الموت - لكان حقيقاً أن يُعَدَّ عاجزاً مُفْطَراً واهناً، إن لم يُعَدَّ لذلك، ويتأهبّ لفجأته قبل حلوله ونزوله بعقوته *، ويرفض ما يشغله ويُلْهِيه من شهوات الدنيا وشرورها. لا سيما في هذا الزمان الهرم البالي الشبيه بالصباية والكدر؛ فإنه وإن كان الله تعالى قد جعل الملك سعيد الأمر، ميمون النقيبة، حازم الرأي، بعيد المقدرة، رفيع الأهمية، بليغ الفحص، عدلاً براً جواداً صادقاً شكوراً رَحِب الذراع، متفقداً للحقوق، مواظباً فهماً حليماً رءوفاً رحيماً، عالماً بالناس، مجباً للخير وأهله، شديداً على الظلمة، مُوسِعاً على رعيته، فإننا نرى الزمان مُدْبِراً بكل مكان، حتى كأن الفضل قد وُدِع. وأصبح مفقوداً ما كان عزيزاً فقدّه، موجوداً ما هو ضارّ لمن ظفر به. وكأن الخير أصبح ذابلاً والشرّ نضيراً. وكأن الغيّ أقبَلَ ضاحكاً، وأدبَر الرشد باكياً. وكأن العدل أصبح غابراً، وأصبح الجور غالباً. وكأن العلم أصبح مستوراً، وأصبح الجهل منشوراً. وكأن اللؤم أصبح أمراً، وأصبح الكرم موطوعاً. وكأنّ الود أصبح مقطوعاً، وأصبح الحقد موصولاً وكأنّ الكرامة قد سُلبت من الصالحين وتُوخِّي بها

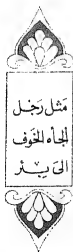
• جبل في طرفة أنشودة. • • • بساحته.

الأشرار. وكان الغدر أصبح مستيقظاً، وأصبح الوفاء نائماً. وكان الكذب أصبح غضاً، والصدق قاحلاً. وكان الحق وكى عائراً وأصبح العدوان قد جرى سبيله، والانصاف بائساً والباطل مستعلياً، والهوى بالحكام موكلاً، والمظلوم بالخسف مقرأ، والظالم لنفسه فيه مستطيلاً، والجرح فاعراً فاه يتلقف من كل جهة ما قرب منه وما بعد عنه، والرضا مجهوداً مفقوداً، والأشرار يسامون السماء، والأبرار يريدون بطن الأرض. وأصبحت المروءة مقدوفاً بها من أعلى شرف إلى أسفل مهواة، والدناءة مكرمة، والرفعة مجفوة، والسلطان منتقلاً من أهل الفضل إلى أهل النقص، والدنيا جدلة مسرورة تقول: قد غيبت الحسنات، وأظهرت السيئات.

فلما فكرت في أمر الدنيا وعلمت أن هذا الإنسان هو أشرف الخلق وأفضله فيها، ثم هو، على منزلته، لا يتقلب إلا في شر ولا يوصف إلا به، علمت أنه ليس من أحد له أدنى عقل يفهم هذا ثم لا يحتاط لنفسه ولا يعمل لنجاتها ويلتمس الخلاص لها إلا وهو ضعيف الرأي قليل المعرفة بما عليه وله. ونظرت فإذا هو لا يمنع من ذلك إلا لذة حقيرة يسيرة من المشرب والمطعم والشم والنظر والسمع واللمس، لعله يصيب منه طفيفاً لا يوصف، سريع انقطاعه وامتحائه وزواله. فالتمس له مثلاً فإذا مثله مثل رجل ألجأه الخوف إلى بثر تدكى فيها وتعلق بغصنين نابتين على شفرها فوق رجلاه على شيء عمدهما فنظر فإذا هو بأربع أفاع قد أطلعن رؤوسهن من أجحرتهن. ونظر إلى أسفلها فإذا هو بينتين فاعر فاه نحوه. ورفع بصره إلى الغصنين فإذا في أصولهما جردان أبيض وأسود يقرضانهما دائبين لا يفتران. فبينما هو على ذلك يهتم بالحيلة



وإذا أنم على ظهره أو بطنه لم يستطع تقليباً.

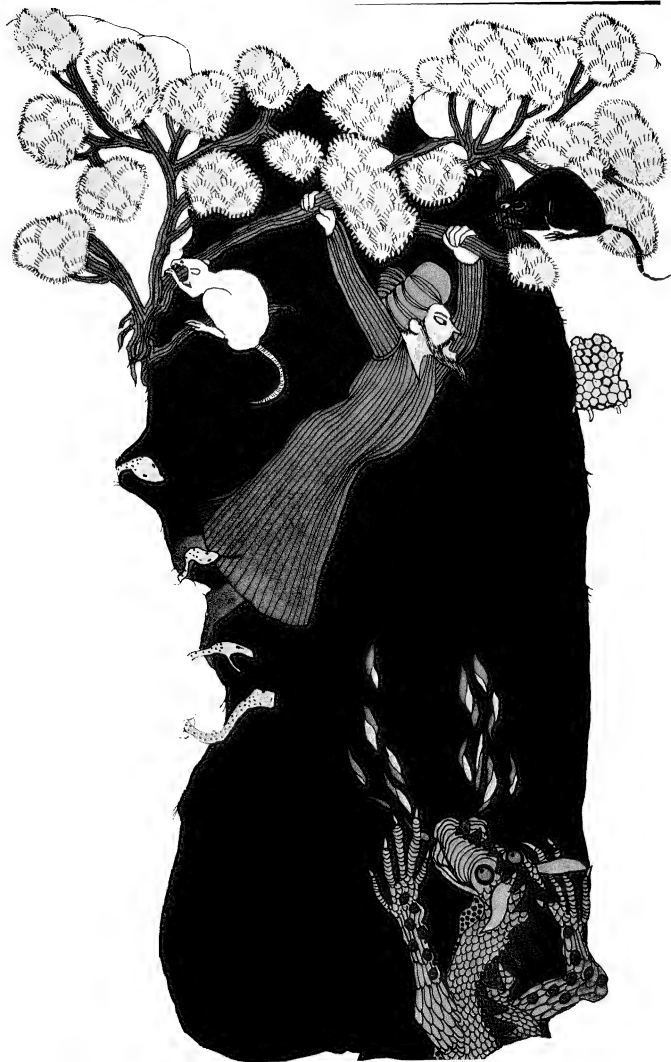


لنفسه إذ نظر فإذا قريب منه كؤارة نحل فيها شيء من عسل، فتقطع منه واشتغل بحلّالوته عن التفكير في أمره، ونسي الحيات الأربع التي رجلاه عليها ولا يدري متى يثرن به، أو إحداهن. ولم يذكر أن الجرذين دائبان في قطع الغصنين، وأنهما إذا قطعاهما وقع في فم الثنين فهلك. فلم يزل لاهياً ساهياً حتى هلك .

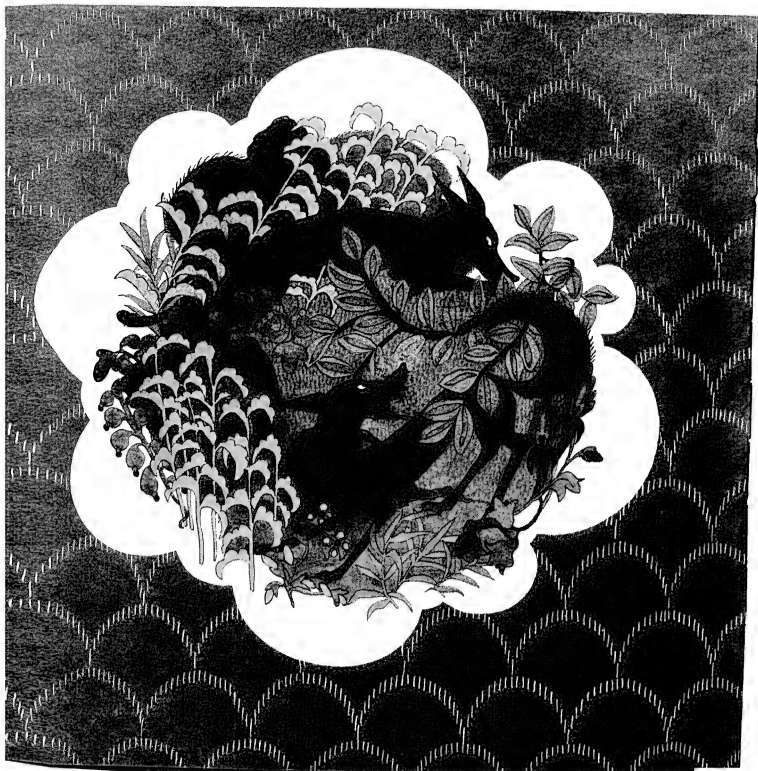
فشبهت البئر بالدنيا المملوءة آفاتٍ وشروراً ومخاوفٍ ومتالفٍ، وشبهت الحيات الأربع بالأخلاق الأربعة التي تعمّدت الإنسان، ومتى يهيج منها شيء فهو كالحمّة من الأفعى والسم المميت. وشبهت الغصنين بالحياة. وشبهت الجرذين بالليل والنهار، وقرضهما دأبهما في إنفاذ الأجال التي هي حصون الحياة. وشبهت الثنين بالموت الذي لا بدّ منه. والعسل هذه الحلاوة القليلة التي يصيبها الإنسان فتشغله عن نفسه، وتُلهيه عن التحيل لخلصه، وتصدّه عن سبيل نجاته .

فصار أمري إلى الرضا بحالي، وإصلاح ما استطعت من عملي لمعادي، كعليّ أصادف فيما ألامي زماناً فيه دليلٌ على هداي، وسلطانٌ على نفسي، وأعاونٌ على أمري. فأقمتُ على ما وصفتُ من حالي. وانصرفْتُ من أرض الهند إلى بلادي¹⁰، وانتسخت من كتبهم كتباً كثيرة، ومنها هذا الكتاب .

رجل الجاه الخوف إلى بئر تدل
فيها، وتعلق بغصنين نابتين على
شفرها .



كليلة ودمنة



أَبْوَابُ الْكِتَابِ

- بَابُ الْأَسَدِ وَالسُّنُورِ
- بَابُ الْفَحْصِ عَنْ أَمْرِ مُنْتَهَى
- بَابُ الْحَمَامَةِ الْمُطَوَّقَةِ
- بَابُ الْبُيُوتِ وَالْغُرَبَاءِ
- بَابُ الْقَنْدِ وَالْعَيْلَمِ
- بَابُ النَّاسِكِ وَأَبْنِ عَرِيضَتِ
- بَابُ أَبِلَادٍ وَأَبْرَاحَتِ وَشَادِرْمَ مَلِكِ الْهِنْدِ
- بَابُ مِهْرَازِ مَلِكِ الْجُرْذَانِ
- بَابُ السُّنُورِ وَالْجُرْذِ
- بَابُ الْمَلِكِ وَالطَّيْرِ قَبْرَةِ
- بَابُ الْأَسَدِ وَأَبْنِ آوَى
- بَابُ السَّائِحِ وَالصُّوْغِ
- بَابُ ابْنِ الْمَلِكِ وَأَصْحَابِهِ
- بَابُ اللَّيْمَةِ وَالشَّعْهَرِ
- بَابُ النَّاسِكِ وَالضَّيْفِ
- بَابُ الْحَمَامَةِ وَالنَّعْلِبِ وَمَالِكِ الْحَزِينِ





قال دَبْشَلَمُ^١ مَلِكُ الْهِنْدِ لِبَيْدَبَا^٢ رَأْسِ فَلَاسَفَتِهِ: اضْرِبْ لِي مِثْلَ الرَّجُلَيْنِ الْمُتَحَابِّينِ يَقْطَعُ
بَيْنَهُمَا الْكَذُوبَ الْخُثُونَ وَيَحْمِلُهُمَا عَلَى الْعِدَاوَةِ وَالشَّنَّانِ .

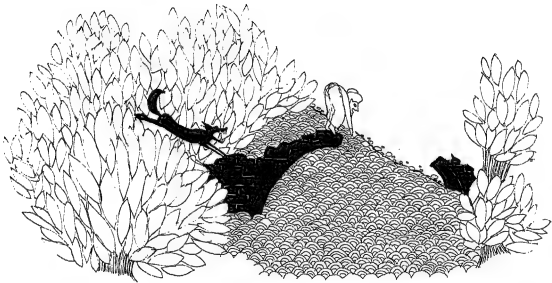
قال بَيْدَبَا الْفَيْلَسُوفُ: إِذَا ابْتُلِيَ الرَّجُلَانِ الْمُتَحَابَّانِ بِأَنْ يَدْخُلَ بَيْنَهُمَا الْخُثُونَ الْكَذُوبَ تَقَاطَعَا
وَتَدَابَّرَا وَفَسَدَ مَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْمَوَدَّةِ. وَمِنْ أَمْثَالِ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ بِأَرْضِ دَسْتَانِدْ^٣ تَاجِرٌ مُكَيَّرٌ، وَكَانَ
لَهُ بَنُونَ. فَلَمَّا أُدْرِكُوا أَسْرَعُوا فِي مَالِ آبِيهِمْ، وَلَمْ يَحْتَرِفُوا حِرْفَةً تَرُدُّ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ^٤. فَلَامَهُمْ أَبُوهُمْ
وَوَعِظَهُمْ فَكَانَ مِنْ عِظَتِهِ لَهُمْ أَنَّهُ قَالَ: يَا بَنِيَّ، إِنَّ صَاحِبَ الدُّنْيَا يَطْلُبُ ثَلَاثَةَ أُمُورٍ لَا يُدْرِكُهَا
إِلَّا بِأَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ: أَمَّا الثَّلَاثَةُ الَّتِي يَطْلُبُ، فَالسَّعَةُ فِي الْمَعِيشَةِ، وَالْمَنْزِلَةُ فِي النَّاسِ، وَالزَّادُ إِلَى الْآخِرَةِ.
وَأَمَّا الْأَرْبَعَةُ الَّتِي يَحْتَاجُ إِلَيْهَا فِي دَرَكِهَا، فَاكْتِسَابُ الْمَالِ مِنْ مَعْرُوفٍ وَجُوهَةٍ، وَحُسْنُ الْقِيَامِ
عَلَيْهِ، وَالتَّشْمِيرُ لَهُ بَعْدَ اكْتِسَابِهِ، وَإِنْفَاقُهُ فِيمَا يُصْلِحُ الْمَعِيشَةَ وَيَرْضَى الْأَهْلَ وَالْإِخْوَانَ، وَيَعُودُ
عَلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ، ثُمَّ التَّوَقُّيُ لِلْجَمِيعِ الْآفَاتِ بِجَهْدِهِ. فَمَنْ أَضَاعَ هَذِهِ الْخِلَالَ الْأَرْبَعَ لَمْ يُدْرِكْ

ما أراد؛ لأنه إن هو لم يكتسب لم يكن له مالٌ يعيش به. وإن هو كان ذا مال واكتسب ثم لم يُحْكِم تقديره أوشك أن ينفد فإذا هو ليس له شيء. وإن هو وضعه ولم يُثْمِرْهُ، لم تمنعه قلة الإنفاق من سرعة النَّفاد؛ كالكحل الذي لا يُؤخذ منه إلَّا مثلُ الغبار ثم هو سريع الفناء. ثم إن كانت نفقته في غير مواضع الحقوق اكتسب المذمة، وصار إلى عواقب الندامة. وإن هو اكتسب وأصلح ثم أمسك عن إنفاقه في وجهه كان كمن يُعَدُّ فقيراً لا مال له، ثم لا يمنع ذلك ماله من أن يُفارقه ويذهب حيث لا يريد بالمقادير والعلل؛ كالمكان الذي لا تزال المياه تنصب إليه؛ فإن لم يكن له مقيض ومخرج يخرج منه بالقدر الذي ينبغي، تحلب وسال من نواح كثيرة، وربما انبثق البهق الذي لا يغادر قطرة⁵، وذبح الماء ضياعاً.

ثم إن بني التاجر اتعظوا وأخذوا بأمر أبيهم. وانطلق كبيرهم متجهًا بتجارة له إلى أرض يقال لها مَثُور⁶ فأتى في طريقه على مكان شديد الوحل، ومعه عَجَلَةٌ يجرها ثوران يُدعى أحدهما

فأتى في طريقه على مكان شديد الوحل، ومعه عجلة يجرها ثوران





فلما انتهى إلى النهر وجد عليه قنطرة منكسرة، ورهقه الذئب

شَّزْبَةً⁷ والآخِر نُدْبَةً⁸، فوجل شَّزْبَةً في ذلك الوحل، فلم يزل الرجل وأعوانه حتى أخرجه بعدما بلغ الجهد، وأشرف على الهلكة. وخلف التاجر عنده رجلاً وأمره أن يقوم عليه؛ فإن رآه قد أبلّ وصلح لحقه به. فلما كان من غدٍ ذلك اليوم برم الأجير بمكانه، وترك الثور ولحق ابن التاجر، فأخبره أنه قد مات .

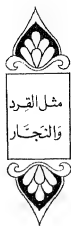
وإن شئنا أن نتعش بعدما فارق الرجل، فلم يزل يدب حتى أتى مرجاً خصيباً كثير الماء والكلاء، لما قضي أن يُصيبه في ذلك المكان من العرض الذي لم يكن ليخطئه؛ فإنهم يزعمون أن رجلاً⁹ كان يجر خشباً فقصدته ذئب ليأكله، فلم يفتن حتى دنا منه. فلما رآه اشتد وجله، وخرج هارباً نحو قرية على شاطئ نهر. فلما انتهى إلى النهر وجد عليه قنطرة منكسرة. ورهقه الذئب، فقال: كيف أصنع؟ الذئب يتلوفني، والنهر عميق، والقنطرة مكسورة، وأنا لا أحسن السباحة. غير أن الأحرز أن أرمي بنفسي في الماء. فلما وقع فيه رآه أهل القرية، فأرسلوا إليه من استخرجه، وقد أشرف على الهلكة، ثم أتاهم به؛ فتساند إلى حائط فلما أفاق حدّتهم بما لقي، وعظّم هول ما خلّصه الله منه؛ فبينما هو على ذلك إذ تهدّم عليه الحائط فقتله¹⁰.

مثل الرجل
الهارب
من الذئب

ثم إنَّ شُزْبَةَ لم يلبث أن عَكِدَ وشَحْمَ وَزَّرَ °° وجعل يحكُّ بقرنيه الأرض ويخور¹¹ ، ويرفع صوته بالخُوار. وكان بقربه أَسَدٌ يقال له بِنَكَلَةٌ¹². وكان مَلِكٌ تلك الناحية ومعه سباع كثيرة من الذئاب وبنات آوى والثعالب وغير ذلك. وكان مزهُوًّا متَكَبِّرًا منفردًا مكثفياً برأيه. وإنَّ ذلك الأسد، لما سمع خُوار الثور، ولم يكن رأى ثوراً قط، ولا سَمِعَ خُواره، رُعِبَ منه، وكَرِهَ أن يَفْطَنَ لذلك جُنْدُهُ، فلم يَبْرَحْ من مكانه .

وكان فيا معه ابنا آوى، يقال لأحدهما كليله وللآخر دمنة¹³. وكانا ذَوِيَّ دَهاء وأدب. وكان دمنة أَشْرَهَمَا نَفْسًا، وأَبْعَدُهَا هَمَّةً، وَأَقْلَمُهَا رَضًا بحاله. ولم يكن الأسد عرفهما. فقال دمنة لكليله: ما ترى يا أخي؟ ما شأنُ المَلِكِ مَقِيًّا في مكانه لا يتحوَّل ولا ينشَطُ كما كان يفعل؟ فقال كليله: ما شأنُكَ والمسألة عما ليس لك ولا يعينيك؟ أما نحن فحائِلنا حالُ صديق، ونحن على باب الملك واجدون ما نأكل، ولسنا من أهل المرتبة التي يتناول أهلها كلامَ الملوك وما يكون من أمورهم؛ فاسْكُتْ عن هذا، واعْلَمْ أَنَّهُ مَنْ تَكَلَّفَ من القول والعمل ما ليس من شكله أصابه ما أصاب القرد. قال دمنة: وكيف كان ذلك؟

قال كليله: زعموا أن قرداً رأى نَجَّاراً يشقُّ خشبة على وَتَدَيْنِ راكباً عليها كالأسوار على الفرس، وكلما شقَّ منها ذراعاً أدخل فيه وَتَدًا، وأنَّ النَجَّارَ قام لبعض شأنه، فانطلق القرد يتكلَّف من ذلك ما ليس من صناعته، فَرَكِبَ الخشبة، ووجهه قِبَلَ ذلك الوتد، وتدلَّتْ خُصِيَّتاه في الشق؛ فلما نَزَعَ الوتدَ انضمت الخشبة على خُصِيَّتَيْهِ، فخرَّ مَغْشِيًّا عليه. وجاء النَجَّار فكان ما لَقِيَ منه من الضرب أشدَّ مما مرَّ به أضعافاً كثيرة .



قال دمنة: قد فهمتُ ما ذكرت، وسمعتُ المثل الذي ضربتَ، ولكن اعْلَمْ أَنَّهُ ليس كلُّ مَنْ يَدنو من الملوك إنما يَدنو منهم لبطنه؛ فَإِنَّ البطن يُحْشَى بكل مكان؛ ولكنه يلتبس، بالقرب منهم، أن يَسُرَّ الصديق، ويسوء العدو. فأدناُ الناس وأضعفُهم مُروءةُ الذين يَرْضَوْنَ بالقليل،



وكان فيها معه ابنا آوى ، يقال لأحدهما كلبلة وللآخر دمنة

ويفرحون به ؛ كالكلب الجائع الذي يُصيب عَظْماً يابساً فيفرحُ به . فأما أهلُ المروءة والفضل فلا يُغنيهم القليلُ ، ولا يفرحون به دون أن يَسْمُوا إلى ما هُم له أهل ؛ كالأسد الذي يفترس الأرنب ، فإذا رأى العَبر تركها وأخذَه . أو لا ترى أنَّ الكلب يُتَصَبَّص بذَنِّه حتى تُلقَى إليه الكِسرَة ، وأنَّ الفيل المغتلم ° يَعْرِف فضلَ نفسه ؛ فإذا قُدِّمَ إليه عَلفه مكرِّماً لم يأكله حتى يُمسحَ رأسُه ويَتَمَلَّق ؟

فمن عاش ما عاش غير خامل المنزل، ذا فضلٍ على نفسه وأصحابه، فهو - وإن قلَّ عُمره - طويلُ العُمُر. ومن كان عيشه في وحدة وضيق وقلة خَيْر على نفسه وأصحابه، فهو - وإن طال عُمره - قصيرُ العُمُر؛ فإنه يقال: إِنَّ البائس من طال عمره في ضَرٍّ. وقيل: لِيُعَدَّ من البقر والغنم من لم تكن هِمَّتُهُ إِلَّا بطنه وفرجه.

قال كليله: قد فهمتُ ما ذكرتَ. فراجعْ عقلك، واعلم أنَّ لكل إنسان منزلةً وقدرًا: فإذا كان في منزلته التي هو فيها مكثفياً متأسك الحال في أهل طَبَقَتِهِ، كان حقيقاً أَنْ يَقنع ويرضى. وليس لنا من المنزل ما نَسْخَطُ له حالنا التي نحن عليها.

قال دمنة: إِنَّ المنازلَ متنازعةٌ مشتركةٌ، فذو المروءة ترفعه مروءته من المنزل الوضيعة إلى المنزل الرفيعة، والذي لا مروءة له يحطُّ نفسه من المنزل الرفيعة إلى المنزل الوضيعة، والارتفاع من ضعة المنزل إلى شرفها شديدُ المؤنة، والانحطاطُ منها إلى الضعة هينٌ يسير. وإنما مثلُ ذلك كالبحر الثقيل الذي رَفَعَهُ من الأرض إلى العاتقِ شاقٌّ، وطَرَحَهُ من العاتق إلى الأرض يسير. فنحن أحقُّ أن نروم ما فوقنا من المنازل بمروءاتنا، ولا نقيم على حالنا هذه، ونحن نستطيع ذلك. قال كليله: فما هذا الذي تُجمع عليه؟ قال دمنة: أريدُ أن أتعرَّض للأسد عند هذه الفرصة؛ فإنه ضعيفُ الرأي، وقد التبس عليه وعلى جنده أمرهم. فعلي أدنو منه وأصيبُ حاجتي عنده.

فقال كليله: وما يدريك أنَّ ذلك على ما وصفت؟ قال دمنة: أعرف ذلك بالرأي والفتنة والظنِّ والحَدْس؛ فإنَّ الرجلَ ذا الرأي ربما عرف حال صاحبه، وغامِضَ أمره بما يظهر له من أمره وصنيعه، حتى لعل ذلك أن يكون من قِبَل دَلَّةٍ وشكِّله. قال كليله: كيف ترجو المكانة عند الأسد ولستَ صاحبُ سلطان، وليس لك علمٌ بخدَمَتِهِمْ¹⁴ وأدابِهِمْ، وما يوافقهم ويخالفهم؟ قال دمنة: إِنَّ الرجلَ القويَّ الشديد لا يعيا بالحمل الثقيل وإنَّ بُدَّه¹⁵ به، بل يستقلُّ به وتكون له القوة عليه؛ فلا يُعسِّف الشديدَ حملٌ، ولا القَلْبُ¹⁶ عملٌ، ولا العاقلُ أرضٌ، ولا المتواضع اللين الجانب أحد. قال كليله: إِنَّ السلطان لا يتوخى بكرامته أفضلَ مَنْ بحضرته، ولكنه يؤثر بذلك

١٠ موضع الرداء من المنكب . ١١ فجيء . ١٢ البصير بتقليب الأمور .

مَنْ قُرْبَ مِنْهُ. وَيَقَالُ إِنَّ مَثَلَ السُّلْطَانِ فِي ذَلِكَ كَالْكُرْمِ الَّذِي لَا يَتَعَلَّقُ بِأَكْرَمِ الشَّجَرِ وَلَكِنْ بِأَدْنَاهَا مِنْهُ. وَكَذَلِكَ السُّلْطَانُ. فَكَيْفَ تَرْجُو الْمُنْزَلَةَ عِنْدَ الْأَسَدِ وَلَسْتَ مِمَّنْ يَغْشَاهُ وَلَا تَدْنُو مِنْهُ ؟ قَالَ دِمْنَةُ: قَدْ فَهِمْتُ مَا ذَكَرْتَ، وَصَدَقْتَ. وَلَكِنْ أَعْلَمُ أَنَّ الَّذِينَ لَهُمُ الْمُنَازِلُ الْحَسَنَةُ عِنْدَ السُّلْطَانِ قَدْ كَانُوا وَلَيْسَتْ تِلْكَ حَالَهُمْ. فَتَقَرَّبُوا مِنْهُ بَعْدَ الْبُعْدِ عَنْهُ، وَدَنَوْا إِلَيْهِ. فَأَنَا مَلْتَمِسٌ مِثْلَ ذَلِكَ، وَطَالِبٌ بُلُوغِهِ. وَقَدْ قِيلَ: لَا يُوَاطَّبُ أَحَدٌ عَلَى بَابِ السُّلْطَانِ وَيَطْرَحُ الْأَنْفَةَ، وَيَحْمِلُ الْأَذَى، وَيُظْهِرُ الْبِشْرَ، وَيَكْظِمُ الْغَيْظَ، وَيَرْفُقُ فِي أَمْرِهِ إِلَّا خَلَصَ إِلَى حَاجَتِهِ مِنْهُ. قَالَ كَلِيلَةُ: فَهَبْكَ قَدْ وَصَلْتَ إِلَى الْأَسَدِ؛ فَمَا رَفَقَكَ¹³ الَّذِي تَرْجُو أَنْ تَنَالَ بِهِ الْمُنْزَلَةَ عِنْدَهُ ؟ قَالَ دِمْنَةُ: لَوْ قَدْ دَنَوْتُ مِنَ الْأَسَدِ وَعَرَفْتُ أَخْلَاقَهُ، رَفَقْتُ فِي مُتَابَعَتِهِ وَقَلَّةِ الْخِلَافِ عَلَيْهِ، ثُمَّ انْحَضْتُ فِي هَوَاهُ؛ فَإِذَا أَرَادَ أَمْرًا هُوَ فِي نَفْسِهِ صَوَابٌ، زَيْنْتُهُ لَهُ وَشَجَعْتُهُ عَلَيْهِ، حَتَّى يَعْمَلَ بِهِ وَيُفِيدَ رَأْيَهُ فِيهِ. وَإِذَا هُمْ بِأَمْرٍ أَخَافُ ضَرَّهُ إِيَّاهُ، بَصُرْتُ مَا فِيهِ مِنَ الضَّرَرِ وَالشَّيْنِ، بِأَرْفُقَ مَا أَجِدُ إِلَيْهِ السَّبِيلَ وَأَلِينَهُ؛ فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يَرَى مِنِّي فِي ذَلِكَ أَفْضَلَ مِمَّا يَرَى مِنْ غَيْرِي. فَإِنَّ الرَّجُلَ الْأَدِيبَ الْأَرَبَ الدَّهْيَّيَّ لَوْ شَاءَ أَنْ يُبَيِّطَ الْحَقَّ وَيُحَيِّطَ الْبَاطِلَ أحياناً لَفَعَلَ، كَالْمَصُورِ الْمَاهِرِ الَّذِي يَصُورُ فِي الْحَاضِرِ تَمَائِيلَ كَأَنَّهَا خَارِجَةٌ وَلَيْسَتْ بِخَارِجَةٍ، وَأُخْرَى كَأَنَّهَا دَاخِلَةٌ وَلَيْسَتْ كَذَلِكَ. فَإِذَا هُوَ عَرَفَ نُبْلِي وَكَمَالَ مَا عِنْدِي، كَانَ هُوَ الَّذِي يَلْتَمِسُ إِكْرَامِي وَتَقَرُّبِي .

قَالَ كَلِيلَةُ: أَمَّا إِذَا كَانَ هَذَا مِنْ رَأْيِكَ فَإِنِّي أُحَذِّرُكَ صَحْبَةَ السُّلْطَانِ؛ فَإِنَّ فِي صَحْبَةِ السُّلْطَانِ خَطَرًا عَظِيمًا. وَقَدْ قَالَتِ الْعُلَمَاءُ: أُمُورٌ ثَلَاثَةٌ لَا يَجْتَرِئُ عَلَيْهَا إِلَّا الْأَهْوَجُ، وَلَا يَسْلُمُ مِنْهَا إِلَّا الْقَلِيلُ: صَحْبَةُ السُّلْطَانِ، وَائْتِمَانُ النِّسَاءِ عَلَى الْأَسْرَارِ، وَشُرْبُ السَّمِّ لِلتَّجَرِبَةِ. وَإِنَّمَا شَبَّهَ الْعُلَمَاءُ السُّلْطَانَ بِالْجَبَلِ الْوَعْرِ الَّذِي فِيهِ الثَّمَارُ الطَّيِّبَةُ، وَهُوَ مَعْدِنُ السَّبَاعِ الْمَخُوفَةِ؛ فَلَا زَيْقَاءَ إِلَيْهِ شَدِيدٍ، وَالْمُقَامُ فِيهِ أَشَدُّ وَأَهْوَلُ .

قَالَ دِمْنَةُ: قَدْ صَدَقْتَ فِيمَا ذَكَرْتَ، وَفَهِمْتُهُ؛ وَلَكِنِّي أَعْرِفُ أَنَّهُ مَنْ لَمْ يَرْكَبِ الْأَهْوَالَ لَمْ يَنْلِ الرِّغَابَ¹⁴ . وَمَنْ تَرَكَ الْأَمْرَ الَّذِي لَعَلَّهُ أَنْ يَبْلُغَ مِنْهُ حَاجَتَهُ، مَخَافَةً لِمَا لَعَلَّهُ يَتَوَقَّاهُ وَيُشْفِقُ

منه، فليس ببالغ جسيماً. وقد قيل في أمور لا يستطيعها أحدٌ إلا بمعونَةٍ من ارتفاعِ همّةٍ وعظَمِ
خَطَرٍ، منها عَمَلُ السلطان، وتجارةُ البحر، ومناجزةُ العدو. وقيل أيضاً: لا ينبغي للرجل ذي
المروءة أن يرى إلا في مكانين، ولا يليق به غيرُهما: إما مع المملوكِ مُكْرَماً، وإما مع النَّسَاكِ مُتَبَيِّناً؛
كالقيل الذي إنما يهاؤه وجَماله في مكانين: إما في البرية وحشياً، وإما مَرَكَباً للملوك.
قال كليله: خَارَ الله لك فيما عَزَمْتَ عليه.

ثم إنَّ دمنةً انطلق حتى دخل على الأسد فسَلَّم عليه. فقال الأسد لقرايبنه¹⁶: مَن هذا؟
قالوا: ابن فلان. قال الأسد: قد كنت أعرف أباه. ثم قال له: أين كنت تكون؟

قال دمنة: لم أزل بباب الملك مرابطاً رجاء أن يحضر أمرٌ أُعِينُ الملكَ فيه برأيي ونفسي؛
فإنَّ باب الملك يكثر فيه الأمور التي ربما احتيج فيها إلى من لا نباهة له، وربما كان صغير
المنزلة فيكون عنده منفعة بقدره؛ فإنَّ العودَ المطروح في الأرض ربما انتفع به الإنسان في حَكِّ
أُذنه. فالحيوان العالم بالضرر والنفع حَرِيٌّ بأن يكون ذلك عنده، وينتفع به.

فلما سمع الأسد كلامَ دمنة أعجبه واستظرفه، ورجا أن يكون عنده نصيحةٌ ورأيٌ. فأقبل
على قرايبنه فقال لهم: إنَّ الرجل ذا النبل والفضل ليكون خاملَ الذِّكر، غامضَ الأمر، فتأبى
مُروءته إلا أن يظهر ويستبين، كالشعلة من النار التي يصونها¹⁷ صاحبُها وتأبى إلا ضياءً وارتفاعاً.
فلما عرف دمنة أنَّ الأسد قد أعجبه كلامه قال: إنَّ رعيّةَ الملك ومن بحضرته منهم يجب¹⁸
أن يُعرفوه ما عندهم من المروءة والعلم، ويبدلوا له نصيحتهم. فإنَّ الملك لا يعرفهم ولا يضعهم
في منازلهم التي هم أهلُها ومستحقُّون لها إلا بذلك؛ كالزراع المدفون في الأرض من الحنطة والشعير
وسائر الأنواع، فلا يستطيع أحد أن يعرفه ولا يصفه حتى يكون هو الذي ينجمُ¹⁹ ويظهر ويخرج
على الأرض. وقد يحقُّ على من خصَّه السلطانُ أن يُطلِّعه على ما عنده من المنفعة والأدب، ويحقُّ
على السلطان أن يبلِّغ بكل امرئ مرتبته على قدر رأيه وما يجد من المنفعة عنده. فإنه كان يقال:

• • يظهر ويرز.

• القريين إليه.



أمران لا ينبغي لأحد، وإن
كان ملكاً، أن يجعل شيئاً
منهما في غير مكانه، وأن
يُنزله غير منزلته: الرجال
والحلية؛ فإنه يُعدّ جاهلاً من
عقد على رأسه حلية الرجلين،
وعلى رجله حلية الرأس. ومن
ضَبَّ اللؤلؤ والياقوت
بالرصاص، فليس ذلك
بتصغير للياقوت واللؤلؤ؛ ولكنه
جهل ممن فعل ذلك. وكذلك
كان يقال: لا تصاحب رجلاً
لا يعرف موضع يمينه وشماله.
وإنما يستخرج ما عند الرجال
وَلأَنَّهُمْ، وما عند الجنود قَادُهُمْ،
وما في الدين علمائِهِ. وقد قيل
في أشياء ثلاثة، فضل ما بينها
متفاوت: فضلُ المقاتل على
المقاتِل، وفضلُ العالم على العالم،

الجليل الوعر الذي فيه النار
الطيبة وهو معدن السباع

وفضل القليل^{١٩} على القليل. وكثرة الأعوان، إذا لم يكونوا نصحاء مجربين، مَصْرَّةٌ على العمل؛ فإنَّ العمل ليس بذلك رجاؤه، بل بصلاح الأعوان وذوي الفضل؛ كالرجل الذي يحمل الحجر الثقيل فيقلِّه، ولا يجد له ثمناً؛ والرجل الذي يحمل الباقوت فلا يتقلُّ عليه، وهو قادر على بيعه بالكثير من المال. والعمل الذي يحتاج فيه إلى الجُلْع لا يُجزئه^{٢٠} القَصْب وإن كثر. والوالي حقيقاً ألاَّ يحقر مروةً وحدها عند أحد وإن كان صغير المنزل؛ فإنَّ الصغير ربما عظم؛ كالعَصَب الذي يؤخذ من الميتة، فإذا عُمِلت منه القوس أُكْرِمَ فيقبضُ عليه الملك، ويحتاجُ إليه في لهوه وبأسه.

وأحبُّ دمنة أن يصيب الكرامة من الأسد، والمنزلة عنده وعند جنده، ويعلمهم أن ذلك ليس لمعرفة أبيه فقط ولكن لرأي دمنة ومروءته، فقال: إنَّ السلطان لا يُقرب الرجال لقرب آبائهم ولا يباعدهم لبعدهم؛ ولكنه ينظر إلى ما عندهم وما يحتاج فيه إليهم. ثم يُمضي رأيه على ما يحقُّ عليه فيهم، من إنزالهم منازلهم؛ فإنه لا شيء أقرب ولا أخصُّ بالرجل من جسده؛ وربما دوي^{٢١} عليه حتى يؤذيه، فلا يدفع ما به عنه إلاَّ الدواء الذي يأتيه من بعيد. والجرذ مُجاوِر الإنسان في البيت؛ فمن أجل إضراره نُفي. والبازي وحشي غريب؛ فلما صار نافعاً اقتني واتخذ وأكْرِم.

فلما فرغ دمنة من مقالته، ازداد الأسد به إعجاباً، وله استظرافاً، وأحسن عليه الردَّ، وقال جلسائه: إنه ينبغي للسلطان ألاَّ يلجَّ في تضييع حقِّ ذي الفضل والمروءة ولا وضع منزلته، وأنَّ يستدرك ما فاتته من ذلك ولا يغرَّه أن يرى من صاحبه المفعول به ذلك رضاءً؛ فإنَّ الناس في ذلك رجلان: أحدهما طبعه الشراسة؛ فهو كالحيَّة التي إن وطئها الواطيء فلم تلدغه، لم يكن جديراً أن يعود لوطنها ثانية. وآخر طبعه السهولة واللين؛ فهو كالصندل^{٢٢} الذي إذا أفرط في حكِّه صار حاراً مؤذياً.

١٩ عزيز القوم.

٢٠ لا يغنيه ولا يكفيه.

٢١ سقم.

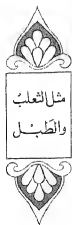
٢٢ شجر طيب الرائحة.



ونخار الثور خواراً شديداً فهجَّ الأسد

فلما استأنس دمنةً بالأسد وخلا به، قال: إني قد رأيتُ الملكَ أقام منذ زمان بمكان واحد لا يبرح منه؛ فقيم ذلك؟ قال له الأسد، وكرِه أن يعلم منه دمنةٌ جُبناً: لم يكن ذلك لبأس. فبينما هما على ذلك إذ خار الثور خواراً شديداً، فهجَّ الأسد على أن يُخبر دمنةً بما في نفسه، فقال: هذا الصوت الذي تسمعُ، ما أدري ما هو. غير أنه خَلِيق أن تكون الجئمة على قدر الصوت؛ فإن يكن ذلك كذلك فليس مكاننا هذا لنا بمكان. قال دمنة: هل رابَ الملكَ

شيءٌ غيرُ هذا ؟ قال الأسد: لم يكن غير هذا. قال دمنة²⁰: ليس الملكُ بحقيقٍ أن يبلغ منه هذا الصوت أن يدع مكانه؛ فإنَّ السَّكْرَ الضَّعِيفَ آفَتْهُ الماء، والشَّرَفَ آفَتْهُ الصَّلَفُ، والمودَّةَ آفَتْهَا النِّمِمة، والقلبَ الضَّعِيفَ آفَتْهُ الصوت والجَلْبَة. وفي بعض الأمثال بيانُ أنه ليس كلُّ الأصوات تُهاب. قال الأسد: وما ذلك المثلُّ ؟ قال دمنة:



زعموا أنَّ ثعلباً جائعاً مرَّ بأجمة فيها طبل معلق في شجرة؛ فهبَّت الريح، فجعلت قُضبانُ الشجرة تقرُق ذلك الطبلَ فيصوتُ صوتاً شديداً؛ فسمع الثعلبُ ذلك الصوتَ فتوجَّه إليه حتى أتاه. فلما رآه ضحكاً ظنَّ أنَّ ذلك لكثرة شحمه ولحمه، فعالجه حتى شقَّه. فلما رآه أجوفَ قال: ما أدري؛ لعل أفسلُ الأشياء أعظمُها جُتَّةً، وأشدُّها صوتاً.

وإنما ضربتُ لك هذا المثل رجاء أن يكون الذي يَدْعَرنا من هذا الصوت ويروعنا لو قد انتهينا إليه، وجدناه أيسرَ أمراً مما في أنفسنا. فإن شاء الملك فليبعثني نحوه، وليقيم مكانه حتى أرجع إليه ببيان ما يُحبُّ أن يعلم منه. فوافق ذلك الأسد. وانطلق دمنة إلى المكان الذي فيه شترَبُهُ.

فلما فصل^{٢١} دمنة من عند الأسد، فكَّر الأسد في أمره، فنَدِم على إرساله، وقال في نفسه: ما أصبتُ باتِّماني دمنةً على ما ائتمنته، ووجَّهته فيه؛ فإنَّ الرجل الذي بحضرة السلطان إذا كان قد أُطيلت جَفَوته عن غير جُرم كان منه، أو كان مَبْعِياً عليه، أو كان معروفاً بالجرص والشره، أو كان قد أصابه ضرٌّ أو ضيقٌ فلم يُنْعَش، أو كان قد أجرم جُرمًا فهو يخافُ العقوبة، أو كان شَرِّيراً لا يُحبُّ الخير، أو كان قد وُقِف على خيانتِه، أو كان قد حيل بينه وبين ما كان في يده من سلطان، أو كان يلي عملاً فعزل عنه أو فُرِّق عليه أو انتقص منه أو أُشْرِك بينه وبين غيره فيه، أو كان أذنب في نظرائه فعفي عنهم وعوقب، أو عوقبوا جميعاً فبلغ منه ما لم يُبلِّغ من أحد منهم مثله، أو كان قد أبلى بلاء نظرائه ففُضِّلوا عليه في المنزلة والجاه، أو كان غيرَ موثوق به في الهوى والدين، أو كان يرجو في شيء مما يضرُّ بالولادة نفعاً، أو يخافُ

٢٠ أضغفها وأكثرها جبناً . ٢١ خرج .

في شيء مما ينفعهم ضرراً، أو كان لعدو السلطان مؤاداً. كل هؤلاء ليس السلطان حقيقةً بالاسترسال إليهم، والطَّمَأْنِينَةُ إلى ما قبلهم، والائْتِمَانُ لهم. وإن دمنة داهٍ أريبٌ. وقد كان بابي مطروحاً مجفواً؛ فلعله قد احتمل عليّ بذلك ضيغاً. ولعل ذلك يدعوه إلى أن يخونني ويغي عليّ. ولعله يصادف صاحب الصوت أقوى مني وأعظم سلطاناً فيرغب فيما عنده، ويميل عليّ معه فيدله على عورتي^٥. فلم يزل الأسد يحدث نفسه بذلك ويراجعها فيه حتى استخفّه ذلك وقام من مجلسه. فجعل يمشي وينظر إلى الطريق حتى رُفِعَ^٦ له دمنة من بعيد مُقبلاً وحده. فاطمأنَّ ورجع إلى مكانه، كراهة أن يظن دمنة أن شيئاً أقلقه وأزعجه من مكانه.

فلما دخل عليه دمنة، قال له الأسد: ما صنعتَ وما رأيتَ؟ قال دمنة: رأيتُ ثوراً، وهو صاحب الصوت الذي سمعت. قال الأسد: فما حاله وشدته؟ قال: لا شدة له؛ قد دنوتُ منه وحاورته محاورَةَ الأكفاء؛ فلم يستطع لي شيئاً. فقال الأسد: لا يغرّتك ذلك منه، ولا تضعن ذلك على الضعيف. فإنَّ الريح لا تضرُّ بصغير الحشيش، ولا تحطِّمُه، وهي تحطِّمُ الشجر. وكذلك الصناديد إنما يصوِّد بعضها لبعض. قال دمنة: لا يهابنَّ الملكُ أمره ولا يَكْبِرُنَّ في صدره شيئاً منه؛ وأنا آتية به حتى يكونَ له عبداً سامعاً مطيعاً. ففرح الأسد بذلك، وقال له: دونك.

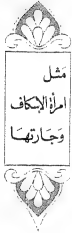
ثم إن دمنة انطلقت إلى شترة فقال له غير هائب ولا مُتَمَتِّع: إنَّ الأسد أرسلني إليك لآتيه بك. وأمرني، إن أنت عَجَلْتَ الإقبال عليه طائعا، أن أؤمِّنكَ على نفسك وما سلف منك من الذنب في التأخير عنه والتَّرك للقائه، وإن تأخَّرتَ، أن أعجلَ الرَّجعة إليه فأخبره بذلك. قال شترة: ومن هذا الأسد الذي أرسلك إليّ، وأين هو؟ قال دمنة: هو ملك السباع. ومعه جُنْد كثيرٌ منهم. فرُعب الثور من ذلك، وقال: إن أنت جعلت لي على نفسك عهداً، أو أخذت لي منه الأمان، أقبلتُ معك. فأعطاه دمنة ما سأل من ذلك.

ثم أقبلًا جميعاً حتى دخلا على الأسد. فأحسن الأسدُ مسئلةَ شترْبة، وألطفه، وقال له: متى قدمتَ هذه الأرض؟ وما نزع بك إليها؟ فقصَّ عليه أمره. فقال له الأسد: الزمْنِي، فإنِّي مكرمك ومحسنٌ إليك. فدعا له شترْبة وأثنى عليه.

ثم إنَّ الأسدَ قَرَّبَ شترْبة وأدناه وكرَّمه وأنس منه رأياً وعقلاً. فاثمنته على أسرارهِ، وشاوره في أموره. ولم تَزِدْهُ الأيامُ إلَّا إعجاباً به، ورغبةً فيه، وتقريباً له، حتى صار أخصَّ أصحابهِ عنده منزلة. فلما رأى دمنة أنَّ الملكَ قد استخصَّ شترْبة واستدناه دونه ودون أصحابه، وأنه صاحبُ رأيه وخَلَوَاتِهِ وأنسِه وفُوه، اشتدَّ ذلك عليه. فشكا ذلك إلى كليله أخيه وقال: ألا تَعْجَبُ لعجز رأيي وصنيعي بنفسي، ونظري فيما ينفع الأسد، وإغفالي أمرَ نفسي، حتى جلبتُ ثوراً غلبني على منزلي؟ قال كليله: أصابك ما أصاب الناسك؟ قال دمنة: وكيف كان ذلك؟ قال كليله:

زعموا أنَّ ناسكاً أصاب من بعض الملوك كُسوةً فاخرة. فبصر بها لصٌ فرغب فيها، فصرَّف الحِجْلَ وقَلَبَ الأمور لاستراقه إياها، فأثاه فقال: إني أريد أن أصحبَكَ وأتعلَّم منك وأخذَ عنك. فأجابهُ إلى ذلك. فلزمه ولطف به، وأحسنَ الخدمةَ له حتى أمِنه، ووثق به، وفوَّضَ إليه أمره. حتى إذا ظفِرَ من الناسك بغفلةٍ أخذ الثيابَ وذهب بها. فخرج في طلبه نحو مدينة من المدائن. فمرَّ في طريقه على وعَلَيْنَ يتناطحان. وقد سالت دماؤهما، وجاء ثعلب فجعل يَلْعُجُ في الدماء. فبينما هو يَلْعُجُ إذ التقيا عليه وهو غافل فقتلاه. ثم مضى حتى أتى المدينة مُمَسِّياً فنزل على امرأة فاجرة من غير معرفة. وكان لها جارية تُؤاجرُها قد عَشِقت رجلاً فهي لا تريد غيره. فأصرَّ ذلك بمولاتها، فاحتالت لقتل ذلك الرجل الذي عشقته جاريئها، في تلك الليلة التي أضافت بها الناسك. فسَقَّتَ الرجلَ من الخمر صرْفاً حتى سَكِرَ ونام. فعمدت إلى سَمِّ فوضعتهُ في قَصْبَةٍ. وجاءت بها إلى دُبُرِهِ لتنفخه فيه، وقَمَّها على رأس القصبية. فلما وضعتها بدَّرتْها ريح خرجت من دُبُرِ الرجل، فرجع السَمُّ في حلقها فوقعت مَيِّتَةً. وكلَّ ذلك بعين الناسك.

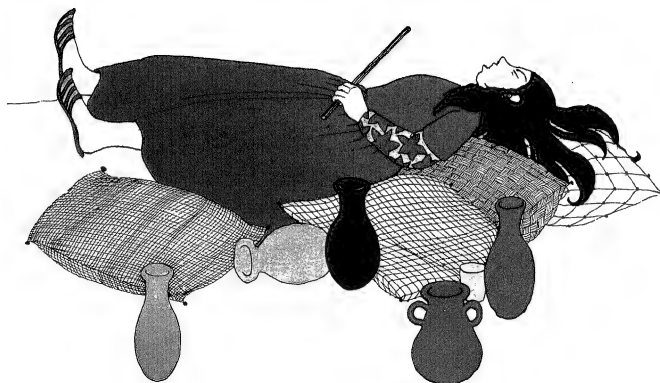




ثم أصبح غادياً في طلب منزل غير ذلك المنزل. فأضافه رجل إسكاف. فقال الإسكاف لامرأته: انظري هذا الناسك فأكرميهِ وأحسني إليه، فإنه قد دعاني بعض أصحابي إلى منادمتهم. وكان لامرأة الإسكاف صديق قد علقها وعلقته. وكان الرسول فيما بينهما امرأة حجام، جارة لها. فأرسلت امرأة الإسكاف إلى امرأة الحجام. فأمرها أن تأتي صديقها، وتخبره أن الإسكاف غائب في الشرب، وأنه لا يرجع إلا مُمسياً وهو سكران، فتأمره أن يأتي عند العشاء فيقعد على الباب حتى تأذن له فيدخل عليها. فأقبل صديقها عشيّاً حتى قعد على الباب ينتظر أمر المرأة.

فلما رأى دمنة أن الملك استخصّ شربة دونه اشتد ذلك عليه





فرجع السمّ في حلقها، فوقعت ميتة

وانصرف الإسكاف إلى بيته حين أمسى وهو سكران. فلما رأى الرجل قاعداً على باب منزله ارتاب به وغضب. ودخل إلى البيت فأخذ امرأته فأوجعها ضرباً وأوثقها إلى سارية من سواري البيت. فلما هدأت العيون جاءت امرأة الحجام إليها فقالت لها: قد أطال الرجلُ صديقك القعود. فإذا تريدن؟ فقالت: لو أحسنتُ إليَّ بأن تُخلّيني وتربّطي نفسك مكاني ساعةً، حتى آتيه ثم أُسرّع الكرة إليك. ففعلتْ وحلّتْها وربطت نفسها مكانها. فانتبه الإسكاف قبل أن ترجع امرأته. فنادها باسمها فلم تجبه امرأة الحجام مخافة أن يعرف صوتها. ثم دعاها مراراً كثيرة وهي لا تجيبه، فازداد عليها غيظاً وحنقاً. ثم قام إليها بسكين فجذع أنفها، وقال لها: تناولي هذا وأتخفي به خليلك .

فلما رجعت امرأة الإسكاف ورأت زوجها نائماً، وعرفت ما حلّ بامرأة الحجام، حلتها وربطت نفسها مكانها؛ وأخذت امرأة الحجام أنفها بيدها ومضت إلى بيتها. وكلُّ هذا بعين الناسك .

ثم إنّ امرأة الإسكاف فكّرت في أمرها، وطلبت المخرج. فرفعت صوتها تدعو وتنزع وتبكي وتقول: اللهمّ إن كان زوجي قد ظلمني واعتدى عليّ فأعد ليّ أنفي صحيحاً كما كان. ثم نادت الإسكاف أن قم أيها الظالم ! وانظر إلى أمر ربك وقضائه ونعمته عليّ؛ فإنه قد أعاد أنفي صحيحاً كما كان. فقال الإسكاف: ما هذا الكلام يا ساحرة ؟ ثم قام فأوقد ناراً ونظر، فإذا الأمر كما قالت. فتأب إلى ربّه واعتذر إلى امرأته وترضاها وتنصّل إليها وسأل الله المغفرة .

ولما انتهت امرأة الحجام إلى بيتها قلبت الحيل ظهراً لِبطن، والتست المخرج مما وقعت فيه. وقالت: ما عُدري عند زوجي وعند الناس في جدع أنفي ؟ فلما كان عند السحر استيقظ الحجام وناداهما أن اثبني بمناعي كلّ؛ فإني أريد أن أنطلق إلى بعض الأشراف. فلم تأته إلا بالموسى وحده. فقال: هاقي مناعي كلّ. فلم ترده على الموسى. فغضب ورامها بالموسى. فألقت نفسها إلى الأرض وولولت، وقالت: أنفي أنفي. وأقبلت تصيح وتضطرب. فجاء أقاربها فأخذوه وانطلقوا به إلى القاضي. فقال القاضي للحجام: ما حمّلك على جدع أنف امرأتك ؟ فلم تكن له حجة يحتج بها. فأمر بالحجام أن يعاقب. فلما أقيم لذلك، قام الناسك فتقدم إلى القاضي فقال: أيها القاضي ! لا يشتبهن عليك؛ إنّ اللص ليس سرقني، وإنّ الثعلب ليس الوعلان قتلاه، وإنّ البغي ليس السم قتلها، وإنّ امرأة الحجام ليس زوجها جدع أنفها. بل نحن فعلنا ذلك بأنفسنا. فسأله القاضي عن تفسير ذلك فأخبره .



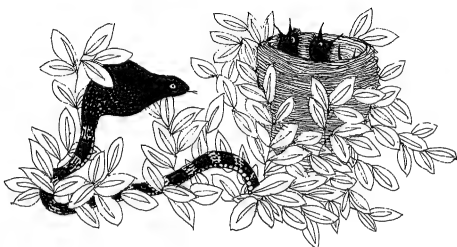
فألقت نفسها إلى الأرض وولولت،
وقالت: أنفي أنفي

قال كليلية لدمنة: وأنت أيضاً فعلت ذلك بنفسك. قال دمنة: نعم! ما ضرتني غير نفسي، ولكن ما الجيلة؟ قال كليلية: بل أخبرني أنت عن رأيك. قال دمنة: أما أنا فلست ألتبس أن تزداد منزلي فوق ما كنت؛ ولكني أريد أن تعود إلى ما كانت عليه؛ فإنّ خلالاً ثلاثاً المرء حقيق بالتفكر فيها والاحتياط لها: ما يضي من الضر والنفع؛ بأن يحترس من الضر الذي أصابه لئلا يعود إليه، ويرفق في المحبوب طلب مراجعته. وما هو مقيم فيه من ذلك؛ فيستوثق مما يوافقه، ويهرب مما يخالفه. وما هو منتظر له؛ فيطلب المرجو ويلتجئ من المحذور بالاستعداد لما يرجو أو يخاف.

وإني لما نظرت في أمري الذي أرجو أن يعود لي منه ما غلبت عليه مما كنت فيه، لم أجد شيئاً غير الاحتياط لشزبة حتى يفارق الحياة. فإني إن قدرت على ذلك صرت إلى حالي عند الأسد. ولعل ذلك أن يكون خيراً له، فإن إفراطه فيه²¹ خليف أن يشينه.

قال كليلية: ما أرى على الأسد في شزبة مضرّة ولا منقصة ولا شيئاً. قال دمنة: إن السلطان إنما يؤتى من قبل سبّ خلال: الحرمان والفتنة والهوى والفضاظة والزمان والخرق. فأما الحرمان فهو أن يفقد الأعوان والنصحاء والساسة من أهل الرأي والنجدة والأمانة، أو يبعد بعض من هو كذلك. وأما الفتنة فهي تحزب الناس ووقوع التحارب بينهم. وأما الهوى فهو الإغرام بالنساء أو الحديث والشرب والصيد وما أشبه ذلك. وأما الفضاظة فالإفراط في الشدة حتى يبتلى اللسان بالشم، واليد بالبطش والضرب. وأما الزمان فهو ما يصيب الناس من القحط والموت ونقص الثمرات وأشياء ذلك. وأما الخرق فإعمال الشدة في موضع اللين، والرفق في مكان الغلظة.

وإن الأسد قد أغرم بشزبة إغراماً شديداً. فهو خليف أن يزي به ويشينه. قال كليلية: وكيف تطيق الثور وهو أشد منك، وأكرم على الأسد، وأحسن منزلة، وأكثر أصدقاء وأعواناً؟ قال دمنة: لا تنظرن إلى صغري وضعفي؛ فإن الأمور ليست بالقوة والعظم. ورب ضعيف صغير قد بلغ بدهائه وحيلته ورأيه ما يعجز عنه كثير من الأقوياء. أو لم يبلغك أن غراباً احتال لأسود.



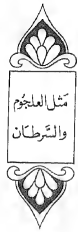
كلما فرّخ الغراب عمد الأسود إلى فراخه فأكلها

حتى قتله. قال كليله: وكيف كان هذا الحديث؟ قال دمنة:

زعموا أنه كان وَكْرٌ للغراب في شجرة في جبل. وكان بقربه جُحْرٌ أسود. وكان الغراب كلما فرّخ عَمَدَ الأسود إلى فراخه فأكلها. فاشتد ذلك عليه، وبلغ منه مَبْلَغاً شديداً. فشكا ذلك إلى صديق له من بنات آوى، وقال: أردتُ أن أستأمرَكَ ° في شيء هممتُ به إن أنت وافقتني عليه. قال: وما هو؟ قال: أن آتيَ الأسود وهو نائم، فَأَنْقُرَ عينيه لعلِّي أفتأهما. فقال ابن آوى: بُئِستَ الحيلة هممتَ بها! فالتمسَ أمراً تصيبُ منه حاجتك، ولا يصلُ فيه مكروهٌ إليك. وإياك أن يكونَ مِثْلُكَ مِثْلَ العُلجوم الذي أراد قتلَ السرطان فقتلَ نفسه. قال الغراب: وكيف كان ذلك؟ قال ابن آوى:

كان عُلجومٌ مُعَشَّشاً في أجمةٍ مُخصِبةٍ كثيرة السمك. فعاش هنالك ما عاش، ثم هَرِمَ فلم يستطع الصيد، فأصابه جوعٌ وجهْد، فالتمسَ الحِيلَ وقعد مفكراً حزيناً، فراه سَرطانٌ من

° أشارك.



بعيد. فلما رأى حاله عرف ما به، فأناه فقال له: مالي أراك كئيباً حزينا؟ قال العلجوم: وكيف لا أكتئب وأحزن، وإنما كان معاشي من السمك ههنا. وهن كثير. وإني رأيت اليوم صيادين أنيا مكاننا هذا فقال أحدهما لصاحبه: إن ههنا سمكاً كثيراً أفلا نصيده؟ فقال صاحبه: إني عرفت أمامنا مكاناً فيه سمك أكثر منه. فأنا أحب أن نبدأ به ثم نرجع إلى ما ههنا، فنفيه. وقد علمت أنهما لو فرغا من هناك رجعا إلينا فلم يدعنا في هذه الأجمة سمكة إلا صادها، فإذا كان ذلك فإن فيه هلاك وموت. فانطلق السرطان إلى جماعة السمك فأخبرهن بذلك. فأقبلن إلى العلجوم وقلن: أتيناك لتشير علينا؛ فإن ذا العقل لا يدع مشاورة عدوه، إذا كان ذا رأي في الأمر الذي يشركه فيه. وأنت ذو رأي، ولك في بقائنا صلاح، فأشير علينا برأيك. قال العلجوم: أما مكابرة الصيادين وقتلهم فليسا عندنا ولا نطبقهما، ولا أعلم حيلة إلا أني قد عرفت مكاناً كثير الماء والخضر، فإن شئت فانتقلن إليه. فقلن له: ومن يمن علينا بذلك؟ فقال: أنا. وسعّل يحمل منهن اثنتين في كل يوم، ينطلق بهما إلى بعض التلال فيأكلهما.

ثم إن السرطان قال له: إني قد أشفقت مما حذرنا؛ فلو ذهبت بي. فاحتمله حتى دنا من المكان الذي كان يأكلهن فيه. فلما بصر بعظاهن مجموعة تلوح، عرف أنه هو صاحبهن وأنه يريد به مثلهن. فقال: إذا لقي المرء عدوه في المواطن التي يعلم أنه هالك فيها، فهو حقيق أن يقاتل كرمًا وحفاظاً. فأهوى بكلابيه على عنق العلجوم فعضه، فوقع إلى الأرض ميتاً. ورجع السرطان إلى السمك فأخبرهن.

وإنما ضربت لك هذا المثل لتعلم أن بعض الحيل مُدَمَّر على صاحبه، مُهْلِك له. ولكن انطلق فالتمس حلياً، فإذا ظفرت به فاخطفه، ثم طر به - وأصحابه ينظرون إليك حيث لا تفوتهم فإنهم سيطلبونك - حتى تنتهي به إلى جحر الأسود قرمي به عليه.

فخلق الغراب طائراً، فإذا بجارية قد ألقت ثيابها وحليها، وهي تغتسل. فأهوى فأخذ عقداً نفيساً، وخلق به طائراً حيث يراه الناس حتى رماه جحراً قريباً من جحر الأسود. فأثى الناس وأخذوا الحلي، ورأوا الأسود نالماً على باب جحره فقتلوه.



قال السمك والسرطان للعلجوم: أتيناك لنشير علينا

وإنما ضربتُ لك هذا المثل لتعلم أنَّ الاحتيال ربما أُجْزِيَ ° ما لا تُجْزِي القوَّة .

مثل الازب
والاسد

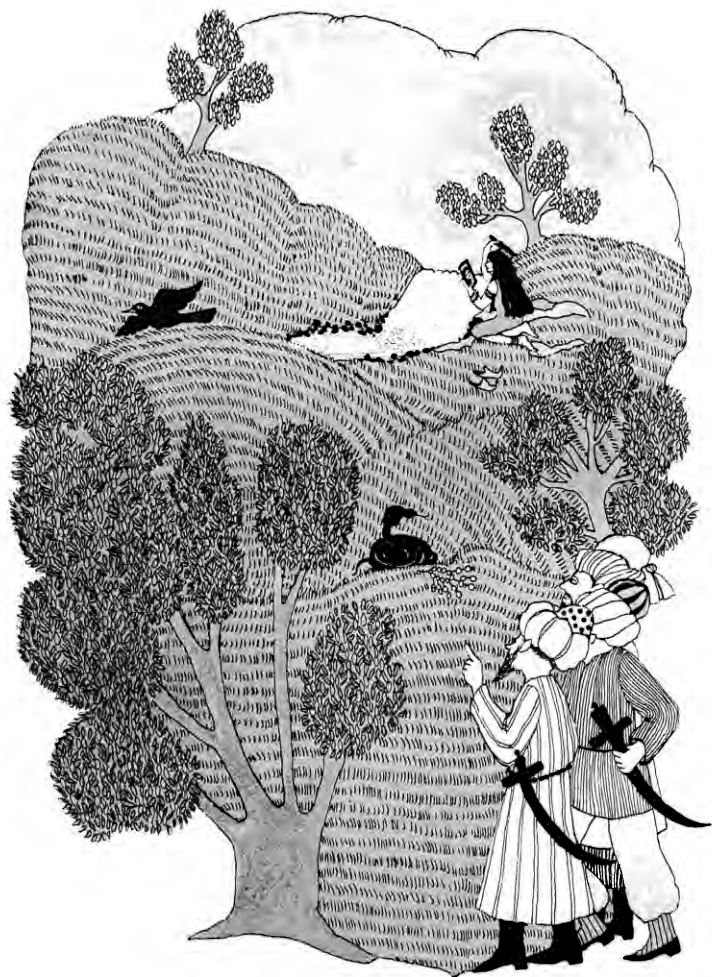
قال كليله: إنَّ شنْزِبة لو لم يجمع مع شِدَّتِه رأياً، كان كذلك؛ ولكنه قد أُعْطِيَ، مع ما ذَكَرْتُ، فضلاً نبيلًا وقِسْماً جسيماً. قال دمنة: إنَّ شنْزِبة لعلَّ ما وصفتُ؛ ولكنه بي مغترٌّ،

° نفع .

فأنا خَلِيقٌ أَنْ أَصْرَعَهُ كَمَا صَرَعْتُ الْأَرْنبُ الْأَسَدَ. قَالَ كَلِيلَةُ: وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ؟ قَالَ دِمْنَةُ:
 زَعَمُوا أَنَّ أَسَدًا كَانَ فِي أَرْضٍ مُخْصِيَةٍ كَثِيرَةِ الْوَحُوشِ وَالْمَاءِ وَالْمَرْعَى. وَكَانَ لَا يَنْفَعُهُنَّ مَا
 هُنَّ فِيهِ مِنْ خَوْفِهِنَّ مِنَ الْأَسَدِ. فَاتَّمَرْنَ فِيهَا بَيْنَهُنَّ، وَأَتَيْنَهُ قَقْلَنَ لَهُ: إِنَّكَ لَا تُصِيبُ مِنَّا الدَّابَّةَ
 إِلَّا بَعْدَ تَعَبٍ وَنَصَبٍ، وَقَدْ اجْتَمَعْنَا عَلَى أَمْرٍ لَنَا وَلَكَ فِيهِ رَاحَةٌ، إِنْ أَنْتَ أَمْنْتِنَا فَلَمْ تُخَفِّنَا. فَقَالَ:
 أَنَا فَاعِلٌ. فَقَقْلَنَ: نُرْسِلُ إِلَيْكَ لَعْدَائِكَ كُلَّ يَوْمٍ دَابَّةً مِنَّا. فَرَضِي بِذَلِكَ وَصَالِحُهُنَّ عَلَيْهِ، وَوَفَى
 لَهُنَّ بِمَا أَعْطَاهُنَّ مِنْ نَفْسِهِ، وَوَقِينَ لَهُ بِهِ. ثُمَّ إِنَّ أَرْنبًا أَصَابَتْهَا الْقُرْعَةُ فَقَالَتْ لَهُنَّ: أَيُّ شَيْءٍ يَضُرُّكُمْ
 إِنْ أَنْتُنَّ رَفَقْتُنَّ بِي فِيهَا لَا يَضُرُّكُمْ، وَأُرِيحُكُمْ مِنَ الْأَسَدِ؟ فَقَقْلَنَ لَهَا: وَمَا ذَلِكَ؟ قَالَتْ: تَأْمُرُنَّ
 مِنْ يَذْهَبُ مَعِيَ إِلَّا يَتَبَعَنِي لَعَلِّي أَبْطِئُ عَلَى الْأَسَدِ حَتَّى يَتَأَخَّرَ عَدَاؤُهُ فَيَغْضَبُ لَذَلِكَ. فَفَعَلْنَ
 بِهَا مَا ذَكَرْتَهُ، وَانْطَلَقَتْ مُتَّبِعَةً حَتَّى جَاءَتْ السَّاعَةُ الَّتِي كَانَ يَتَغَدَّى فِيهَا. فَجَاعَ الْأَسَدُ وَغَضِبَ
 وَقَامَ عَنْ مَرِيضِهِ يَمْشِي وَيَنْظُرُ. فَلَمَّا رَأَاهَا قَالَ: مِنْ أَيْنَ جِئْتِ؟ وَأَيْنَ الْوَحُوشُ؟ فَقَالَتْ: مِنْ
 عِنْدِهِنَّ جِئْتُ، وَهُنَّ قَرِيبٌ، وَقَدْ بَعَثَ مَعِيَ بَارْنَبَ، فَلَمَّا كُنْتُ قَرِيبًا مِنْكَ، عَرَّضَ لِي أَسَدٌ
 فَانْتَزَعَهَا مِنِّي، فَقُلْتُ: إِنَّهَا طَعَامُ الْمَلِكِ فَلَا تَغْصِبْنَهُ. فَشَتَمَكَ وَقَالَ: أَنَا أَحَقُّ بِهَذِهِ الْأَرْضِ وَمَا
 فِيهَا مِنْهُ. فَاتَّبَعْتُكَ لِأُخْبِرَكَ. فَقَالَ: انْطَلِقِي مَعِيَ فَأَرِينِيهِ. فَانْطَلَقَتْ بِهِ إِلَى جُبِّ صَافِي الْمَاءِ.
 فَقَالَتْ: هَذَا مَكَائِهِ، وَهُوَ فِيهِ، وَأَنَا أَفَرِّقُ مِنْهُ، فَاحْمِلِينِي فِي صَدْرِكِ²². فَحَمَلَهَا فِي صَدْرِهِ وَنَظَرَ
 فِي الْجُبِّ فَإِذَا هُوَ بَظَلُّهَا وَظِلُّهُ. فَوَضَعَ الْأَرْنبَ مِنْ صَدْرِهِ، وَوَثَبَ لِقِتَالِ الْأَسَدِ فِي الْجُبِّ وَطَلَبَهُ
 فَغَرِقَ، وَانْفَلَتَتْ مِنْهُ الْأَرْنبُ وَرَجَعَتْ إِلَى سَائِرِ الْوَحُوشِ فَأَعْلَمَتْهُنَّ بَخَبَرِهِ.

قَالَ كَلِيلَةُ: إِنْ قَدَّرْتَ عَلَى هَلَاكِ شَجَرَةٍ، فِي غَيْرِ مَشَقَّةٍ تَدْخُلُ عَلَى الْأَسَدِ، فَافْعَلْ؛
 فَإِنَّ مَكَانَهُ قَدْ أَضْرَبَ بِي وَبِكَ وَبِغَيْرِنَا مِنَ الْجُنْدِ. وَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ ذَلِكَ إِلَّا بِمَا يَنْغُصُّ الْأَسَدُ، فَلَا
 تَشْتَرِينَ ذَلِكَ بِذَلِكَ؛ فَإِنَّهُ عَدُوٌّ مِنِّي وَمِنْكَ وَلَوْمْ وَكُفَّرَ.

فحلّق الغراب فاذا بجارية ألفت ثيابها وحليها ، فأهوى فأخذ عقدا
 وحلّق به ، حتى رماه قريبا من جحر الأسود ، فأبى الناس وأخذوا الحلّي



ثم إن دمنة ترك الدخول على الأسد أياماً، ثم أتاه على خلوته متحازناً. فقال له الأسد: ما حبسك عني، منذ مدة لم أرك، أذلك لخير؟ قال دمنة: حدث ما لم يكن الملك يريد به ولا نحن. قال الأسد: وما ذلك؟ قال دمنة: هو كلام فطيع. قال الأسد: فأخبرني به. قال دمنة: إنه ما كان من كلام يكرهه سامعه، لم يكذب تشجع عليه قائله - وإن كان ناصحاً مشفقاً - إلا أن يثق بعقل المقول له، وإلا كان القائل خرقاً؛ فإنه إذا كان المقول له ذلك عاقلاً احتمله واستمعه وعرف ما فيه، لأنه ما كان فيه من نفع فإنما هو للسامع، وأما قائله فلا ينتفع به، بل قلماً يسلم من ضرره. وأنت أيها الملك ذو فضيلة في الرأي، ورجحان في الحلم، فأنا متشجع على أن أخبرك بما تكره، واثق بأنك تعرف نصيحتي، وإيثاري إياك على نفسي. وإنه ليعرض لي أنك غير مصدق بما أنا مخبرك به؛ ولكني إذا نظرتُ فذكرتُ أن أنفسنا، معتر السباع، معلقة بنفسك، لم أجذبُ بدءاً من أداء الحق الذي يلزمني لك، وإن أنت لم تسكني عنه، وخفتُ ألا تقبله مني؛ فإنه من كتم السلطان نصيحتَه، والأطباء مرضَه، والإخوان رأيَه. كان قد غش نفسه. فقال الأسد: وما ذلك؟ قال دمنة: حدثني الأمين الصادق عندي، أن شترية خلا برعوس جندك فقال لهم: قد عجمتُ الأسد، وبكوت رأيَه ومكيدته وقوته، فاستبان لي في كل ذلك ضعف، وإنه كائن لي وله شأن. وأنه لما بلغني هذا عرفتُ أن شترية خثون غادر، وقد عرف أنك أكرمته الكرامة كلها، وجعلته نظير نفسك، فهو اليوم يظن أنه مثلك، وأنت إن زلتَ عن مكانك صار له ملكك؛ فهو لا يدع جهداً. فإنه كان يقال: إذا عرفَ الملك من الرجل، أنه قد ساواه في الرأي والمنزلة والهيبة والمال والتبع، فليصرعه؛ فإنه إن لم يفعل كان هو المصروع. وأنت أيها الملك أعلمُ بالأمور، وأبلغُ فيها رأياً. وأنا أرى أن تحتال للأمر قبل تفاقمه، ولا تنتظر وقوعه، فإنك لا تأمنُ أن يفوتك ثم لا تستدركه؛ فإنه كان يقال: الرجال ثلاثة: حازمان وعاجز. فأحد الحازمين من إذا نزل به البلاء لم يدهش، ولم يذهب قلبه شعاعاً، ولم يعي برأيه وحيلته أو مكيدته التي بها يرجو المخرج والنجاة. وأحزم من هذا، المتقدم ذو العدة، الذي يعرف الأمر مبتدأً قبل وقوعه، فيعظمه إعظامه، ويحتال له حيلته كأنه قد لزمه، فيحسمُ الداء

قبل أن يُتَلى به ، ويدفع الأمر قبل وقوعه. وأما العاجز فهو الذي لا يزال في التردد وتمني الأمان حتى يهلك نفسه. ومثل ذلك مثل السمكات الثلاث. قال الأسد: وكيف كان مثلهن؟ قال دمنة:

زعموا أن غديرًا كان فيه ثلاث سمكات: كيّسة، وأكيس منها، وعاجزة. وكان ذلك المكان بنجوة من الأرض، لا يكاد يقربه من الناس أحد. فلما كان ذات يوم، مر صيادان على ذلك الغدير مجتازين، فتواعدا أن يرجعا إليه بشياكهما فيصيدا الثلاث السمكات اللواتي رأياهن فيه. فلما رأتهما الحازمة ارتابت بهما، وتحوّفت منهما، فلم تعرّج أن خرجت من مدخل الماء إلى النهر. وأما الكيّسة فتلبّثت حتى جاء الصيادان، فلما أبصرتهما قد سدا مخرجها، وعرفت

فحملها في صدره ونظر في الجب. فإذا هو بظلمها وظلّه



مثل السمكات
الثلاث

الذي يريدان بها، قالت: فَرَطْتُ، وهذه عاقبة التفريط، فكيف الخلاصُ وقلما تنجح حيلة المهروق؟ ولكنَّ العالم لا يقنطُ على كل حال، ولا يدعُ الأخذ بالرأي. ثم تماوتت وجعلت تطفو على وجه الماء منقلبة، فأخذها فألقاها على الأرض غير بعيد من النهر، فوثبت فيه فنجت منهما. وأما العاجزة فلم تنزل في إقبال وإدبار حتى صاهاها.

وأنا أرى لك أيها الملك، معاملة الحزم والحيلة، فتحسُّمُ الداء قبل أن تُبْتَلَى به، وتدفعُ الأمر قبل نزوله.

فقال الأسد: قد فهمتُ ما ذكرتَ؛ ولكن لا أظنَّ شنزبة يبغيني سوءاً ولم أفعله به. قال دمنة: ألا إنه لا يحمله على ذلك إلا ذلك؛ فإنك لم تدع خيراً إلا صنعتَه به، ولا مرتبةً شريفة إلا بلغته إياها، فلم يبق شيء يسمو إليه إلا مكانك؛ فإنَّ اللثم الكفور لا يزال ناصحاً نافعاً، حتى يُرْفَع إلى المنزلة التي ليس لها بأهل، فإذا فُعل ذلك به، التمسَ ما فوقها بالغشِّ والخيانة. ولا يخدِمُ السلطان ولا ينصح له إلا عن قَرْق أو حاجة؛ فإذا استغنى وأمن عاد إلى أصله وجوهره؛ كذَّبت الكلب الأعقف، لا يزال مستقيماً ما دام مربوطاً، فإذا حُلَّ عاد إلى ما كان عليه. واعلم أنه من لم يقبل من نُصَحائه ما يُثقل عليه مما ينظرون له فيه، لم يحمد مَعَبَّة أمره ورأيه؛ كالمرضى الذي يترك ما بُنعت له الطبيب ويعود لما تشتهي نفسه. وحقُّ على وزير السلطان أن يبالح في الحضيضِ ° له على ما يزيته، ويكون فيه رشدُه وكفُّ الشين والغِي عنه. وخيرُ الأعوان أفلهم مصانعةً، وأفضلُ الأعمال أحلاها عاقبةً، وأحسنُ الثناء ما كان على أفواه الأحرار، وأشرف السلطان ما لم يخالطه بطر، وأيسرُ الأغنياء من لم يكن للحرص أسيراً، وأفضلُ الأصدقاء من لم يُخاصِم، وأمثلُ الأخلاق أعونها على الورع. وقد قيل لو أنَّ امرأً توسَّد النارَ، وافترش الحياتَ، كان أحقَّ بأن يهنَّه النومُ عليها، منه إذا أحسَّ من صاحبه الذي يغدو عليه ويروج، بعداوة يُريد بها نفسه. وأعجزُ الملوك آخذهم بالهويِّنا، وأشبههم بالليل المعتم ° الذي لا يلتفت إلى شيء؛ فإن خزبه أمرُ ثاؤون به، وإن أضاع ما ينفعه، جعل ذلك على قرايينه ° ° °

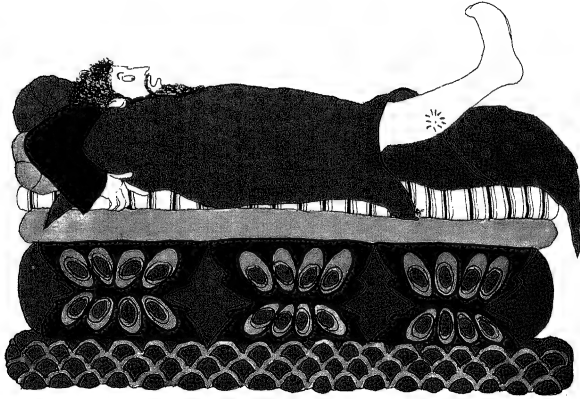
فإن كنت لا تخاف شترزة وقد وثقت به، فرب موثوق به غاير. فأشفيق من جندك؛ فإنه قد ألَّهمهم وحملهم على عداوتك وجرأهم عليك، مع أني قد عرفت أنه لا يريد مناظرتك، ولا يَكِلُ العملَ إلى غيره في ذلك من أمرك. فوقع في نفس الأسد ما قاله دمنة، وقال له: ما ترى؟ فقال دمنة: إن صاحب الضرس المأكول لا يزال في أذى منه حتى يفارقه، والطعام الذي غثيت منه النفس راحتها في قذفه، والعدو المخوف دواؤه في فقدته أو قهره. قال الأسد: لقد تركتني كارهاً لمجاورة شترزة، فأنا مُرسِلٌ إليه فذاكرُ له ما وقع في نفسي، وأمره بالحق حيث أحب. فكره دمنة ذلك، وعرف أن الأسد إن كَلَّمَ شترزة وسمع مرجوعه عليه، عذره وصدقه ولم يخف عليه أمره، فقال: ما أرى ذلك لك أيها الملك؛ فإنه لا يزال لك من أريك الخیار ما دام لا يعلم بأن أمره قد وصل إليك. فإنه إن شعر بذلك خِفْتُ أن يكابرَكَ أو يتنحى عنك؛ فإن قاتلك قاتلك مُستعِداً، وإن فارقت فارقت حذراً، وكان له عليك في ذلك الفضل. مع أن الملوكة حَزَمَةٌ لا يُعلنون بالعقوبة إلا لمن ظهر ذنبه، وما كان من ذلك مكتوماً سترها منه.

قال الأسد: إن الملك إذا عاقب أحداً أو أهانه عن أمرٍ - يظنه به - لا يستيقنه، ثم علم أن ذلك ليس كما بلغه، فبنفسه فعل ذلك، وإياها عاقب ونكَب.

قال دمنة: فلا يدخلن عليك شترزة إلا وأنت مستعد له، واحذر أن يصيب منك غرّة؛ فإنني لا أحسبك، لو قد نظرت إليه حين يدخل عليك، إلا ستعرف أنه قد همَّ بعظيمة. ومن علامات ذلك أن ترى لونه متغيراً وأوصاله ترتعد، وهو يلتفت يميناً وشمالاً، ويهبي قرنيه كأنه بهم بالنطح.

قال الأسد: سأخذ بمشورتك في ذلك. ولئن أنا رأيته على ما وصفت، فليس في أمره عندي شك.

فلما فرغ دمنة من تضرير الأسد على الثور، وأوقع في نفسه الذي أراد، همَّ بأن يذهب إلى شترزة ليُغريه به ويحمّله عليه. وأحب أن يكون ذلك بأمر الأسد وعن علمه، لئلا يبلّغه



فلما آوى الرجل إلى فراشه ، لدعه البرغوث فأوجعه

ذلك عن غيره فيتهمه فيه ، فقال : ألا آتني شنزبة فأنظر إلى حاله وأسمع كلامه لعلني أطلع على بعض أمره ، فأعلم الملك به ؟ قال الأسد : شأنك وما تريده . ثم إن دمنة انطلق إلى شنزبة فدخل عليه كالحزين المكتئب . فرحب به شنزبة ، وقال : لم أرك منذ أيام ، فما حبسك ؟ أهو خير ؟ فقال دمنة : ومتى كان من أهل الخير من لا يملك نفسه ، ومن إنما أمره بيد غيره ، ممن لا يؤتق به ، ومن لا ينفك في خوف منه ، حتى ما من ساعة يأمنه فيها على نفسه ؟

قال شنزبة : فما ذلك ؟ قال دمنة : حدث أمر ؛ فمن ذا يغلب القدر ؟ ومن بلغ في الدنيا جسياً فلم يبطر ، أو اتبع الهوى فلم يعثر ، أو جاور النساء فلم يفتن ، أو طلب إلى اللثام فلم يهن ويحرم ، أو واصل الأشرار فلم ، أو صاحب السلطان فدام له منه الإحسان ؟ لقد صدق

مثل البغي
كلما ذهب واحد
جاء آخر مكانه



الذي يقول: إنما مثْلُهُم، في قِلَّةِ وفائِهِم لأصحابِهِم وسخاءِ أنفُسِهِم عن قَدِّدوا مِنْهُمْ، مَثَلُ الْبَغِيِّ²³ كلما ذهب واحد جاء آخر مكانه. فقال شترية: أسمع لك كلاماً أعرف به أنه قد رابك من الأسد شيء. قال دمنة: ذلك كذلك؛ ولكن ليس في أمر نفسي. وقد تعرّف حقك عليّ، وودّ ما بيني وبينك، وما كنتُ جعلتُ لك من ذِمَّتِي أيامَ كان الأسدُ أرسلني إليك. فلم أجِدْ بداً من حِفْظِكَ والنصيحةِ لك، وإِطْلَاعِكَ على ما أخاف فيه الهلكةَ عليك. قال شترية: وما ذلك؟ قال دمنة: حدّثني الأمينُ الصدوق أن الأسدَ قال لبعض أصحابه: لقد أعجبتني سِمَنُ شترية، وليست بي حاجةٌ إليه، وما أراي إلا آكلَه ومُطْعِمَكُم منه. فلما بلغني ذلك عرفتُ كفره وغدره، وأقبلتُ إليك لأحدرك لتحتال في نجاتك في رفق.

فلما سمع شترية كلام دمنة، وتذكّر ما كان جعل له، وفكّر في أمر الأسد، ظنّ أنه قد صدقه، فاهتم وقال: ما ينبغي للأسد أن يغيّر بي، ولم أذنبُ إليه، ولا إلى أحد من جنده. وأظنّه قد حيلَ عليّ. وشبّه عليه في أمرِي؛ فإنه قد صعبه قوم سوء، جرّب وعرف منهم أشياء هي تُصدّق عنده ما بلغه عن غيرهم؛ فإنّ مقارنة الأشرار ربما أورت أهلكها تُهمّة الأخيار،

وحَمَلَهُمْ ذلك على خطأ كخطأ البطة التي رأت في الماء ضوء كوكب فحاولت أن تصيده، فلما لم تره شيئاً تركته، حتى إذا كان عند المساء أبصرت فيه نوناً*، فحسبت أنه مثل ما رأت قبله، فرفضت طلبه .

فإن كان ما بلغه عني باطلاً فحقَّقه، لما اختبر من غيري، فبالحرِّي؛ وإن كان لم ينتهِ إليه من ذلك شيء فأراد هلاكه عن غير علة، فذلك عجب. وأعجب منه أن أكون أطلبُ رضاه وموافقته فلا يرضى. وأعجب من ذلك أن ألتبس محبته وأجتنب مخالفته فيغضب ويسخط. وإن كانت موجدته عن غير سبب انقطع الرجاء؛ لأنَّ العلة إذا كانت المتعَبَّة في ورودها، كان الرضا في إصدارها؛ وهي تذهب أحياناً وتوجد أحياناً، والباطل قائم غير مفقود. وقد تذكرتُ فلا أعلم لي ذنباً فيما بيني وبين الأسد - إن كان - إلا صغيراً. ولعمري ما يستطيع امرؤ صاحب أحد، أن يتحفَّظ حتى لا يقرط منه شيء يكرهه؛ ولكنَّ الرجل ذا العقل والوفاء، إذا سقط صاحبه نظر في ذلك، وما حدُّ مبلَّغه، وخطأً كان أو عمداً، وهل في الصَّحِّ عنه مخوف، ثم لا يؤاخذه مهما وجد إلى العفو عنه سبيلاً. فإن كان الأسد يعتدُّ عليَّ جرماً فلست أعرفه إلا أنني كنتُ أخالف عليه في بعض رأيه؛ فلعله يقول: ما جرأه على أن يقول «نعم» إذا قلت «لا»، أو يقول «لا» إذا قلت «نعم»؟ ولا أجِدني في ذلك مخصوماً، لأنِّي لم أكن أريد بذلك إلا منفعتي، ولم أكن أجأه به على رموس جُنْدِه، ولكن أخلو به فأكلمه فيه وأنا هائب له. وعرفتُ أنه من التمس الرُّخصة من الإخوان عند المشاورة، والأطباء عند المرض، والفقهائ عند الشبهة، فقد أخطأ الرأي، وزاد في المرض، واحتمل الوزر. فإن لم يكن هذا فعسى أن يكون من سكرات السلطان؛ فإنَّ منها أن يسخط على من لم يستوجب السخط، ويرضى عمَّن لم يستحق ذلك في غير أمر معلوم .

وكذلك قيل: قد غرَّر من ليجج في البحر، وأشدُّ منه مخاطرةً صاحبُ السلطان؛ فإنه خليقٌ، وإن هو لزمهم بالوفاء والاستقامة والمودة والنصيحة، أن يعثر فلا يتعثر. وإن²⁴ لم يكن هذا فلعل بعض ما أُعطيته من الفضل جعل فيه هلاكه؛ فإنَّ الشجرة الحسنة ربما كان فسادها

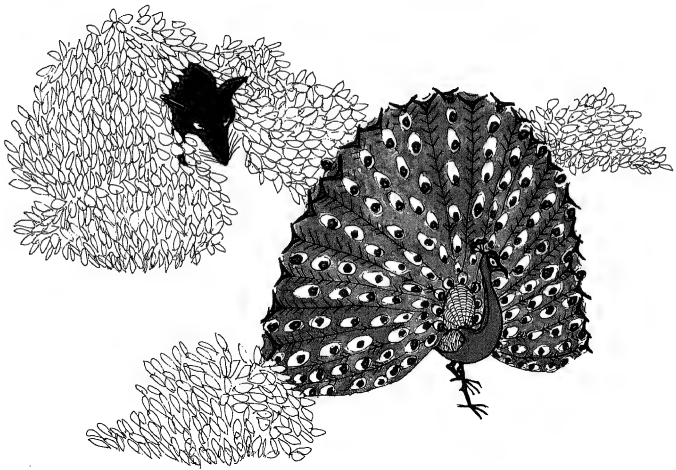
* نوع من السمك، ويقال: هو الحوت .

في طيب ثمرتها إذا تُنَوِّلَتْ أغصانها وجُدِّيت حتى تُكسر وتفسد؛ والطاوس ربما صار ذنبه الذي هو حسنه وجماله، وبالأعلى عليه، فاحتال إلى الخفة والنجاة ممن يطلبه، فيشغله عن ذلك ذنبه؛ والفرس الجواد القوي ربما أهلكه ذلك فأجهد وأتعب واستعمل لما عنده من الفضل حتى يهلك، والرجل ذا الفضل ربما كان فضله ذلك سبب هلاكه، لكثرة من يحسده ويبغى عليه من أهل السوء، وأهل الشر أكثر من أهل الخير بكل مكان، فإذا عادوه وكثروا عليه أوشكوا أن يهلكوه. فإن لم يكن هذا فهو إذا القدر الذي لا يدفع؛ فإن القدر هو الذي يسلب الأسد شِدَّتَه وقُوَّتَه حتى يُدخله التابوت، وهو الذي يحمل الضعيف على ظهر الفيل، وهو الذي يسلب الحواء على الحية فينزعه حُمَّتَها فيلعبُ بها كيف شاء، وهو الذي يُعجز الأريب ويُجزم العاجز، ويثبط الشهم ويشهّم الثببط^{٥٥}، ويوسع على المُقتر ويُقتر على المؤسر، ويشجع الجبان ويحجّن الشجاع عند ما تعثر به المقادير من معاريض العلل التي عليها قُدِّرَت مجاريها^{٥٦}.

قال دمنة: إن إرادة الأسد لما يريد، ليس لشيء مما ذكرت من تحميل الأشرار ولا غير ذلك، ولكنه الغدر والفجور؛ فإنه جبار غدار، أول طعامه حلاوة، وآخره مرارة، بل أكثره سمٌ مميت. قال شنزة: صدقت. لعمرى لقد طعمت فاستلذت؛ فأراني قد انتهيت إلى الذي فيه الموت. وما كان، لولا الجبر، مُقامي مع الأسد؛ هو آكل لحم وأنا آكل عشب. فقبحاً للحرص وقبحاً للأمل؛ فهما قذفاً في هذه الورطة، واحتبساني عن مذهبي كاحتباس النحل فوق النيلوفر - إذا وجدت ريحه واستلذت به وأغفلت منهاجها الذي ينبغي لها أن تطير فيه قبل انضمام النيلوفر - فتلج فيه فتמות. ومن لم يرض بالكفاف من الدنيا، وطمعت نفسه إلى الفضول والاستكثار، ولم ينظر فيما يتخوف أمامه، كان كالذباب الذي ليس يرضى بالشجر والرياحين، حتى يطلب الماء الذي يسيل من أذن الفيل المغتلم، فيضربه الفيل بأذنيه فيقتله. ومن بذل نصيحته واجتهاده لمن لا يشكر له، فهو كمن بذر بذره في السباح^{٥٧}، أو أشار على الميت.

قال دمنة: دَعْ عنك هذا الكلام، واجتهد لنفسك. قال شنزة: بأي شيء أحتال لنفسي،

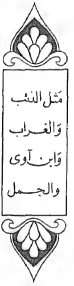
٥٥ الذي يلعب الحيات. ٥٦ المتكاسل المتشاغل. ٥٧ السبخة أرض ذات ملح لا ينبت فيها شيء.



والطاووس ربما صار ذنبه الجميل وبالأعلى عليه

إن أراد الأسد قتلي ؟ فما أعرفني بأخلاق الأسد ورأيه ، وأعرفني بأنه لو لم يُرد بي إلا الخير ، ثم أراد أصحابه ، بمكرهم وفجورهم ، هلاكه عنده ، قدروا على ذلك ! فإنه لو اجتمع المكره الظلمة على البريء الصحيح كانوا خلقاء أن يهلكوه ، وإن كانوا ضعفاء وكان قوياً ، كما أهلك الذئب والغراب وابن آوى الجميل ، حين اجتمعوا عليه بالمكر والخلافة . قال دمنة : وكيف كان ذلك ؟ قال الثور :

زعموا أن أسداً كان في أجمة مجاورة طريقاً من طرق الناس ، له أصحاب ثلاثة : ذئبٌ



وابن آوى وغراب، وأن أناساً من التجار مروا في ذلك الطريق فتخلف عنهم جمل لهم، فدخل الأجمة حتى انتهى إلى الأسد، فقال له الأسد: من أين أقبلت؟ فأخبره بشأنه. فقال له: ما تريد؟ قال: أريد صحبة الملك. قال: فإن أردت صحبتي فاصحبني في الأمن والخصب والسعة. فأقام الجمل مع الأسد حتى إذا كان يوم توجه الأسد في طلب الصيد فلقني فيلاً فقاتله قتالاً شديداً. ثم أقبل الأسد تسيل دماؤه مما جرحه الفيل بنابه. فوقع مُثخناً لا يستطيع صيداً. فلبث الذئب وابن آوى والغراب أياماً لا يصبون شيئاً مما كنّ يعيشون به من فضول الأسد، وأصابهم جوع وهزال شديد. فعرف الأسد ذلك منهم فقال: جهدتنّ واحتججتنّ إلى ما تأكلن. فقلن: ليس همنّا أنفسنا ونحن نرى بالملك ما نرى، ولسنا نجد للملك بعض ما يصلحه. قال الأسد: ما أشك في مودتكم وصحبكم، ولكن إن استطعتم فانتشروا، فعمى أن تصيبوا صيداً فتأتوني به، ولعلي أكسبكم ونفسي خيراً. فخرج الذئب والغراب وابن آوى من عند الأسد فتنحوا ناحية، واثمروا بينهم وقالوا: ما لنا ولهذا الجمل الآكل العشب، الذي ليس شأنه شأننا، ولا رأيه رأينا؟ ألا نزين للأسد أن يأكله ويطعمنا من لحمه؟ قال ابن آوى: هذا ما لا تستطيعان ذكره للأسد، فإنه قد أمن الجمل، وجعل له ذمة. قال الغراب: أبقيا مكانكما ودعاني والأسد.

فانطلق الغراب إلى الأسد. فلما رآه قال له الأسد: هل حصلت شيئا؟ قال له الغراب: إنما يجد من به ابتغاء، ويُبصر من به نظر. أما نحن فقد ذهب منا البصر والنظر لما أصابنا من الجوع، ولكن قد نظرنا في أمر وافق عليه رأينا، فإن وافقتنا عليه فنحن مخصيون*. قال الأسد: وما ذلك الأمر؟ قال الغراب: هذا الجمل الآكل العشب، المتمرغ بيننا في غير منفعة. فغضب الأسد وقال: وملك! ما أخطأ مقالتك، وأعجز رأيك، وأبعدك من الوفاء والرحمة. وما كنت حقيقاً أن تستقبلي بهذه المقالة. ألم تعلم أني أمنت الجمل، وجعلت له ذمة؟ ألم يبلغك أنه لم يتصدق المتصدق بصدقة - وإن عظمت - هي أعظم من أن يجبر نفساً خائفة، وأن يحقن دماً مهدوراً؟ وقد أجرت الجمل، ولست غادراً به. قال الغراب: إني لأعرف ما قال الملك؛

ولكن النفس الواحدة يفتدي بها أهل البيت، وأهل البيت تفتدي بهم القبيلة، والقبيلة يفتدي بها المصر، والمصر فدى الملك إذا نزلت به الحاجة. وإني جاعلٌ للملك من ذمته مخرجاً، فلا يتكلف الأسد أن يتولى غدرًا ولا يأمر به؛ ولكننا محتالون حيلة فيها وفاء للملك بدمته وظفر منّا بحاجتنا. فسكت الأسد.

فأتى الغراب أصحابه فقال: إني قد كلمت الأسد حتى أقرّ بكذا وكذا. فكيف الحيلة للجمال إذا أبى الأسد أن يلي قتله أو يأمر به؟ قال أصحابه: برفقك ورأيك نرجو ذلك. قال الغراب: الرأي أن نجتمع والجمال، ونذكر حال الأسد، وما قد أصابه من الجوع والجهد، ونقول: لقد كان إلينا مُحسنًا، ولنا مُكرماً. فإن لم ير منّا اليوم - وقد نزل به ما نزل - اهتماماً بأمره وجرصاً على صلاحه، أنزل ذلك منّا على لؤم الأخلاق وكُفر الإحسان. ولكن هلموا فتقدموا إلى الأسد نذكر له حسن بلائه عندنا، وما كنا نعيش به في جاهه، وأنه قد احتاج إلى شكرنا ووفائنا، وأنا لو كنا نقدر له على فائدة نأتيه بها لم نذكر ذلك عنه، فإن لم نقدر على ذلك فأنفسنا له مبدولة. ثم ليعرض عليه كل واحد منّا نفسه وليقل: كلني أيها الملك، ولا تمت جوعاً. فإذا قال ذلك قائل، أجابه الآخرون وردوا عليه مقاتله بشيء يكون له فيه عُذر، فسكت ويسكتون، ونسلم كلنا ونكون قد قضينا دمام الأسد. ففعلوا وواطأهم الجمال على ذلك.

ثم تقدموا إلى الأسد، فبدأ الغراب وقال: إنك احتجت أيها الملك إلى ما يُقيمك، ونحن أحقُّ أن نهب أنفسنا لك؛ فإننا بك كنا نعيش، وبك نرجو عيش من بعدنا من أعقابنا، وإن أنت هلكت فليس لأحد منّا بعدك بقاء، ولا لنا في الحياة خير؛ فإنا أحبُّ أن تأكلني، فما أطيب نفسي لك بذلك. فأجابه الذئب والجمال وابن آوى أن أسكت فما أنت؟ وما في أكلك من الشيع للملك؟ قال ابن آوى: أنا مشيعُ الملك. قال الذئب والجمال والغراب: أنت مُتين البطن والريح، خبيث اللحم؛ فنخاف إن أكلك الملك، أن يقتله خُبث لحملك. قال الذئب: لكنني لست كذلك، فليأكلني الملك. قال الغراب وابن آوى والجمال: من أراد قتل نفسه فليأكل

لحم الذئب، فإنه يأخذه منه الخُناق. وظنَّ الجمل أنه، إذا قال مثل ذلك عن نفسه، يلتصقون له مَخْرَجاً كما صنعوا بأنفسهم، ويسلمُ ويُرْضي الأسد. قال الجمل: لكن أيها الملك، لحمي طيبٌ ومريء، وفيه شيعٌ للملك. قال الذئب والغراب وابن آوى: صدقتَ وتكرمتَ وقلت ما نعرف. فوثبوا عليه فزقوه .

وإنما ضربت هذا المثل للأسد وأصحابه، لعلمي بأنهم إن اجتمعوا على هلاكِي لم أمتنع منهم، ولو كان رأيُ الأسد في غير ما هو عليه، ولم يكن في نفسه إلا الخير. فإنه قد قيل: إن خيرَ السلطان من أشبه النُسور حوها الجيفُ، لا من أشبه الجيف حولها النُسور. ولو أن الأسد لم يكن في نفسه إلا الرحمة والحب لم تُلبَّه الأفاويل، إذا كثرت عليه، أن يذهب ذلك كله، حتى يستبدل به الشرارة والغلظة. ألا ترى أن الماء ألينُ من القول، وأن الحجر أشدُّ من القلب؛ وليس يلبث الماء إذا طال تحدره على الحجر الصلْد أن يؤثر فيه ؟

قال دمنة: فإذا تريد أن تصنع ؟ قال شترية: ما إن أرى إلا أن أجاهده. فإنه ليس للمصلي في صلاته، ولا للمتصدق في صدقته، ولا للورع في ورعه مثل أجر المجاهد بنفسه ساعة من نهار إذا كان مُحققاً، وكان عدوه مُبطلأ؛ فإنه من ذلك على أمرين يستيقن منهما الأخيار: إن قُتِلَ فالجنة، وإن قُتِلَ فأجر وظفر .

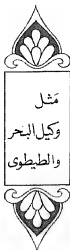
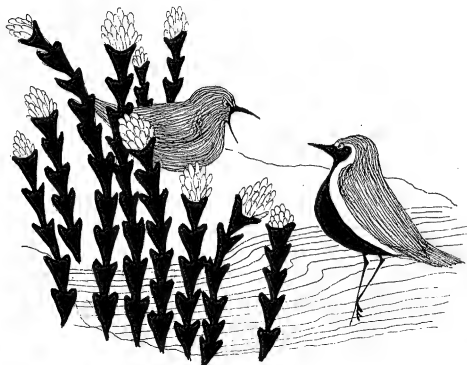
قال دمنة: ليس ينبغي لأحد أن يخاطر بنفسه؛ فإنه إن فعل ذلك وهلك، كان قد أضاع نفسه وأثم، وإن ظفر كان من قِبَل القضاء؛ ولكن ذا العقل يجعل القتال آخر حيلة، ويدأب بما استطاع من رفق أو تمحل ولا يعجل. وقد قيل: لا تحقرن العدو الضعيف المهين، ثم لا سيما إن كان ذا حيلة؛ فكيف بالأسد، وهو في جرأته وشدته على ما قد عرفت ؟ فإنه من استصغر أمر عدوه وتهاون به، أصابه ما أصاب وكيل البحر من الطيطوى. قال شترية: وكيف كان ذلك؟

قال الجمل: أيها الملك، لحمي طيب ومريء

• لم تلبَّه: لم تؤخره .



فقلت زوجة الطيطوي
له: يا غافل، لتحسن
نظرك فيما تقول !



قال دمنة: زعموا أنّ طائراً من طيور الماء يُدعى الطيطوي كان هو وزوجته في بعض سواحل البحر. فلما كان إبانَ بَيْضِها أعلمته بذلك، وقالت له: التمسْ مكاناً حريزاً أبيضُ فيه. فقال لها: ليكنْ ذلك في منزلنا؛ فإنَّ العُشبَ والماءَ كثير، ومنا قريب، وذلك أرقُّ بنا من غيره. فقلت: يا غافلُ، لِتُحسِنَ نظرك فيما تقول؛ فإننا بمكاننا هذا على غرر؛ لأنَّ البحر لو قد مَدَّ ذَهَبَ بفراخنا. فقال: لا أراه يحول علينا لما يخاف الوكيلُ عليه من الانتقام منه. فقلت: ما أشدَّ بَغْيِك في هذه المقالة ! أو ما تستحي وتعرفُ قَدْرَ نَفْسِك، في وعيدك من لا طاقة لك به، وتهْدِرُك إياه ؟ وقد قيل: إنه ليس من شيء أشدَّ معرفَةً لنفسه من الإنسان.²⁶ وذلك حقٌّ فاسمع كلامي، وأطع أمري؛ فأبى أن يجيبها إلى ما تدعو إليه.

فلما رأت ذلك قالت: إن من لا يسمع القول النافع من أصدقائه، يُصيبه ما أصاب السلحفاة. قال: وكيف كان ذلك ؟ قالت: زعموا أنّ عَيْناً كان فيها بطّان وسلحفاة، وكان قد أُلِفَ بعضهم بعضاً وصادقه. ثم إن تلك العينَ نقصَ ماؤها في بعض الأزمانِ نقصاناً فاحشاً.



فلما رأت البطتان ذلك قالت :
إنه لينبغي لنا ترك ما نحن فيه ،
والتحول إلى غيره . فودعنا
السُّلحفاة وقالتا : عليك السلام
فإننا ذاهبتان . قالت السُّلحفاة :
إنما يشتدُّ نُقصان الماء على
مثلي ، لأنني لا أعيش إلا به ؛
فاحتالا لي واذهبا بي معكما .
فقالتا : لا نستطيع أن نفعل
ذلك بك ، حتى تشتطي لنا
أننا إذا حملناك فرآك أحد
فذكرك ، ألا تُجيبه . فقالت :

نعم ؛ ولكن كيف السبيل إلى
ما ذكرتما ؟ فقالتا : نَعَصِّين
على وسط عُود ، وتأخذُ كلُّ
واحدة منا بطرفه . فرضيتُ
بذلك وطارا بها ، فرآها الناس
فقال بعضهم لبعض : انظروا
إلى العجَب : سلحفاة بين



قال الناس : انظروا إلى العجَب !

سلحفاة بين بطتين

بَطْنَيْنِ تطيران بها في الهواء. فلما سمعت ذلك قالت: رَغْمُ لَأَنْفُكُم. فلما فَتَحَتْ فاهَا بِالْمَنْطِقِ، وقعت إلى الأرض فأتت.

فقال الطيطوى للأثنى: قد فهمتُ ما ذكرتِ، فلا تخافي وكيلاً البحر، ولا ترهبه. فباضت مكانها وقرخت. فلما سمع وكيلاً البحر ذلك أحبَّ أن يعلم كُنْهَ الذي يقدر عليه الطيطوى من الاجتزاء منه، وما حيلته في ذلك. وأمهلته حتى مدَّ البحرُ، وذهب بالفراخ في عَشْنَهْ غَيِّبَهْن. فلما فَقَدَتِهْنِ أُمُهْنِ قالت للطيطوى: قد كنتُ عارفةً في بدء أمرنا أنَّ هذا كائن، وأنها سترجع عليّ وعليك، قَلَّةَ مَعْرِفَتِكَ بنفسك. فانظر إلى ما أصابنا من الضَّرِّ في سبب ذلك. فقال: سَتَرَيْنِ صُنْعِي، وما بصيرُ إليه عاقبةُ أمرِي. وانطلقَ إلى أصحابه فشكا ذلك إليهم، وقال: إنكم إخوتي وأهل مودتي وثقتي، وأنا أطلب ظلامتي، فأعينوني وظافروني؛ فإنه عسى أن ينزل بكم مثلُ ما نزل بي. فقالوا له: نحن على ما وصفت، وأنت أهل لأن تُسَعَفَ بما طلبت؛ ولكن ما عَسِينَا أن نقدر عليه من ضَرِّ البحر ووكيله؟ قال: فاجتمعوا بنا، فلنأتِ سائرَ الطير، فلندكرُ ذلك لهم. فأجابوه إلى ذلك، وأعلمَهْن ما أصابه وحلَّ به، وحذرنَّ أن ينزل بهنَّ مثله. فقلن له: الأمرُ على ما ذكرتُ؛ فما الذي نستطيع من مساءة البحر ووكيله؟ فقال: إنَّ مَلِكَنَا مَعَشَرَ الطير العنقاء²⁷، فنعالوا نصرُخَ بها حتى تَبَدُّوْا لنا. ففعلوا ذلك، فظهرتْ لَهْنِ وقالت: ما جَمَعَكُنَّ؟ وَلِمَ دعوتُني؟ فَأَنهِنَّ إليها ما لقين من البحر ووكيله، وقلن لها: إنك مَلِكُنَا، والمَلِكُ الذي يَفْتَعِدُكَ أقوى من وكيال البحر، فانطلقِي إليه فليُعِنَا عليه. ففعلت ذلك، فأجابهَا إلى ما سألت، وانطلق ليقاتله. فلما عَلِمَ بذلك وكيلاً البحر، وعَرَفَ ضَعْفَه عند قُوَّتِهِ، رَدَّ فِرَاحَ الطيطوى عليه.

وإنما ضربتُ لك هذا المثلَ لأني لا أرى لك قتالَ الأسد، ولا المجاهرةَ له به. قال شتربة: ما أنا بناصبٍ للأسد العداوة، ولا متغيِّرٍ له عما كنتُ عليه حتى يبدؤَ بي ما أخوفُ منه، فأغالبه. فكَرِهَ ذلك دمنة، وظنَّ أنَّ الأسد، إن لم يرَ من شتربة العلامات التي وصف له، اتهمه. فقال: انطلقْ؛ سيستبين لك، إذا دخلتَ عليه، آياتُ ما ذكرتُ لك. قال شتربة: وكيف أعرف

إذا رأيت الأسد يسدد إليك
بصره ويتلمّظ ، فاعلم أنه يريد
قتلك



ذلك ؟ فقال دمنة : إن أنت رأيت الأسد حين تدخل عليه ، ينتصبُ مُقْبِعاً ، ويرفعُ صدره ، ويسدُّ إليك بصره ، ويضرب بذنبه ، ويتلمّظُ ، فاعلم أنه يريد قتلَكَ ، فاحذره ولا تغترّ إليه . فقال شترية : لئن أنا عاينتُ منه ما وصفتَ ، فما في أمره عندي شك .

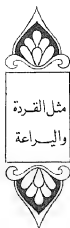
فلما فرغ دمنة من تحميل الأسد على شترية ، وشترية على الأسد ، توجهَ إلى كليلة . فلما لقيه قال : إلّا ما انتهى عملك الذي كنتَ فيه ؟ فقال دمنة : يا أخي قد تقارب نجاحه على الذي تُحب . فلا تُشكّن في ذلك ، ولا تظنن أن الإخاء بين الأخوين ثابت إذا احتال لقطعه الأريب الرفيق . فانطلقا حتى أتيا الأسد في عَرَبِه ، ووافقا شترية قد دخل عليه فرآه على حال ما ذكر دمنة ، ووصّفه له . فاستيقن بالهلكة ، وقال : ما صاحبُ السلطان - فيما يُتخوَّف من بوارده عندما يرقى أهلُ البغي إليه - إلّا كمجاور الحية في بيته ، والأسد في عَرَبِه . والسابح في الماء الذي فيه التماسيح²⁸ لا يدري متى يهيج به بعضهنّ . ففكّر في ذلك وتنبأ لقتاله . ونظر إليه الأسد فعرف ما كان دمنة ذكر له منه ، فوآئبه ؛ فاقتتلا قتالاً شليداً سالت منه الدماء بينهما .

فلما رأى كليله ذلك قال لدمنه: أيها الفسل! انظر إلى حيلتك؛ ما أنكدها وأوخم عاقبتها! فإنك قد فضحت الأسد، وأهلكت شترية، وفرت كلمة الجند، مع ما استبان لي من خرقك فيما ادّعت فيه الرفق. أولست تعلم أنّ أعجز الرأي ما كلف صاحبه القتال، وهو عنه غني؟ وأنّ الرجل ربما أمكنته فرصته في عدوه فتركها، مخافة تعرض النكبة، ورجاء أن يقدر على حاجته بغير ذلك. وإذا كان وزير السلطان يأمره بالمحاربة فيما يقدر على بُغيته فيه بالمسألة فهو أشد من عدوه له ضرراً. وكما أنّ اللسان يُدركه الضعف عن نهكة الفؤاد، فكذلك النجدة تلحقها السخافة عن خطأ الرأي، فانهما إذا فقد أحدهما صاحبه لم يكن للآخر عمل عند اللقاء. وللرأي عليها الفضل؛ لأنّ أموراً كثيرة يُجزي[°] فيها الرأي، ولا تبلغ هي شيئاً إلّا به. ومن أراد المكر، ولم يعرف وجه الأمر الذي يأتيه منه ويحيد فيه عنه، كان عمله كعملك. ومن عرف التمثل والرفق. وهو ضعيف بنفسه وعدوه قوي، فإنه أقوى من عدوه؛ لأنّ الفيل والأسد مع قوتيهما، والحية الأسود مع سمّه ونهشته، وقوة الماء والنار والريح والشمس؛ فإنّ الرجل الضعيف، بالرفق والحيل يظفر بهم، وبالحيل يركب الفيل، ويأخذ الحية ويلعب بها، ويصبر الأسد في التابوت، ريّجري الماء على موضع ما يريد، ويمنع مضرة النار والريح والشمس، ويستخدم القوي. وقد كانت لي معرفة ببغيك وعُجْبك بنفسك. ولم أزل أتوقع، منذ رأيت شرّك وحرصك، داهية تُنجي بها عليّ وعليك؛ فإنّ ذا العقل يُفكر في الأشياء قبل ملاستها؛ فما رجا أن يتم له أقدم عليه، وما خاف أن يتعدّر عليه انصرف عنه. ولم يمنعني من تأنيبك في أول أمرِك، ووقّيك على خطأك رأيك، إلّا أنّ ذلك كان ما لا أستطيع إظهاره، ولا ابتغاء الشهود عليك فيه. فأما الآن فإني سأفسّر لك ما أنت عليه من ذلك؛ فإنك تحسن القول ولا تحكّم العمل. وقد قيل: ليس شيء بأهلك للسلطان من كان كذلك. وهذا الذي غرّ الأسد منك. ولا خير في الكلام إلّا مع الفعل، ولا في الفقه إلّا مع الورع، ولا في الصدقة إلّا مع النية، ولا في المنظر إلّا مع المخبر، ولا في المال إلّا مع الجود، ولا في الحياة إلّا مع الصحة والسرور والأمن. وقد سوّط^{°°°} أمراً لا يداويه إلّا العاقل الرفيق، كالمرىض الذي يجتمع عليه فساد المِرّة والبغم والدم.

فلا يُذهب ذلك عنه إلا الطبيبُ الحاذقُ الماهر. واعلم أنَّ الأدبَ يدفع عن اللبيب السكرَ،
ويزيد الأحمقَ سكرًا؛ كالنهار فإنه يُنير لكل ذي بصر من الطير وغيره، ولا تستطيع الخفافيش
الاستقلال فيه. وذو الرأي لا تُبْطِره منزلةٌ أصابها؛ كالجبل الذي لا يتزلزل وإن اشتدت الرياح.
وذو السُخف يُنْزِقُه أدنى أمر كالخيش الذي يُميله الشيء اليسير. وقد قيل: إنَّ السلطان إذا
كان صالحًا، ووزراؤه غيرَ صالحين، قلَّ خيره على الناس، وامتنع منهم فلم يجر عليه أحد،
ولم يدن منه؛ كالماء الصافي الطيب الذي فيه التماسيح، فلا يستطيع الرجل دُخُولَه وإن كان
سباحًا، وإليه محتاجًا. وإنما حلية الملوك وزينتهم قرايبتهم^١ أن يكثروا ويصلحوا. وإنك أردتَ
ألا يدنو من الأسد غيرُك. وإنما السلطان بأصحابه وأعوانه كالبحر بأمواله. ومن الحمق التماس
الإخوان بغير الوفاء، والأجر بالرياء، ومودة النساء بالغلظة، ونفع المرء نفسه بضر الناس، والفضل
والعلم بالدعة والخفص؛ ولكن ما غناء هذه المقالة وجدًا^٢ هذا التأنيب، وأنا أعرف أنَّ الأمر
فيه كما قال الرجل للطائر: لا تلتمس تقويم ما لا يعتدل، ولا تبصر من لا يفهم. فقال دمنة:

وكيف كان ذلك؟ قال كيلة:

زعموا أنَّ جماعةً من القردة كنَّ في جبل. فأرَيْنَ في ليلة باردة براعةً^٣، فحسبْنَ نارا،
فجمعن حطبًا فوضعنه عليها، وجعلن ينخن بأفواههنَّ، ويروحن بأيديهن. وقربَ ذلك الموضع
شجرةٌ عليها طائر، فقال لهنَّ: لا تتعبن أنفسكنَّ، فإنَّ الذي ترين ليس بنار كما تحسبن.
فلم يسمعن منه، ولم يُطعنه. فلما طال ذلك عليه، نزل إليهنَّ، فرَّ به رجل، فقال: أيها الطائر،
لا تلتمس تقويم ما لا يعتدل، وتبصير من لا يفهم؛ فإنَّ الحَجَرَ الذي لا يُقدَّر على قطعه
لا تُجرب فيه السيوف، والعود الذي لا ينحني لا يُعالج حنَّيه؛ فإنَّ من فعل ذلك ندم. فلم يلتفت
إلى قوله، ودنا منهنَّ ليُبصرهنَّ، فتناولوه بعضهم وضرب به الأرض فقتله. فهذا مثلك في قلة الانتفاع
بالموعظة؛ مع أنه قد غلب عليك المكر والعُجب، وهما خلَّتَا سوء. إنه سيصيبك، من عاقبة ما
أنت فيه، ما دخل على الخبِّ شريك المغفل. قال دمنة: وكيف كان ذلك؟ فقال كيلة:



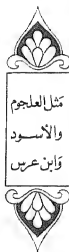
١٢٣

١٢٣

١٢٣



زعموا أنَّ رجلين، أحدهما خَبٌّ والآخرُ مغفَلٌ، اشتركا. فبينما هما يتمشيان إذ وجدا بَدْرَةً فيها ألفُ دينار فأخذناها. وبدا لهما أنَّ يَرجعا إلى مدينتهما، فلما دَنَوْا منها قال المغفلُ للخبِّ: خذ نصفَها وأعطني نصفها. فقال الخبُّ، وكان قد أضمر الذهاب بها كُلِّها: لا؛ فَإِنَّ المفاوضة أَدوم للمصافاة؛ ولكن يقبضُ كل واحد مَنّا منها شيئاً ينفقه، وندفنُ بقيتها مكاناً حريزاً. فإذا احتجنا إليها استثرناها. فأجابه إلى ذلك، ودفناها تحت شجرة عظيمة. ثم خالف إليها الخبُّ، فذهب بها. ولقيه المغفَلُ فقال: اخرج بنا إلى وديعتنا فلنقبضَها. فانطلقا إلى المكان فاحتفراه فلم يجداهما. فجعل الخبُّ يَنْتَفِش شَعْرَهُ ويدقُّ صدره، ويقول: لا يَتَقَنَّ أحدٌ بأحد؛ رجعتَ إليها فأخذتها. وجعل المغفَلُ يحلف أنه ما فعل. ثم انطلق به إلى القاضي فقصَّ عليه الأمر. فقال له: هل من يشهد؟ قال نعم ! الشجرةُ تشهد لي بما أقول. فأنكر ذلك عليه القاضي أشدَّ الإنكار، وأمر به فكفَل، وقال: وأقويني به غداً باكراً. فانصَرَفَ إلى أبيه وأعلمه بذلك، وقال: إني لم أَقُل الذي ذكرتُ إلَّا لأمرٍ قد رَوَّأتُ فيه؛ فَإِنَّ أَنتَ طاوعتني أحرزنا ما أخذنا، وأضفنا إليه مثله من المغفَل. فقال: وما ذاك؟ قال: إني قد كنتُ توخيتُ بالدنانير شجرة عظيمة من الدَّوح جوفاء فيها مدخل لا يُرى، فدفنته في أصلها، ثم خالفتها إليها فأخذتها وأدعيت على المغفَل²⁹؛ فأنا أُحبُّ أن تذهب الليلة فتدخلها. فإذا جاء القاضي فسألها قلت: «المغفَلُ أخذ الدنانير». فقال: يا بُنَيَّ إنه رَبٌّ امرئٌ قد أوقعه تَحُلُّه في ورطة؛ فأياك أن تكون كالعلجوم الذي أهلكه تحيُّله³⁰. قال: وكيفَ كان ذلك؟ قال:



زعموا أنَّ علجوماً كان مُجاوراً للأسود. وكان لا يدع له فَرخاً إلَّا أَكَلَهُ. وكان وطنه قد وافقه وأعجبه، فحزِنَ لذلك واهتمَّ. ففطنَ له سَرَطان، فسأله عن حاله فأخبره به. فقال: أَلَا أَدُلُّكَ على شيءٍ يُريحك منه؟ قال: بلى ! فأشار إليه، وقال: انظر إلى ذلك الجُحر، إنه³¹ جُحر ابنِ عرس - وأعلمه عداوته إياه، وجوهره - وقال: اجمع سَمَكاً واجعله له سَطراً فبها بين مكانيهما؛ فإنه يأكل الأول فالأول حتى ينتهي إليه فيهلكه. ففعل ذلك به فتبعه حتى وجد الأسود، فقتله. ثم جعل ابنُ عرس يخرج بعد ذلك يلتمسُ العادة. فلم يزل يطوف حتى وقع على عُشِّ العلجوم، فأكله وفراخه.



ان جماعة من القردة رأين في ليلة باردة يراعة، فحسبها
ناراً، فجمعن عليها حطباً، وجعلن ينفخن بأفواههن

وإنما ضربت لك هذا المثل لتعلم أنه من لم يتثبت، أوقعه ما يحتال به فيها عسى ألا يخلص
منه. قال: قد فهمت ما ذكرت فلا تهابن، فإن الأمر يسير. فلم يزل به حتى أطاعه، وأتبع رأيه.
فلما انتهى القاضي إلى الشجرة وسألها، أجابه من جوفها بأن المغفل أخذ الدنانير. فاشتد
عجبه من ذلك، وطاف بها فلم ير شيئاً، فأمر بحطب فجُمِع، وأُلقي عليها، وجعل فيه ناراً.
فلما دخل عليه الدخان ووصل إليه الوهج، تصبّر ساعة ثم صاح، فأخرج بعدما أشفى على



وجمع فيما بين جحري الأسود وابن عرس سطرًا من
السلك ليأكله حتى يصل إلى الأسود فيهلكه

الموت. ثم عاقبه القاضي وابنه. فمات الشيخ وانصرف به ابنه يحمله ميتاً، ورجع المغفل وقد أخذ
الدنانير وفلج عليهما .

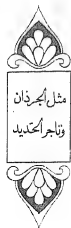
وإنما ضربتُ لك هذا المثل، لأن الخديعة والمكر ربما كان صاحبهما هو المغبون. وأنت
يا دمنة جامعُ الخصال الرديّة التي وصفتُ. فكان الذي اجتنبتَ من ثمرة عملك ما ترى؛ مع
أني لا أحسبك تنجو، فإنك ذو لونين ولسانين. وإنما صلاح أهل بيتٍ ما لم يدخل فيه مُفسد،
وبقاء إخاء الإخوان ما لم يحتل له مثلك. فإنه لا شيء أشبه بك من الحيّة التي يجري من نابها
السمُّ وقد كنتُ لذلك من لسانك خائفاً مُشفقاً، لقربك مني كارهاً؛ فإن العقلاء قد قالوا:
اجتنب أهل الفجور، وإن كانوا ذوي قرائتك؛ فإن من كان كذلك فإنما هو بمنزلة الحيّة
التي يرقبها صاحبها ويمسحها، ثم لا يكون له منها إلا اللدغ. وكان يقال: الرّم ذا العقل والكرم
واسترسل إليه، وإياك وفراقه؛ ولا عليك أن تصحب من لا جود له إذا كان محمود الرأي،

فلما وصل إليه الدخان
واللهب، تصبر ساعة، ثم صاح



واحترس من سيئ أخلاقه، وانتفع بما عنده؛ ولا تدع مواصلة السخية وإن كان لا نبل له، واستمتع بسخائه، وانفعه ببلبك؛ واهرب من اللئيم الأحمق. وأنا بالفرار منك والتنجي عنك جدير حقيق. وكيف يرجو إخوانك وفاءك لهم، وقد صنعت بملكك الذي شرفك ما أرى؟ ومثلك في ذلك قولُ التاجر: إن أرضاً، يأكل جردانها مائة من الحديد، غير مُستنكر أن تخطف بُراتها القيلة. فقال دمنة: وكيف كان ذلك؟ قال كيلة:

زعموا أنه كان بأرض مردات³² تاجرٌ مُقيلٌ. فأراد الشخصوص إلى حاجة له، وكان له مائة من حديد، فاستودعها رجلاً من معارفه، وانطلق إلى حاجته. فلما رجع طلبها منه، وكان قد باعها واستنفق ثمنها، فقال له: كنت تركتها في ناحية البيت فأكلها الجرذان. فقال له: لقد يبلغنا أنه ليس شيء بأقطع للحديد من أنياهن؛ وما أهون المزية في ذلك إذا سلمك الله. ففرح بما سمع منه، وقال: اشرب اليوم عندي. فوعده بذلك، وخرج فأخذ ابناً له صغيراً حتى خبأه في بيته ثم رجع إليه، فلم يزل في شأنهما حتى ذكر التاجر ابنه وافتقده، فقال له: هل رأيت ابني؟ فقال صاحب الحديد: لقد رأيت حين دنوت منكم، بازياً اختطف غلاماً فعله هو. فصاح التاجر وقال: يا من حضر! هل سمعتم بمثل هذا قط؟ فقال: إن أرضاً يأكل جردانها مائة من حديد ليس بمستكبر لها أن تخطف بُراتها القيلة. فقال: أنا أكلت حديدك، وسماً أدخلت جوفي، فادفع إليَّ ابني، وأرد إليك ما أكلت لك، وما كنت استودعني، ففعلنا ذلك.



وإنما ضربت لك هذا المثل لتعلم أنك، إذا غدرت بملكك ذي البلاء الحسن عندك، فإنه لا شك في صنعك مثل ذلك بمن ساواك، وأنه ليس للمودة عندك منزلة ولا مكافأة. فإنه لا شيء أضيع من إخاء يُمنح من لا وفاء له، وبلاء يُضيع عند من لا شكر له، وأدب يُستودع من لا يفهمه، وسر يُستكنمه من لا يحفظه. ولست في طمع من تغير طبيعتك، ولا تحول أخلاقك؛ فإني قد عرفت أن ثمرة الشجرة المرة لو طليت بالعسل لم تنقلب عن جوهرها. وقد خفت صحتك على رأيي وأخلاقِي؛ فإن صُحبة الأخيار تورث الخير، وصُحبة الأشرار تورث الشر؛ كالريح إذا مرّت على الثن حملت نناً، وإذا مرّت بالطيب حملت طيباً. وقد عرفت



هل سمعتم أن البزاة تخطف الصبيان

ثَقُلَ كلامي عليك. وكذلك الجهال لم يزالوا يستثقلون عقلاءهم، واللؤماء كرامهم، والسفهاء حلماءهم، والمعوجّ منهم المستقيم .

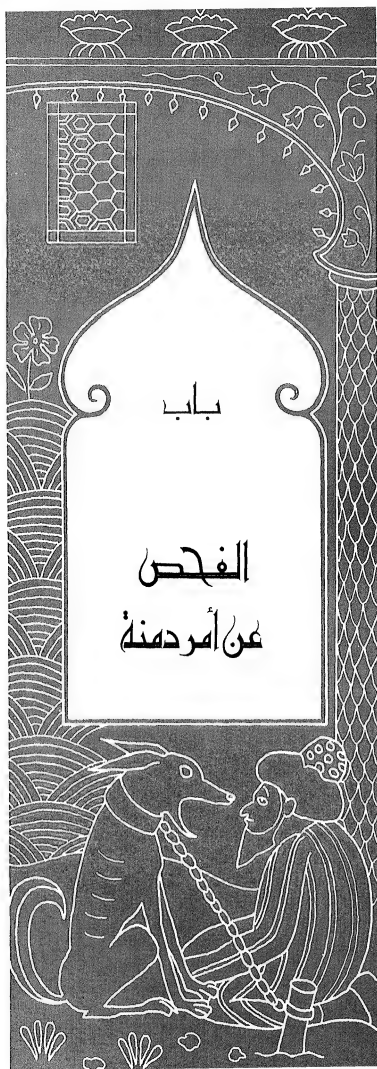
فانتهى كلام كليلة إلى هذا المكان، وقد فرغ الأسد من شنزبة. وفكّر بعدما قتله وقد ذهب عنه الغيظ، فقال: لقد فجعتني شنزبة بنفسه، وقد كان ذا رأي وعقل، ولا أدري لعلّه كان مَبْغِيًّا عليه. فحزِنَ وندم .

وبُصِّرَ به دمنة، فترك محاوره كليله وتقدّم إلى الأسد. وقال: قد أظفرك الله أيها الملك. وأهلك عدوك، فما الذي تهتم له ويحزنك؟ فقال الأسد: لقد أشفقتُ على قتل شزربة لعقله وكرم خلقه. فقال دمنة: لا تفعلن ذلك أيها الملك ولا ترحم من تخافه؛ فإن الملك الحازم. ربما أبغض الرجل وأقصاه، ثم تكأره عليه، فقرّبه وولاه لما يعرف من غناؤه وفضله، فعل المتكأره على الدواء البشيع رجاء منفعة ومغبته. وربما أحب الرجل وأدناه، ثم أهلكه واستأصله. مخافة ضره. كالذي تلدغ الحية إصبعه فيقطعها مخافة أن ينتشر السم في جسده كله فيقتله. فلما سمع الأسد ذلك منه صدّقه وقرّبه.

ثم³³ قال الفيلسوف للملك: فكان في صنّع دمنة - في صغرّه وضعفه وهو من أرذل السباع وأحقرها - بالأسد والثور ما شغّب به بينهما، وألب كل واحد منهما على صاحبه، حتى قطع وذهما وإخاءهما - من الأعاجيب والعبر لذوي الألباب. في الاتقاء والحذر لأهل النسيمة والوهس. والنظر فيما يزوقون من خديعتهم ومكرهم وسعائتهم. وذوو العقول أحنّ أن يتقوا كذب أولئك ويتجنبوا عطبهم. ويفحصوا عن هذه الأشياء منهم، ثم لا يقدموا على شيء من أقاويلهم إلا عن تثبّت وضياء ونور، وأن يرفضوا كل من عرّفوا مثلاً ذلك منه؛ فإنه الرأي والحزم والأخذ بأمر السعادة، إن شاء الله.



تلدغ الحية إصبعه فيقطعها





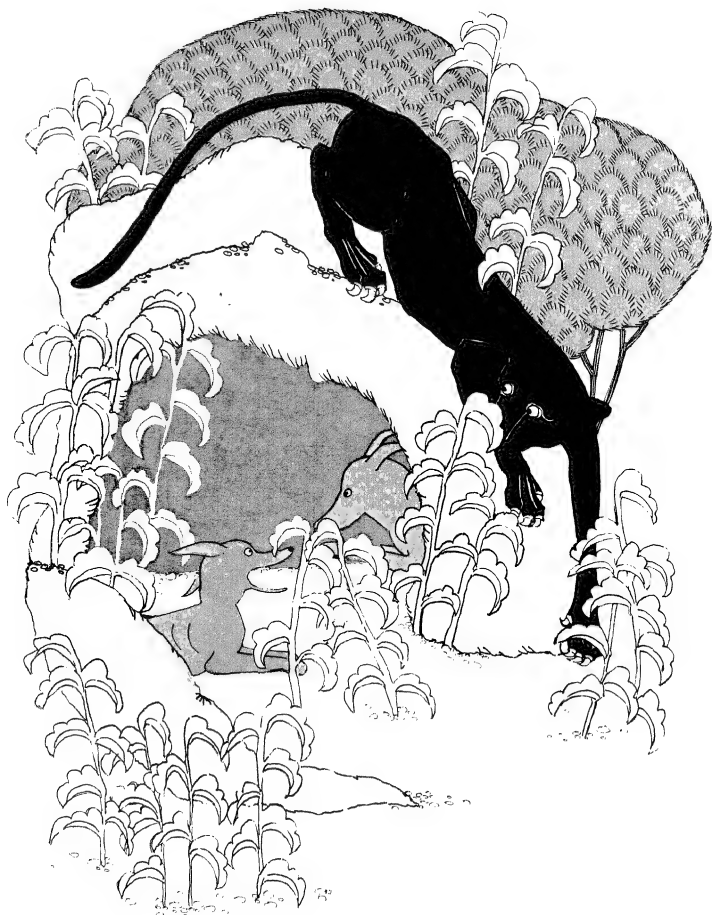
قال دَبْشَلَمُ ملك الهند لِبَيْدَبَا الفيلسوف: قد سمعتُ خبرَ الواشي المختال الماهر بالخِلافة كيف يُفسد - بشيئيه وتلبيسه - الوَدَّ الثابت بين المتحايين؛ فأخبرني إلَامَ آلَ أمره، وما كانت عاقبته².

قال بيدبا: إنا وجدنا في الكتب أَنَّ الأسد لما قتل شترية، ومَرَّ لذلك أيام، خرج النمر ذات يوم - وكان يُدعى المعجِب الوشي، وكان معلِّم الأسد وأمينه وموضع سرّه - يطلب قيساً، فاضطرَّته السماء إلى منزل كليله ودمنه. فلما انتهى إلى الباب سمع كليله يعاتب دمنه ويلومه على سوء رأيه وصنيعه وما ارتكب من شترية في غير ذنب أتاه إليه؛ فكان في بعض قوله: إِنَّ الذي أتيت من التميمة والخِلافة سيظهرُ للأسد ويطلِّع طلَّعه بعد اليوم. ولستَ بناج منه إلَّا بأكثر مما يُعاقب به أهلُ الذنوب. ولستُ أنا أيضاً - فيما بعد اليوم - بمتخذك خليلاً، ولا مُفشي إليك سرّاً، ولا مُقارِبك في شيء؛ فإنَّ العلماء قد قالوا: تباعدْ ممَّن لا رغبة له في الصلاح،

وإنما عَمَلَه النَمِيمَة والخِلَابَةُ. وكذلك حملتَ الملكَ على خليله البريء الرقيق العالمَ شَنْزَبَة، ولم تزل به حتى أَتَهمَه فقتله .

فلما سمع النَّمِر قولَ كَلِيلَة، رجع فدخل على أُم الأسد فحدَّثَها الحديثَ الذي سمعَ كُلَّه. فلما أَصبَحَتْ انطلقتْ إلى ابنتها فرأته حزيناَ كثيراً؛ فلما عاينت ذلك منه عرفت أنه ليس إلا على شَنْزَبَة، فقالت: إِنَّ الأَسَفَ والهَمَّ لا يردَّانَ شيئاً، وهما يُنَجِّلانَ الجسمَ، ويُذهبانَ العقلَ، وَيُضْعِفانَ القوَّةَ. فأعلمني شأنَكَ، فإن كانَ مما ينبغي لك أن تحزنَ له وتَحِبَّلَ عنه فليستُ ولا أَحَدٌ من جندِكَ يخلو من ذلك. وإن كانَ إنما هو لقتلِ شَنْزَبَة فقد استبانَ لنا ولكَ أَنَّكَ ركبْتَ ذلكَ منه ظُلماً على غيرِ جُرمٍ ولا غشٍّ ولا حَدَثٍ؛ فلو كُنْتَ فَكَّرْتَ في أمره، وقسْتَ مالَكَ في نفسه بما تجِدُ في نفسِكَ له، لكانَ في ذلكَ مُعْتَبَرٌ؛ فإنه يقالُ إِنَّ امرأً لا يودُّ أَحَدًا ولا يُبَغِضُه إلا وَجَدَ له في نفسه مثلاً ذلكَ. فأعلمني هل ترى ضميرَكَ يشهدُ أَنَّ الذي فعلتَ بِشَنْزَبَة كانَ على حَقٍّ وعداوةٍ؟ فإن كانَ كذلكَ فهو لكَ عدوٌّ، وقد أَظْفَرَكَ اللهُ به وأراحَكَ منه؛ فدَعِ الحزنَ عليه والتأسَّفَ لفراقه، فإنَّ العداوةَ لا تُستَقال. وإن كانَ قلبُكَ لا يشهدُ بعداوتَه ولا يذكرُ منه حَقْدًا ولا مخالفةً لكَ، فأنتَ حَرِيٌّ بالحُزْنَ عليه. فقال الأسدُ: ما زِلْتُ لِشَنْزَبَة سَلِيمَ الصِّدْرِ، واثقاً به، مُعْجَباً برأيه، مُحِبّاً له، مسترسلاً إليه؛ وقد دخلَ عليَّ لقتله هَمٌّ شديدٌ، وما أنكرْتُ من نفسي له شيئاً قبلَ قتله ولا بعده؛ وإني لنادمٌ على ما كانَ مِنِّي، متلهِّفٌ له مَوْجِعٌ؛ وما أَشْكَلَ عليَّ الرَّأيُ أَنَّهُ بريءٌ مما لُطِّخَ به غيرُ مَتَّهَمٍ، ولكن قُتِلَ لِتَحْمِيلِ الأَشْرارِ وَبَغْيِهِمْ وَزَحْرَتِهِمْ الكَلَامَ الكاذِبَ. ولكن أعلمني هل سمعتِ شيئاً أو حَدَّثَكَ به أَحَدٌ؟ فإنه إذا كانَ الرَّأيُ موافقاً لِإِخبارِ الموثوقِ به، كانَ أَسَدٌ لِلْبَصِيرَةِ وَأُتْلُجٌ لِلصِّدْرِ، وأحرى أن يُقدِّمَ المرءُ به على غيرِ الشبهةِ والشكِّ. فقالت أُمُ الأسدِ: حَدَّثَنِي الأَمِينُ الصَّدُوقُ عِنْدَكَ أَنَّ دَمَنَةً لَمْ يركبَ من شَنْزَبَة الذي ركبَ من تحمِيلِه إِيَّاكَ عليه، إلا لِحَسَدِهِ إِيَّاهُ على منزلته مِنكَ، ومكانِهِ عِنْدَكَ. فقال الأسدُ: ومن خَيْرِكَ

فلما انتهى النمر إلى الباب
سمع كليله يعاتب دمنه



بهذا ؟ فقالت أم الأسد: قد استحفظني، والمستكتم مؤتمن، ومن أفسى سراً استودعه فقد خان أمانته؛ ومن فعل ذلك كان بشرَّ المنازل في المعاد. فقال الأسد: لعمرى لقد صدقت، ولكن ليس هذا مما ينبغي أن يُكتم، بل يحقّ على صاحبه أن يعلنه، ويظهر شهادته عليه، ويستكمل الأجر فيه، ولا يبطل حقاً عليه - ولا سيما في دم المظلوم - فإنّ الكاتم لجُرم المجرم في وتّع^١، مُبتغى شركة فيه^٢، وإنّ السلطان لا ينبغي له أن يعاقب على الظنّ والشبهة؛ فإنّ الدم عظيم شأنه. وأنا - وإن كنتُ أوطئتُ عَشْوَةً في شنزبة - أكره أن أركب من دمنة مثلهما بغير بينة ولا يقين. وقد رمى إليك من أخبرك بما ذكرت، وقَدَفَه في عنقك. قالت أم الأسد: صدقت، ولكني كنتُ أظنّ أنك تستكفي بي فيما حدثتُك وتصدّقني به فلا تتهمني عليه. فقال الأسد: ما أنتِ عندي بمردودة القول، ولا أنتِ في نفسي بمتهمّة، ولا أنا في نصحك بمرتاب؛ ولكن أحبّ أن تُعلميني من هو ليكون أشفى لصدري. قالت أم الأسد: فإن كنتُ عندك كذلك، فعاقب هذا الفاجر عقوبة مثله. قال الأسد: وما عليكِ أن تُخبريني من ذكر ذلك لك ؟ فإنه لا مضرّة فيه عليك. فقالت أم الأسد: ضرر هذا عليّ في خلال ثلاث: أما الأولى فانهقطاع ما بيني وبين صاحب هذا السرّ من المودة لإباحتي بسرّه، والثانية خيانتني ما استحفّظت من الأمانة، وأما الثالثة فوجّل من كان يسترسل إليّ قبل اليوم وقطعهم أسرارهم عني، ومتى أفعل ذلك لا يثق بي أحد، ولا يطمئن إليّ. فلما سمع الأسد ذلك منها وعرف أنها غير مخبرته باسم من أخبرها، قال: الأمر على ما قلت؛ وما أنا عمّا كرهتِ بالفتش، وما يختلج في صدري الارتباب بنصحك، فأخبريني بجملة الأمر إذ كرهتِ أن تُخبريني باسم صاحب السرّ^٤. فأخبرته بجملة الأمر، وقالت: لستُ أجهل قول العلماء في تعظيم فضل العفو عن أهل الجرائم، ولكنّ ذلك إنما هو فيما دون النفوس، أو خيانة العامة التي يقع بها الشرّ، ويحتجّ بها السفهاء عندما يكون من أعمالهم السيئة، واستغشاش الملك بالأمر الذي يصل خطأ - إن كان فيه - إلى العامة؛ وكان فيما يقال: لا ينبغي للولاة استبقاء الخونة الفجار أهل الغدر والنميمة، والتحيل والإفساد بين الناس، ومن يكرهون صلاحهم ولا يرحمونهم لما نزل بهم. وأولى من نفى عن الرعية ما أفسدهم، وساق إليهم



فلما أصبحت أم الأسد انطلقت إلى ابنها فوجدته حزينا

ما أصلحهم، القادة المتوَلِّون لأموالهم. وأنت بقتل دمنة حقيق؛ فإنه كان يقال: إفساد جُلّ الأشياء من قِبَلِ خَلَّتَيْن: إذاعة السرِّ، وإثمان أهل الفجور. وإن الذي أنشب العداوة بينك وبين شترية أنصح الوزراء وخير الأعوان حتى قتلته غدرًا، دمنة بحيلته وخياله ومكره وخيائنه. وقد أطلعت على مكنونه، وبدا لك ما كان يخفي عليك، وعلمته في نحو ما تذكر من حديثه إياك قبل اليوم؛ فالراحة لك ولجنودك - إذ ظهر لك منه ما يكم - قتلته عقوبةً لجريئته، وإبقاءً على جنودك من شره؛ فإنه ليس على مثلها بمأمون. ولعلك أيها الملك أن تركز إلى ما آثرته من العفو عن أهل الجرائم؛ فإن رأت في ذلك فاعلم أنه ليس منهم من يبلغ جُرمه جرم دمنة.

فلما سمع الأسد ذلك، نادى في جموعه، فحضرُوا وأُتِيَ بدمنة. ونكس الأسد مستحيًا
 مما ركب من قتل شترية. فلما رأى دمنة ذلك قال لبعض من يليه متجاهلاً: مالي أرى الملك
 مكتئباً مهموماً؟ هل حدث أمر جمَعكم له؟ فلما سمعت ذلك أم الأسد قالت مجيبة له: الذي
 كَرَبَ الملك بقاؤك حياً إلى اليوم - مع عظيم حَدَثك وجُرْمك - أيها الغادر الكذوب! قال دمنة:
 وما الذي جَنِيتُ مما يُستحلُّ به قتلي ويكرُبُ الملك بقائي؟ قالت أم الأسد: أعظمُ الحدَث
 حَدَثُك، وأشدُّ الخيانة خيانتك واستجْهالُك الملك، وقتلُك البريء من وزرائه. قال دمنة: إنَّ
 تصديق ما كان يُذكر قد حضر، فإنه كان يقال: مَنْ اجتهد في طلب الخير أسرع إليه الشر.
 ولا يكون الملك وجوده المثل السوء. وقد علمت أن ذلك إنما كان قيل في صحبة الأشرار، أنه
 من أصحابهم وهو يعلم علمهم لم ينبُج من شرهم. ولذلك رفض أهل الدين والنسك الدنيا ولذاتها،
 واختاروا الوحدة وتركوا مخالطة الناس ومحادثهم، لما يرون فيها من مؤاخذه الأبرار بأعمال
 الفجَار، وإثابة الفجَار بأعمال الأبرار، وآثروا العمل لله على العمل لخلقهِ؛ لأنه ليس أحد
 يجزي بالخير خيراً إلا الله، وأما من دونه فقد تجري أمورهم فُتُوناً يغلب على أكثر ذلك الخطأ.
 وما أحدٌ أحقُّ بالصفات الجميلة من الملك الموقِّع الذي لا يصانع أحداً لحاجة به إليه، ولا لعاقبة
 يتخوَّفها منه؛ فإنَّ أَحَقَّ ما عظمت فيه رغبة الملوك من محاسن الصواب، المكافأة لأهل البلاء
 الحسن عندهم^٥، ومن يُرقي إليهم نصيبته. وهذا أقرب من أمري وأشبه فيها حملني النصح للملك،
 والإيثار له على غيره، والنظر للعامة من إعلان سرِّ الخائن الكفور، وما كان رِبْص في نفسه
 وارتفعت إليه همته من الغدر بالملك والوثوب عليه. وقد كان استبان للملك، الذي كان منظوياً
 عليه ومضمراً له من العداوة والغل، بالأمارات البيِّنات الواضحات التي لا تحتاج معها إلى غيرها،
 بالذي لقيه به حين لقيه وثأوره. ولم يأت إليه شيئاً إلا عن بصيرة. وإن هو أيضاً تحرَّى الأمر
 وسأل عنه ونظر فيه، عرف مصداق ما كنتُ قلتُ له؛ فإنَّ النار التي تكون في الحجر والعود
 إنما تُستخرج بالحِجْل. وليس يخفى مثْلُ ذلك؛ فإنَّ جُرْمُ المرء، إذا فُحص عنه وفُتِّش، ازداد
 استنارة واستبانة، كما أنَّ كلَّ نتن من حمأة وغيرها إذا ثُورَتْ ظهرَ ريحها وقَدَرها. ولقد علم
 الملك ومن حضر أنه لم يكن بيني وبين الثور أمر أضطغنه عليه ولا أبغيه به غائلة، وما كان يملك
 من ضَرٍّ ولا نفع لي. ولقد كان الملك - فيما أعلمته من أمره حتى أبصرَ بمصداقه - أفضلَ رأياً

وأشدَّ عِزْماً. وإني لأعرف أنه يَتَخَوَّفُ مثَلَهَا مِنِّي غَيْرُ وَاحِدٍ من أَهْلِ الغَشِّ والعُدُوَانِ والعِدَاوَةِ للملِكِ ،
فَنَصَبُوا لمَصِيبَتِي واجْتَمَعُوا على هلاكِي .

فلما سَمِعَ الأسدُ قولَه ارتابَ به ، فأخْرَجَه وأمرَ بالفحصِ عنه ورفَعَه إلى القضاة لِيَنْظُرُوا في
أمره . فسَجَدَ دِمْنَةً للملِكِ وقال : أَيُّهَا المَلِكُ ، لَسْتُ بِحَقِيقٍ بِمَعَاجِلَةِ أَحَدٍ بِالعُقُوبَةِ عن قولِ الأَشْرَارِ
دونَ الفحصِ والتَّثَبُّتِ . وإني لَوَاقِعٌ عن فَحْصِكَ بِبرائَتِي وتصديقِ مَقَالَتِي ؛ وقد قالتِ العُلَمَاءُ :
إِنَّ مَنْ اسْتَخْرَجَ النَّارَ مِنَ الْحَجَرِ - وَهِيَ كَامِنَةٌ فِيهِ - كَالْقَادِرِ أَنْ يَسْتَخْرِجَ بِالفحصِ وطولِ
الْبَحْثِ مَا خَفِيَ عَلَيْهِ مِنَ الْأُمُورِ . وَلَوْ كُنْتُ مُجْرِماً سَرَّيْتُ تَرْكُوكَ التَّفْتِيشَ عَنِّي ، وَلَكِنْ كُنْتُ مُرَابِطاً
بِبَابِ الْمَلِكِ . وَلَوْ كُنْتُ مَذْنَباً هَرَبْتُ فِي الْأَرْضِ وَكَانَ لِي فِيهَا مَذْهَبٌ ؛ وَلَكِنْ - لثَقَتِي وَبِرَائَتِي
وَنَصِيحَتِي - لَمْ أُبْرِحْهُ وَلَمْ أَفَارِقْهُ . وَأَنَا أَرْغَبُ إِلَيْهِ - إِنْ كَانَ فِي شَكٍّ مِنْ ذَلِكَ - أَنْ يَأْمُرَ بِالنَّظَرِ
فِيهِ ، وَيَكُونَ مَنْ يُولِّيهِ إِيَّاهُ ذَا أَمَانَةٍ وَإِسْلَامٍ⁷ ، لَا تَأْخُذْهُ فِي الْحَقِّ لَوْمَةٌ لَانَمَ ، وَلَا يَكُونَ عِنْدَهُ
مَحَابَاةٌ لِأَحَدٍ وَلَا غَمْرُهُ ، وَيَرْفَعُ إِلَيْهِ عَذْرِي وَمَا يَسْمَعُ مِنْ غَيْرِي فَيَنْظُرُ فِيهِ وَلَا يَأْخُذْهُ فِيهِ أَقَاوِيلُ
الْبَغَاةِ عَلَيَّ ، الْحَسَدَةِ لِي ، فَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي مِنْهُ مِثْرَةٌ أَنَا فُسْهًا وَأَحْسَدُ عَلَيْهَا . فَإِنْ هُوَ لَمْ يَفْعَلْ
ذَلِكَ فِيَّ ، وَيَكُنْ رَأْيُهُ عَلَيْهِ ، فَلَا مَوْمَلٌ لِي وَلَا مَنَجَى إِلَّا اللَّهُ الَّذِي يَعْلَمُ سَرَائِرَ الْعِبَادِ وَخَفِيِّ ضَمِيرِهِمْ ؛
وَلَعَلِّي أَلَّا أَكُونَ بِذَلِكَ أَضَرَّ مِنْهُ . وَقَدْ كَانَ يَقَالُ : إِنَّ الَّذِي يَعْمَلُ بِالشَّبْهَةِ وَلَا يَتَنَبَّهُ عِنْدَهَا وَلَا

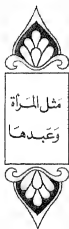


كُلُّ نَفْسٍ أَوْ حِمَاةٌ إِذَا
ثَوْرَتْ ظَهَرَ رِيحُهَا وَقَدَرُهَا

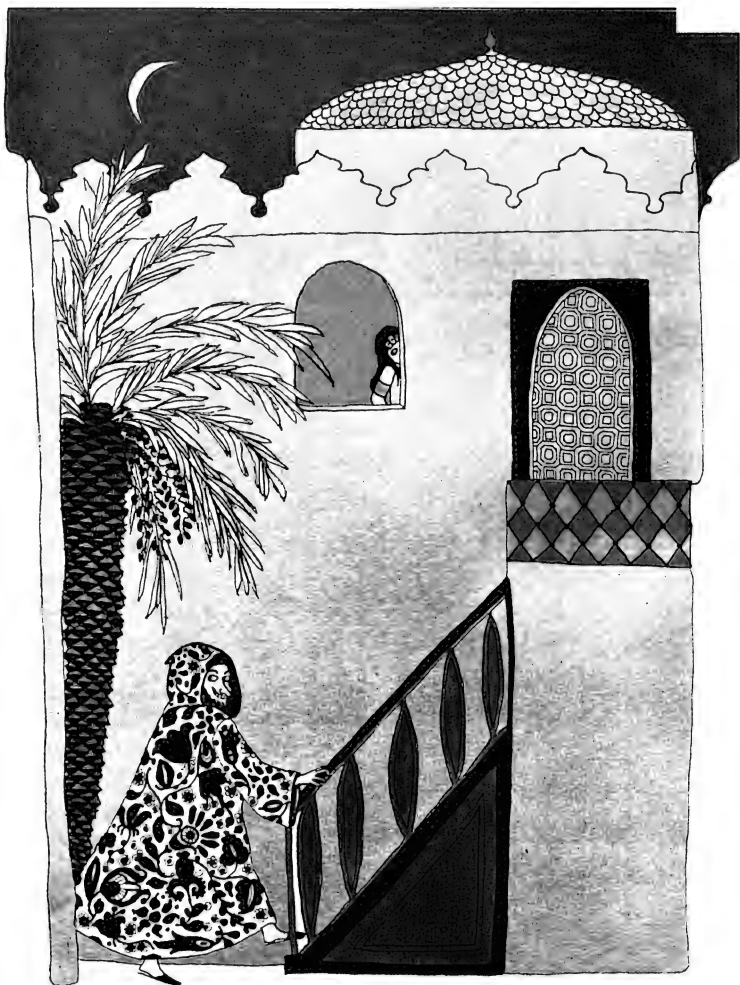
يُثَبَّتُ فِيهَا، يَكُونُ قَدْ صَدَّقَ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَشْكَّ فِيهِ، وَكَذَّبَ مَا يَنْبَغِي أَنْ يُصَدِّقَهُ، فَيَكُونُ أَمْرُهُ كَأَمْرِ الْمَرْأَةِ الَّتِي بَذَلَتْ نَفْسَهَا لِعَبْدِهَا حَتَّى فَضَحَهَا. قَالَ الْأَسَدُ: وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ؟ قَالَ دَمْنَةُ:

كَانَتْ بِأَرْضِ كَشْمِيرٍ مَدِينَةٌ تَسْمَى بَرُودَ، وَكَانَ فِيهَا تَاجِرٌ يَقَالُ لَهُ كَبِيرُغٌ⁸، وَكَانَتْ لَهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ حَسَنِ، وَكَانَ لَهُ جَارٌ مَصُورٌ، وَهُوَ صَدِيقٌ لَهَا. فَقَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ فِي بَعْضِ أَحْيَانِهَا الَّتِي كَانَ يَأْتِيهَا فِيهَا: إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَصْنَعَ شَيْئًا يَكُونُ عَلَامَةً بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَطْلُعَ بِهَا عَلَى مِجْنِكَ إِذَا جِئْتَنِي بِاللَّيْلِ مِنْ غَيْرِ نَدَاءٍ وَلَا رَمِيٍّ وَلَا شَيْءٍ يَرْتَابُ بِهِ، رَفَقَ ذَلِكَ بِكَ وَي. قَالَ الْمَصُورُ: نَعَمْ، مُلَاعَةٌ بَلَقَاءً، بِيَاضِهَا كَضَوْءِ الْقَمَرِ، وَسَوَادُهَا كَسَوَادِ الْحَدَقَةِ، فَإِذَا رَأَيْتَهَا فَاخْرُجِي فِيهِ آيَةً⁹ بَيْنِي وَبَيْنَكَ؛ فَأَعْجِبْهَا ذَلِكَ وَفَرِحْتَ بِهِ. وَكَانَ يَأْتِيهَا فِي تِلْكَ الْمَلَاعَةِ مَتَى أَرَادَ. وَسَمِعَ عَبْدُ التَّاجِرِ حَدِيثَ الْمَلَاعَةِ، وَكَانَ لَأَمَةِ الْمَصُورِ صَدِيقًا، فَطَلَبَ الْعَبْدَ إِلَى أَمَةِ الْمَصُورِ أَنْ تُعِيرَهُ الْمَلَاعَةَ الَّتِي لَهُ لِيُرِيَهَا صَدِيقًا لَهُ وَيُسْرِعَ رَدَّهَا - وَكَانَ الْمَصُورُ غَائِبًا فِي دَارِ الْمَلِكِ - فَأَعْطَتْهُ إِيَّاهَا وَلَمْ تَرْتَبْ بِشَيْءٍ مِنْ شَأْنِهِ. فَأَخَذَهَا وَمَضَى إِلَى سَيِّدَتِهِ لَيْلًا، فَلَمْ تَرْتَبْ بِهِ لَمَّا رَأَتْهَا عَلَيْهِ، فَظَنَّتْهُ صَدِيقَهَا الْمَصُورَ فَبَذَلَتْ لَهُ نَفْسَهَا، وَقَضَى حَاجَتَهُ، وَرَجَعَ الْعَبْدُ بِهَا إِلَى الْأَمَةِ فَوَضَعَهَا فِي مَوْضِعِهَا. وَلَمَّا مَضَتْ هَذِهِ مِنَ اللَّيْلِ رَجَعَ الْمَصُورُ إِلَى بَيْتِهِ فَلَبِسَهَا ثُمَّ أَتَى الْمَرْأَةَ. فَلَمَّا رَأَتْهُ دَنَتْ مِنْهُ وَقَالَتْ لَهُ: مَا شَأْنُكَ؟ لَقَدْ أَسْرَعْتَ الْعُودَةَ بَعْدَ قَضَاءِ حَاجَتِكَ. فَلَمَّا سَمِعَ كَلَامَهَا عَرَفَ أَنَّهُ قَدْ ذُهِبَ. وَمَضَى مِنْ وَقْتِهِ إِلَى وَلِيدَتِهِ فَأَوْجَعَهَا ضَرْبًا، فَحَدَّثَتْهُ الْحَدِيثَ فَأَخَذَ الْمَلَاعَةَ فَخَرَقَهَا وَأَحْرَقَهَا.

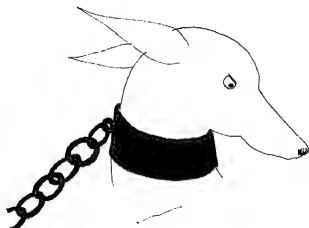
وَإِنَّمَا ضَرَبْتَ لَكَ هَذَا الْمَثَلَ لَثَلَا تَعْجَلَ لِأَمْرِ فِيهِ تَشْبِيهِ وَكَذْبٍ؛ فَإِنَّ الْكَذْبَ مُعْنَتٌ¹⁰ لَصَاحِبِهِ. وَأَنْتِ بِالنَّظَرِ فِي أَمْرِي جَدِيرٌ. وَلَسْتُ أَقُولُ مَا تَسْمَعُ شَفَقًا مِنَ الْمَوْتِ؛ فَإِنَّهُ - وَإِنْ كَانَ كَرِيمًا - لَا مَنَاجِيٍّ مِنْهُ وَلَا مَحِيصَ عَنْهُ. وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ لِي مَائَةَ نَفْسٍ، أَعْلَمُ هَوَاهُ فِي تَلْفِهَا،



فَإِذَا أَتَيْتَكَ بِمَلَاعَةٍ بِلَقَاءِ بِيَاضِهَا كَضَوْءِ الْقَمَرِ، وَسَوَادُهَا كَسَوَادِ الْحَدَقَةِ، فَاخْرُجِي



جُدْتُ بها له. فقال بعض جلساء الملك: لم تنطق بهذا لحبِّ الملك ولا لكرامته عليك، ولكن ذلك للدفاع عن نفسك، ولطلب الخلاص من الورطة التي قد لزمته، والتأسي العذر مما وقعت فيه. فأقبل عليه دمنة فقال: إني إن كنتُ كما ذكرتَ، فلست أجدني مخصوماً ولا ملوماً على دفع البلاء عن نفسي ما استطعت، والتأسي البراءة لها، وجرِّ العافية إليها. ولا أحد أقرب إلى الإنسان من نفسه، ولا أولى بنصحها وإظهار عذرها منه. فأما أنت فلك الويلُ بما أظهرت من ضعف عهدك وودك لنفسك وسوء حالها عندك وأنت عدوها فمن دونها أولى، وقد قالت العلماء: إنَّ المستهجنَ لنفسه المبعُض لها، لغيرها أشناً وأقطع، ولن سواها أغش وأرفض. وما أنزّه الملك عن صحبتك، بل أجدني منزهاً للبهائم عن أخلاقك، مكرماً لها عن خلطتك. فلما سمع ذلك من دمنة لم يُجر جواباً. فقالت أمُّ الأسد: إنَّ من العَجَب انطلاقَ لسانك بالقول حبيباً لمن تكلم، وقد كان منك الذي كان. فقال دمنة: فعلاً تنظرين بعين واحدة وتسمعين بأذن واحدة؟ ولذلك شقيَّ جدِّي؛ مع أي أرى كل شيء تغيَّر وتكسر، فليس أحدٌ ينطق بحقٍّ ولا يتكلم إلا بالهوى. ومنَّ بباب الملك - لثقتهم بليته وطمأننتهم إلى كرمه - لا يتقون ذلك فيما وافق الحقَّ أو خالفه؛ لأنه لا يغيَّر عليهم ولا يدهُهم ولا يزجرهم. فقالت أمُّ الأسد: انظروا إلى هذا الفاجر الذي يركب الأمر العظيم، ثم هو يأخذ بأعين الناس ليُبطله ويُبري نفسه منه. قال دمنة: إنَّ صاحب ما ذكرتِ من يذيع السرَّ ولا يدفنه، والرجل الذي يلبس لباس المرأة، والمرأة التي تلبس لباس الرجل، والضيف الذي يزعم أنه ربُّ البيت، ومن ينطق في المجمع عند الملك بما لا يُسأل عنه. فقالت أمُّ الأسد: أما تعرف سوءَ عملك فتحذره، وتبصر غرّة قولك فتتقيها؟ فقال دمنة: إنَّ الذي يركب المنكر لا يُحب لأحد خيراً ولا يدفع عنه مكروهاً. قالت أمُّ الأسد: أيها الفاجر، إنك لتجترأ على مثل هذا القول عند الملك! عجباً له كيف تركك حيّاً! فقال دمنة: إنَّ صاحب ما وصفت الذي يُؤتى بالنصيحة، ويمكِّن من عدوه، فإذا استمكن منه قتله، ثم لا يشكر ذلك ولا يعرف لمن فعله، ويريد قتله بغير ذنب اجترمه. فقالت أمُّ الأسد: أيها الكاذب، أترجو أن تنجو من ذنبك العظيم؟ فقال دمنة: إنَّ أهل ما ذكرتِ الذي يقول ما لم يكن؛ وإني نطقت بالحق، وجئت عليه بالثبَّت والحُجَّة. فقالت أمُّ الأسد: ما الذي كنت قلت، وما الذي صدقته به؟ فقال دمنة: الملك يعلم أي لو كنت كاذباً، لم أقل هذه المقالة



فأمر الأسد بدمنة ففُذِفَتْ في عنقه
جامعة

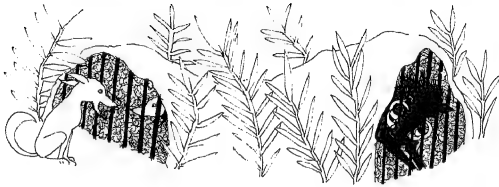
عنده؛ وإني أرجو أن يستبين له صديقي وبراءتي وصحة ما قلت. فلما رأت أم الأسد أنَّ الأسد لا ينطق بشيء في أمر دمنه، شكَّت في أمره وقالت: لعله مكذوب عليه فيما رُئي به؛ فإنَّ المعتذر عند الملك بمحضر من الجند - لا يُردُّ عليه شيء من منطقته - كشَّبه بأنَّ يكون مُحَقَّقاً فيما تكلم به .

فأمر الأسد عند ذلك بدمنة ففُذِفَتْ في عنقه جامعةٌ ثم حُبِسَ، وأمر بالنظر في أمره. فقالت أم الأسد: لقد بلغني عن هذا الفاجر الكذاب شرُّ ما يقال عن أحد، وتتابعَت الألسن عليه، وهو له مُعْجِل، وليس يخفى أمره عليَّ. والذي ذكره لي الأمين الصدوق: فليسترح منه ولا يناظره. فقال الأسد: اسكتي عني وأهدئي، فإنِّي ناظرٌ في أمره وفاحص عنه، وغير عاجلٍ عليه، ولا أشتري ضرر نفسي باتباع هوى غيري ممن لا أدري ما صدقُه من كذبه؛ مَنْ الذي وصفت؟ فسَمِّيه لي. فقالت أم الأسد: هو خليلك ومؤدِّبك وأمينك، النير. فقال الأسد: بحسبك! سترين ما أصنعُ به وأمر فيه، فانصري. فلما ذهبت هداةٌ من الليل بلغ كلبه أنَّ دمنه قد حُبِسَ واستوثق منه، فانطلق إليه يهمس همساً. فلما رآه موثقاً، بكى بكاءً شديداً وقال:

طوق .

قد بلغ الأمر يا أخي إلى ما لا أبالي ألا أغلظ لك معه في الكلام، ولا أستقبلك بما تكره منه. وإنه ليخطر ببالي ما كنتُ أشير به عليك، ولقد كنتُ رأيتُ ذلك وأبلغتُ في الموعظة، فلم تقبل مني ولم تأخذ به، لإعجابك برأيك. فويل لحلمك وفطنتك ! لقد ضلّا عنك ونزعا منك وذهبا مع حياتك ضياعاً. فقال دمنة: إنك لم تزل تتكلم بالحق وتأمر به؛ ولكن لم أسمع منك - لما كان في من الشرّ والشهوة، ولما كُتِبَ عليّ من البلاء - ولولا ذلك كان فيا وعظمتي به ما مثله أنتهي إليه وأنتفع برأيك فيه. قالت العلماء: إن الذي لا يسمع من إخوانه ونصحائه يصير أمره إلى الندامة. وقد حلّ ذلك بي؛ ولكن ما عَسَيْتُ أن أصنع ؟ فإن الحرص وطموح العين يغلبان رأي الحلم ونظر العالم؛ كالمريض الذي قد عرف أن شهوته من الطعام مُضِرَّةً به مُشَدِّدَةً للوجع عليه، فلا يدعُ تناولها والإصابةَ منها، فيزدادُ مرضاً، ولعله يموت منه. ولستُ أحرزَ اليوم على نفسي، ولكن عليك، لأنني أخافُ أن تُؤخذَ في سبب الذي بيني وبينك من القرابة، فتعذب فلا تجدَ من إطلاعهم على أمري بدءاً، فأقتل بإظهارك سرّي وتصديقهم إياك عليّ. فقال كليله: قد فكّرتُ في ذلك، وليس يُعدّلُ بالحياة شيء، وقد يُضطرّ الرجل إذا نزل به البلاء، إلى أن يقرِفَ نفسه بما لم يفعل ولم يعلم، رجاء الحياة والتخفيف عنه؛ وقد قالت العلماء: إنه من أريدت مهجته لأمر يُسأل عنه، غيرُ مقتصر على ما كان، ولكنه قائل ما لم يكن إشفافاً عليها. فالذي وجَلَّت منه نفسُك عليّ هو ما حاذرت. وقد طال مقامي عندك، وأنا منطلق خيفة أن يدخل أحد فيراني عندك أو يسمع تحاورنا مستمع. وأنا أشير عليك أن تعترف بجرمك وتبوح بذنبك؛ فإنك ميت لا محالة، وإنك إن تُقتل في الدنيا بما كان منك، خيرٌ لك من العذاب الدائم في الآخرة، مع الأثمة الفُجَّار. قال دمنة: قد صدقتَ فيما ذكرت، ولكن العمل به شاق؛ ولكني غيرُ مُحيرٍ كلاماً حتى يُفرّق في أمري. ثم إن كليله انطلق إلى منزله فوقع في همٍّ وحرَن، مخافة أن يؤخذ بذنب دمنة؛ فاستطلق بطئه فمات في ليلته.

وكان في السجن سبعٌ، وكان نائماً قريباً من كليله ودمنة حيث اجتماعا في السجن ،

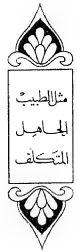


وكان في
السجن سبع
سمع جميع ما
تجاوزا فيه

فاستيقظ بكلامهما، فسمع جميع ما تجاوزا فيه وتراجعا بينهما، فحفظ ذلك وكنمه .

ثم إنَّ أمَّ الأسد دخلت عليه من الغد، فقالت: اذكر الذي وعدتني البارحة في أمر هذا الفاجر، وقولك لجندك: إنه لينبغي للمرء أن يعمل بالتقوى ولا يتوانى في ذلك. وإني لا أعرف أمراً أعظم أجراً من الاستراحة منه؛ فإنه قد قالت العلماء: إنَّ المُعِين لذي الآثام على خيافته شريك له في أعماله. فأمر الأسد النير والقاضي أن يجلسا ويدعوا بدمنة على رعوس الجند، ثم يسألا عنه، ويرفعا إليه الذي يذكرون لهما منه^١ وجوابه إياهم فيه، ولا يدعَا من ذلك شيئاً إلا أنباه إليه. فخرجا لذلك وجمعا الجند، وبعثوا إلى دمنة. فلما أُتِيَ به توسط محفلهم، فانتصب النمر قائماً وجهه بصوته وقال: قد علمتم، معشر الجند، ما دخل على الملك من التألم بقتل شزبة والتوجع له، ولم يزل مهموماً حزيناً وجلاً أن يكون دمنة شبيهة عليه في أمره، وأرهقه فيه ميئاً وباطلاً، وأحب أن يستيقن ذلك، وقد نصبنا للنظر في أمرها؛ فأنتم أحق ألا تكتموا سرّاً، ولا تدخروا عنه نصحاً، ولا تخفوا عليه حرفاً. وليقل كل امرئ منكم ما يعلم، فإنه لا يحب أن يفرض عقوبة أحد لهُوى منه أو لغيره في ذلك، من غير استيجاب منه للعقوبة. فقال القاضي: انظروا ما يتكلم به الأمين فاتبعوه. وقد سمعتم الذي قيل لكم فلا يكتمن أحد منكم شيئاً علمه، لثلاث خلل: أمّا واحدة فالصدق فيما استشهدتم به، وألا تجعلوا العظم من الأمر في الحق صغيراً، ولا ينبغي لكم أن تكرهوا وقوع القضاء على ما وافقكم أو خالفكم، ولا تصغروا منه شيئاً؛ وأيُّ عظم أعظم من ستر عورة من أفرط الأخيار واستزلهم برشيته وكيدته؛ فالكاتم عليه

غير بريء من مضرّة حيلته . ولا بعيدٍ من أن يكون شريكاً له في عمله ؛ فإنّ سير الحق عظيم . وأفظعُ منه عند الله أن يُقتل بريء على غير ذنب ، لنميمة فاجر كذّاب . والثانية أنّ عقوبة المذنب بذنبه مُقَمَّعة لأهل الرّية ، ومصلحة للملك والرعية . والثالثة أنّ الأشرار إذا قُتِلوا ونُفِوا من الأرض كان في ذلك راحةً للملك والرعية وصلاح لهم ؛ فليقلّ كل امرئ منكم ما يعلم ، كيما يكونَ القضاء في ذلك على الحق لا على الهوى والبغي . فرمق بعضهم بعضاً وأطرقوا مليّاً لا يُجِيزون كلاماً لأنهم لم يعلموا من أمره علماً واضحاً يتكلمون به ، وكرهوا القول بالظنون خوفاً أن يفصل قولهم حكماً ، ويوجب قتلاً . فقال دمنة : ما يسكتكم ؟ ليقلّ كل امرئ منكم ما يعلم . واعلموا أنّ لكلّ قربة ثواباً إما عاجلاً وإما آجلاً . ولا بد أن تقولوا في أمري بعلمكم ، وليعلم كل متكلم منكم أنّ منطقته في قولي حكمٌ في إحياء نفس أو موتها . واعلموا أنّ من قال ما لم ير ، وادّعى عِلْمَ ما لم يعلم أصابه ما أصاب الطبيب الجاهل المتكلف . فقال له القاضي : وكيف كان ذلك ؟ قال دمنة :



زعموا أنه كان في مدينة من مدائن السند¹⁰ طبيب عالم رقيق ، فمات ، فنظروا في كتبه ، فكانوا ينتفعون بها ويتعلمون منها . فأتاهم رجل زعم أنه طبيب ، وأنّ له رفقاً . ولم يكن كذلك . وكانت للملكهم ابنة كريمة عليه ، وكانت حاملاً فأصابها بطنٌ فجعلت تُجِسُّ الأعراض . فبعث الملك في طلب الأطباء فأثت رُسُلُه رجلاً منهم كان له علم ، على رأس فرسخ . فوجدوه قد عَمِيَ ، فوصفوا له وجع ابنة الملك ، فأمرهم أن يسقوها دواءً يقال له زامهران ، فرجعوا إلى الملك فأخبروه بذلك . فأمر أن يُطلب طبيب ليهيئ ذلك الدواء . فأتاه ذلك الرجل الجاهل فأخبره أنه عالم عارف بالأدوية وأخلاقها . فدعا الملك بالأسفاط التي فيها أدوية الطبيب ، فوضعت بين يديه ، فأخذ من أحدها صرةً فيها سمٌ فجعل منها ومن غيرها زامهران . فلما رأى الملك سرعة فراغه من ذلك ظنّ أنه عالم ، فأمر له بحلّى وكسوة حسنة ، وسقى الجارية منه فلم تلبث أن تقطع أمعاؤها فماتت . وأمر أبوها فسقى الطبيب من الذي صنع لها من الأدوية فهلك .

وإنما ضربتُ هذا المثل في جماعتكم كيلا تتكلموا بما لم تعلموا - تلتسمون به رضا



ورمق بعضهم بعضاً، وأطرقوا ملياً. فقال دمنة: ما يسكتكم؟

غيركم - فيصيبكم ما أصاب ذلك الطبيب الجاهل؛ فإن العلماء قد قالوا: إنما جزء كل أحد بقوله وفعله. وأنا بريء مما لُطِخت به، قائم بين أيديكم. فتكلم سيد الخنازير^{١١} إدلالاً بمنزلته من الأسد وأمه، فقال: اسمعوا معشر الجند، وتفكروا فيما أقول لكم؛ فإن العلماء لم يدعوا شيئاً من آيات الأسرار والأخبار إلا قد أثبتوه، وإن علامات الفجور في هذا الشقي ظاهرة، وقد



طار له مع ذلك نَبَأٌ سوءٌ. فقال عظيم الجند لرأس الخنازير : قد سمعنا ذلك، وقليلٌ مَنْ يعرفه، فأعلمنا ما الذي رأيتُ في هذا البائس. فقام رأس الخنازير وأخذ بيد دمنة وقال: إنَّ في كتب العلماء أنَّ من كانت عينُه اليسرى صغيرةً كثيرةَ الاختلاج، وأنفُه مائلاً إلى شِقِّه الأيمن، وما بين حاجبيه من الشعر متباعداً، ومنابتُ شعره ثلاثَ شعرات ثلاثَ شعرات، وإذا مشى نكَّسَ ولا يزال ملتفتاً إلى خلفه، فإنه صاحبُ نَمِيمةٍ وفجورٍ وغدر؛ وهذه العلاماتُ كُلُّها بيَّنة في هذا الشقي. فقال دمنة: نحن كُلُّنا تحت السماء ولسنا فوقها، وأتم ذوو الأحلام وتقيسون بالعلم الكلام، وقد فهمتم ما قال فاستمعوا مني؛ فإنه يظنُّ أنه لا أحدٌ أعرفُ بالأُمور منه، وأنه لا عِلْمَ إلَّا عِلْمُهُ؛ وإن كان ما ذكر من العلامات حقاً، فلا أسمع أنَّ أحدًا يقدر على أن يعمل خيراً ولا شراً إلَّا بها، وإنما تجازون بذلك وتعاقبون عليه، وليس لامرئٍ من رأيه شيءٌ؛ فليس مُجتهدٌ وإن حرصَ على الخير بنافعه حرصه، ولا مسيءٌ وإن أذنب بضائره ذنبه؛ وقد شَقِيتُ أنا بالعلامات التي في جسدي، وذلك أمرٌ إليَّ إن كانت، وأعوذ بالله أن تكون. ولو كان إلى الناس من ذلك شيءٌ جعلوا فيهم أفضلَ ما يقدرون من الآيات والشامات، ولم يكن مني غير العادة، ولم

١٠ ذكر وسبعة .

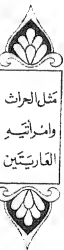
أركب غيرَ الحق. وقد استبان لمن حضرك قلَّةُ عقلك وعلمك بالأمر وبصرك بها. وقد قال رجل مرة لامرأته: احفظي نفسك ثم اطعني على غيرك، ودعي الناس وأصليحي عيوبك التي أنتِ بها أعرفُ، وذلك مثلك. فقال سيّد الخنازير لدمنة: وكيف كان ذلك؟ قال دمنة:

زعموا أنه كانت مدينة تدعى برزجر¹² قد أغار عليها العدو، فقتلوا الرجال وسبوا النساء والذرية. فأصاب رجل من أولئك في الغنمة رجلاً حرّاً وامرأتين له، فكان يسيء إليهم في المطعم والمشرب ويُجيعهم ويُعريهم. فانطلق الرجل وامراتاه ذات يوم يحتطبون، فوجدت إحداهما خرقه بالية في الصحراء فغطّت بها عورتها. فقالت الأخرى لزوجها: ألا تنظر إلى هذه الزانية تمشي عُريانة؟ فقال لها زوجها: ويحك، ألا تنظرين أنت إلى نفسك؟ فإن جسمك كلّه عار. وتعيين التي قد غطّت عورتها.

وأنت أيضاً أيها المتكلم، أمرك عجب حين تدنو من طعام سيّدك وتقوم بين يديه، مع ما بجسمك من القدر والقبح والفتن واللؤم وما فيه من العيوب، ثم أنت تجترئ أن تقوم بين يدي



فانطلق الرجل
وامراتاه يحتطبون



الملك وتلي طعامه. وقد علم عيوبك غيري من الجند، ولم يكن ينبغي لي التكلم بها، إلا أنه لم يكن يضر أحداً إكرامه إياك، وكنت لك أخاً وقد كنت أحفظك لذلك. فأما إذ باديتني بالعداوة ونظقت بالبهتان علي من غير علم، فإنه لا ينبغي أن يكون صاحب السلطان دباغاً ولا حجاًماً، دَع أن يكون بالمرتلة التي أنت بها منه. فقال رأس الخنازير: ألي تقول ما أسمع؟ فقال: نعم! حقاً لك أقول؛ فإنك قد جمعت أنك آذر مبسور¹² تحك ذلك النهار كله، أفدع¹³ متسائل الخلق خبيثه. فلما سمع ذلك رأس الخنازير وما رماه به، خنقته العبرة فبكى لجرائته عليه وإغلاظه له. قال له دمنة: إنه لينبغي أن تبكي وتكثر دموعك؛ فإن الملك لو قد اطلع على أمرك وعلم الذي أنت عليه، أقصاك وأبعدك. فلما سمع ذلك أمين الأسد الذي أمره بحفظ ما يقولون - وكان اسمه شهرخ¹³ - رفعه إليه، فعزل رأس الخنازير عن عمله، وأمر بإخراجه وإقصائه عنه.

وكتب النمر والقاضي ما قال دمنة وما قيل له، ونحنا به إلى السجن.

ثم إن صديقاً لكليلاً يقال له فيروز¹⁴ انطلق إلى دمنة فأخبره بموت كليلة، فبكى بكاءً شديداً، وقال: ما أصنع اليوم بالحياة وقد هلك أخي وصفيي؟ لقد صدق القائل: إن الإنسان إذا ابتلي آتاه الشر من كل جانب، واكتنفه من الهم والحزن مثل الذي بي. وقد رزئت - مع ما دخل علي - بمؤدبي ومتعهدي بما فيه رشدي. وقد أبقى الله لي منك أخاً ليس بدونه؛ بل أرجو أن تكون أفضل منه عطفاً علي، ونظراً لي، وأن تهتم في أمري بما يعتني به أخو الحفاظ؛ فإن رأيت أن تنطلق إلى منزل كليلة فتأتيني بما كان لي وله فيه، فافعل. فلما جاء به أعطاه نصيب كليلة كله، وقال: أنت أحق به من غيرك وطلب إليه أن يحضره عند الأسد بنجر، وأن يعلمه ما تذكر أم الأسد منه¹⁵ عنده. فوعده ذلك، وقبل ما أعطاه.

ثم إن فيروز غدا إلى الأسد فوافق النمر عنده والقاضي، قد أتياه بالكُتب فوضعاها بين يديه.

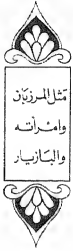


فلما سمع رأس الخنازير ما رماه به دمنة خنفته العبرة فبكى

فنظر فيها وأمر كاتبه بنسخها ودفعها إلى النير ، وقال له للقاضي : انطلقا بدمنة فقفاه للجند ، ثم ارفعا إليّ ما يكون منه ، وعذره في ذلك . فلما خرجوا من عند الأسد أتته أمه فقرا عليها تلك الكتب . فقالت أم الأسد : لا تجدن عليّ إن أنا أغلظت لك في القول ؛ فإني لا أراك تعرف ما يضرّك مما ينفعك . أليس هذا ما كنت أنهارك عنه من استماع قول هذا الفاجر المحتال ؟ فإنك إن استبقيته أفسد عليك جندك وفرق ملاهم . وانصرف من عنده وهي غضّبي عليه . ثم إن

فيروز أتى دمنة فأخبره بذلك. فبينما هو في حديثه إذ أتاه رسول القاضي فانطلق به إليه. فقال عظيم الجند: قد علمتُ أمرك وتيقنتُهُ، وأتاني به مَنْ هو عندي أمين، وليس ينبغي لي أن أسأل عن شأنك ولا أنظرَ فيه سوى ما قد فحصتُ؛ فإنَّ العلماء قالت: إنَّ الله جعل لكل شيء من أمر الآخرة علماً ومصادقاً في الدنيا دلَّت عليه أنبيأؤه ورسله؛ ولولا ما أمرنا به الملك - لرأفته ورحمته بالرحمة - لكان القضاء بيناً عليك. فقال دمنة: إنَّ منطلقك ليس بذي وَجْه ولا رَافعة ولا نظر في أمر مظلوم ولا طلب للحق والعدل؛ ولكني أراك راكباً هواك، تريد قتلي ولم يستضيء لك شيء من أمري وما قُدِّيتُ به، ولم أبلغ ثلاثة أيامَ بعدُ. ولستَ بملموم بذلك عندي، لأنَّ الفاجر لا يُحِبُّ الصلاح وأهلَه، ولا من يعمل أعمالَ التقي. فقال القاضي: إنَّ حقاً على الوالي أن يُجازي المرءَ بصلاحه، ويَعْرِفه له، لأنَّه أهلٌ لكل خيرٍ أتى إليه، وأنَّ يُنكَلَّ بالمجرم عن إساءته ويعذبه، ويعاقبه عليها. ليزداد أهلُ الخير في الصلاح رغبة، وأهل الجرائم عن الإساءة نزوعاً. ولعمري لأنَّ تعاقبَ في الدنيا. خيرٌ لك من أن تعذبَ في الآخرة غداً. فأقرَّ بذبك. وبؤُسِ إساءتك. واعترف بصنيعك؛ فإنه أفضل لك في عواقب الأمور، إن أنت هُدِيت إلى ذلك ووفِّقتَ له. فقال دمنة: أيها القاضي الصالح. نطقتَ بالعدل، وقلتَ مقالة الحكماء. ولعمري إنَّ من سعادة المرء ألا يبيع آخرته بدنياه فانية منقطعة، ولا يشتري رَوْحاً يسيراً بعذاب طويل. ولكني مما قُرِفْتُ به بريء؛ فكيف آثمٌ بقتل نفسي وأعينُ عليها وأنا مظلوم، بل أنطق بكذب لم أنفقه به ولم يعرف مني؟ فشديد عليَّ أن أقِرَّ بما لم أعمل، وأن أبوءَ بما لم أجزِ، فأكونَ مُعيناً على نفسي، وشريكاً لمن أراد قتلي؛ فإنَّك تعرف عِقَابَ مَنْ فعل ذلك في الآخرة. وأنا بريءُ العِرض، بارزُ العُدْر؛ فإن أردتم قتلي مظلوماً فكفى بالله لي ناصراً. ولعلَّ ذلك - إن فعلتموه - ألا يكون شرُّ أموري لي عاجلاً وأجلاً. فأنا أقول اليوم مثل مقالتي أمس: اذكروا حساب الآخرة وعقابها، ولا تأسفوا غداً إذا دخلتم اليوم في أمر تندمون عليه حين لا تنفع الندامة؛ فإنَّ القضاة لا تقضي بظنونها، وأنا أعلمُ بنفسي منكم. وإياكم أن يُصيبكم ما أصاب القاتلَ بما لا يعلم، وما لم يُحِط به خُبراً. فقال عظيم الجنود والقاضي: وكيف كان ذلك؟ فقال دمنة:

زعموا أنه كان مَرزبان في مدينة فاروات¹⁶، وكانت له امرأة حسناء عاقلة. وكان للمرزبان



مثل المَرْزبان
وامراته
والبازيار

عبدُ بازيار¹⁷، وقد هوَّيَها وعَرَّضَ لها مراراً: كلَّ ذلك لا تلتفت إليه. فأضمر في نفسه فضيحتَها؛ فخرج ذات يوم إلى الصيد فصاد فرخَيَّ بَيْعَاءَ فهَيَّا لهما وَكراً، وجعل يعلمُ أحدهما أن يقول: «رَأَيْتَ الْبُؤَابَ مضاجعاً مولاتي» وعلم الآخر أن يقول: «أما أنا فلستُ بقاتلِ شَيْئاً». فحفظ الفرخان ذلك بلسانِ الْبَلْخِيَّةِ، ولم يكن أهلُ تلك البلاد يعرفونها. فلما كان ذات يوم ومولاه يشرب، إذ أتاه بهما، فصاحا بتينك الكلمتين بين يديه. فأعجب المَرْزبانَ ترجيعُهما ما قالاه بأصواتهما - من غير أن يكونَ فَهَمَ شَيْئاً مما قالاه - وأمر امرأته بالاحتفاظ بهما والإحسانَ إليهما، وألطفَ الغلامَ وأحسنَ إليه؛ ومكثا عنده زماناً.

ثم إنه قدم عليه أناس من عظماء أهل بلخ، فصنع لهم طعاماً وشراباً. فلما أصابوا من ذلك دعا بالفرخين ليُعْجِبَهُمَ منهما، فصوّتا. فلما سمعوا صياحهما نظر بعضهم إلى بعض ونكسوا رؤوسهم حياءً منه، ثم قالوا له: هل تعلم ما يقولان؟ فقال: لا، غير أن ذلك لي مُعْجِبٌ. فقال بعضهم له¹⁸: لا تَجِدْ علينا إن حَدَّثْنَاكَ به؛ فَإِنَّ أحدهما يزعم - بلسانِ البلخية - أن البواب يَفْجُرُ بامراتك، وأما الآخر فيقول: «أما أنا فلست بقاتلِ شَيْئاً». وإنَّ من شأننا ألا نُصِيبَ في بيت امرئٍ - امرأته فاجرةٌ - طعاماً. فنادى البازيارُ من خارج: أنا أشهد على مقاتلتهما أنها حق، وأني قد رأيتُ ذلك غير مرة. فأمر المَرْزبانُ بقتل امرأته. فأرسلت إليه أن أفحص عما ذُكر لك، فسيبدو لك من الفاجر الكذاب؛ ومُرَّ هؤلاء العظماء فليسألوهما ولينظروا هل يعلمان



فلما سمع دمنة
بموت كلبلة بكى
بكاء شديداً

أو يحسان من لسان البلخية غير هاتين الكلمتين، فتعلموا أنَّ ذلك من تعليم البازيار. لأنه أرادني على نفسي فامتنعت منه. ففعل ذلك فكلموهما فإذا هما لا يُحسنان غيرهما. فعرفوا أنَّ ذلك من تعليم البازيار. فأرسل إليه فاتاه وعلى يده باز. فقالت له المرأة: وبيك ! أنت رأيتني على ما قذفني به ؟ قال: نعم ! فوثب البازي عليه فترع عينيه بمخالبه. فقالت له المرأة: لقد عجل الله لك النكال بكذبك عليَّ؛ فإنك زعمت أنك عاينت ما لم تر، وشهدت عليَّ بزور وباطل.

وإنما ضربت لكم هذا المثل لتعلموا أنَّ مَنْ عمل بمثل ما عمل به البازيار من الافتراء والبهتان، كان جزاؤه العقوبة في العاجل والآجل.

ثم إنَّ القاضي كتب ما قيل لدمنة. وما ردَّ عليهم، وأرسل به إلى السجن. وانطلق عظيم الجند إلى الملك. وتفرَّق سائرهم. وحُيِسَ دمنة بعد ذلك سبع ليالٍ يتكلم بعذره. فلم يقدرُوا أن يقرُّوه بشيء من ذنبه. ولا يخصِّموه فيه.

ثم إنَّ أُمَّ الأسد قالت له: لئن أنت خلَّيتَ سبيلَ دمنة - بعد الذي ارتكب من الذنب العظيم - ليجترئن عليك جندك. ولا يتخوفُ منهم أحد - في قطعِ يرتكبه - عقوبتك. وليُنشِرنَّ أمرك بما لا تطيقُ كَمَ شَعْتِه. ولا شَعَبَ صَدْعِه. ولا رَتَقَ فَتَقِه. وأحضرت النيرَ فشهد على دمنة بما سمع منه، ومراجعةً كليله إياه.

ولما شهد النير بذلك، أرسل السبعُ المسجون - الذي سمع قول كليله لدمنة ليلة دخل عليه في السجن - أنْ عندي شهادةٌ فأخرجوني لها. فبعث إليه الأسد، فشهد على دمنة بما سمع من قول كليله وتوبيخه إياه بدخوله بين الأسد والثور بالكذب والنميمة حتى قتله الأسد. وإقرار

فلما سمعا كلام الفرخين. قال أحدهما:
إنا لا نأكل في بيت امرئ امرأته فاجرة



دمنة بذلك¹⁹. فلما كررت أم الأسد ذلك عليه وكلمته فيه ووقع في نفسه أن دمنة حملته على زبيغ وأوطأه عسوة، أمر به فقتل شر قتلة .

ثم قال الفيلسوف للملك: فلينظر أهل التفكر في الأمور في هذا وأشباهه، وليعلموا أنه من يلتمس منفعة نفسه بهلاك غيره - ظالماً له بخديعة أو مكر أو خيالة - فإنه غير ناج من وبال ذلك وعاقبته ومعيبته، وأنه مكافأ به ومجزى بما عمل عاجلاً وأجلاً، وصائر إلى البوار على كل حال .



وقال السبع : إن عندي شهادة





قال الملك للفيلسوف: قد فهمتُ مثْلَ المتحابِّينَ يقطع بينهما الكذوب الخائن النِّمامُ، وما يصير إليه أمره؛ فأخبرني عن إخوان الصِّفاء كيف يبدأ تواصلهم، ويستمتع بعضهم ببعض .

قال الفيلسوف: إنَّ العاقل لا يَعدِلُ بصلاح الأعوان شيئاً من العُقَد والمكاسب؛ لأنَّ الإخوان هم الأعوان على الخير كُلِّه، والمواسون عند ما ينوب من مكروه. ومن أمثال ذلك مثْلُ الحمامة المطوّقة والظبي والغراب والجرذ والسُّلخفاة. قال الملك: وكيف كان ذلك؟ قال الفيلسوف:

زعموا أنه كان بأرض دِستاد، عند مدينة يقال لها ماروات^١، مكان للصيد يتصيد فيه الصيَّادون. وكان في ذلك المكان شجرة عظيمة كثيرة الغصون ملتقّة الورق، وكان فيها وكرُ غُراب يقال له حائر^٢. فبينما الغراب ذات يوم واقف على الشجرة إذ بَصُرَ برجل من الصيَّادين قبيح المنظر سيئ الحال، وعلى عُنقه شبكة، وفي يده شُرْك وعصا، وهو مُقْبِل نحو الشجرة . فذعِر الغراب منه وقال: لقد ساق هذا الصيَّاد إلى ههنا أمرٌ، فما أدري ما هو ! أَلِحْنِي أم لِحْنِي

غيري ؟ ولكني ثابتٌ على كل حال، وناظرٌ ما يصنع. فنصب الصياد شبكته ونثر فيها حَبَّه وكَمَنَ قريباً؛ فلم يلبث إلا قليلاً حتى مرّت به حمامة يقال لها المطوّقة - وكانت سيّدة الحمام - ومعها حمام كثير. فرأت الحَبَّ ولم تر الشبكة، فانقضّت وانقضّ الحمام معها، فوقعن في الشبكة جميعاً. وجعلت كل حمامة منهنّ تضطرب على ناحيتها وتعالج الخلاص لنفسها. فقالت المطوّقة: لا تَخَاذِلْنِ في المُعَالَجَةِ، ولا تَكُنْ نفسُ كل واحدة منكُنْ أهمَّ إليها من نفس صاحبتها؛ ولكن تعاونّ فلعلنا نَقْلَعُ الشبكة فَنُجِىَ بعضنا بعضاً. ففعلن ذلك فانتزعن الشبكة حين تعاونّ عليها، وطيّرن بها في علوّ السماء.

ورأى الصياد صنيعهنّ فأتبعهنّ يطلبهنّ، ولم يقطع رجاءه منهنّ، وظنّ أنهنّ لا يطرُن إلا قريباً حتى يقعن. وقال الغراب: لأتبعهنّ حتّى أنظرَ إلى ما يصيرُ إليه أمرهنّ وأمره. والتفتت المطوّقة فلما رأت الصياد يقفوهنّ ° قالت للحمام: ها هو ذا جاء يطلبكنّ؛ فإن نحن أخذنا في الفضاء لم يَخَفَ عليه أمرنا، ولم يزل يُتبعنا، وإن نحن أخذنا في الشجر والعُمران لم نلبث أن يغبى ° عليه أمرنا، ولم يزل يُتبعنا حتى يئأس منا فينصرف؛ ومع ذلك إن قريباً من الطريق جُحْرٌ جَرْدٌ. وهو صديق لي، فلو انتهينا إليه لقطع عنا هذه الشبكة وخلصنا منها. ففعل الحمام ما أمرتهنّ به المطوّقة، وخفّين على الصياد فأيس منهنّ وانصرف.

وثبت الغراب على حاله لينظر هل للحمام من حيلة للخروج مما هنّ فيه فيتعلمها وتكونَ عُدّةً لنفسه إن وقع في مثراها. فلما انتهت المطوّقة إلى مكان الجرذ أمرت الحمام بالتزول فوقّعن، ووجدت الجرذ قد أعدّ مائة جُحْرٍ للمخاوف، فنادته المطوّقة باسمه - وكان اسمه زيرك³ - فأجابه من الجحر وقال: مَنْ أنت ؟ فقالت له: خليلتك المطوّقة. فخرج إليها مُسرِعاً، فلما رآها في الشبكة قال لها: يا أختي، ما أوقعك في هذه الورطة وأنتِ من الأكياس ؟ قالت له: أما تعلم أنه ليس من الخير والشّر شيء إلا وهو محتوم على من يصيبه، بأيامه وعِلّله ومُدّته وكُنّه ما يُبتلى به من قَلْتِه وكَثَرْتِه ؟ فالمقادير هي التي أوقعتني في هذه الورطة، ودلّني على الحَبِّ، وأخفت

°° يغني ويستتر .

° يتبعهن .

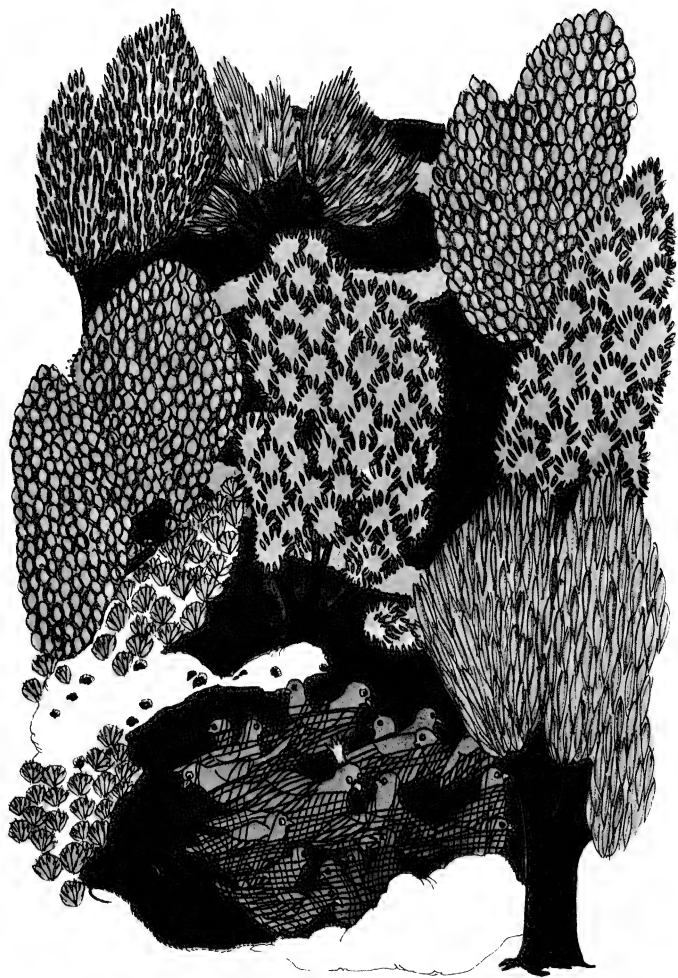
عليّ الشبكة حتى لججتُ فيها وصُويحتُ. وليس أمري وقلة امتناعي من القدر بعَجَب؛ لأنّ المقادير لا يدفعها من هو أقوى مني. أما تعلم أنّ بالقدر تُكسف الشمس والقمر، وتتصاد السمكة في البحر الذي لا يسبح فيه أحد، ويُسنزلُ الطير من الهواء، إذا قضى ذلك عليهم. والسببُ الذي يُدرك به العاجزُ حاجته هو الذي يحول بين الحازم وحاجته. ثم إنّ الجرّاذ أخذ في تقريض العُقْد التي كانت فيها المطوّقة، فقالت له: ابدأ بتقريض عُقْد سائر الحمام قبلي وانصرف إليّ. فأعادت ذلك عليه مراراً - كلُّ ذلك لا يلتفت إلى قولها - فلما ألحّت عليه قال لها: قد كرّرت عليّ هذه المقالة كأنك ليس لك في نفسك حاجة، ولا ترين لها عليك حقاً. فقالت له المطوّقة: لا تُلمني على ما سألتك؛ فأني قد كلّفت لجماعتهم بالرياسة، فحقُّ ذلك عليّ عظيم. وقد أدّين إليّ حقي في الطاعة والنصيحة، بمعونتهم وطاعتهم، وبذلك نجّانا الله من الصياد. وإني تخوّفت - إن أنت بدأت بقطع عُقْدتي - أن تملّ وتكلّ ويبقى بعضٌ من معي. وعرفتُ أنك إن بدأت بهنّ وكنتُ أنا الأخيرة لم ترّض - وإن أدركك الكلال والفقر - حتى تخلّصني مما أنا فيه. فقال لها الجرّاذ: وهذا أيضاً مما يزيد أهل مودّتك فيك رغبة، وعليك حرصاً. وأخذ في قرص الشبكة حتى فرغ منها، وانطلقت المطوّقة والحمام راجعات إلى أماكنهنّ.



إذ بصياد قبيح المنظر يقبل وعلى
عنقه شبكة وفي يده شرك وعصا

فلما رأى الغراب صُنع الجرذ وتخليصه الحمام، رغب في مصادقته وقال: ما أنا بآمين أن
يُصيبني ما أصابهم، ولا أنا عن مودة الجرذ بغني. فدنا من جُحره ونداه باسمه. فقال له: مَنْ
أنت؟ فقال: أنا الغراب؛ كان من أمري كَيْتَ وكَيْتَ، فلما رأيتُ وفاءك لأصدقائك، رغبْتُ
في إخائك وحيثُ أطلب ذلك منك. فقال الجرذ: ليس بيني وبينك سبيلُ تَوَاصُل. وإنما ينبغي
للعاقل أن يلتصق من الأمور ما يرجو دَرَكَه، ويترك طلب ما لا يقدر عليه، لئلا يُعَدَّ جاهلاً،
كرجل أراد أن يُجَرِيَ السفنَ في البرِّ، ويَجَرَّ العَجَل على الماء، وليس إلى ذلك سبيل. وكيف
يكون بيننا سبيلُ تَوَاصُل! وإنما أنا لحم وأنت آكلُ لحم فأنا لك طعم! قال الغراب: اعتبر
بعقلك؛ إن أكلتُ إياك - وإن كنتَ طعاماً لي - لا يُغني عني شيئاً. وإن في بقائك ومودتك
أنساً لي. واعتبر بما جربت طول الدهر؛ هل تجد مَنْ يبيع منفعة بمضرته، على عِلْم منه بذلك؟
وإني لم أرغب فيك - إذ رغبْتُ - إلا لنفسي والمنفعة لها؛ فإن بقاءك لي فيه منفعةٌ من نائبة
أو نازلةٍ تنزل بي. وأنت حقيقٌ - إذ رغبْتُ فيك - ألا تُبعدني من نفسك، ولا تنازعك
النفس إلى سوء الظنِّ مع ما أسوَّغك من نفسي، وأوثق لك من عهدي. وقد ظهر منك جميل
الخلق، وذو الفضل لا يخفى فضله - وإن هو أخفاه وكنمه بجهده - كالمسك الذي يخفى
ويُكتم، ثم لا يمنع ذلك رائحته أن تفوح. فلا تُغَيِّرْ عليَّ وَدَّك، ولا تمنعني خلَّتكَ. فقال الجرذ:
إنَّ أشدَّ العداوة عداوةَ الجواهر، وهي ضربان: منهما عداوة من يجتران على ذلك كعداوة
الأسد والفيل؛ فإنه ربما قتل الأسد الفيل، وربما قتل الفيل الأسد. والأخرى إنما ضررها من
أحد الجانبين على الآخر، كعداوة ما بيني وبين السنور، وبينك وبينني؛ وليست لضرٍ مني
عليكم، ولكن للشقاء الذي كتب الله عليَّ منكم. وليس من عداوة الجواهر صلح إلا ريثما يعود
إلى العداوة؛ وليس صلح العدو بموثوق به، ولا مكرٍ إليه؛ فإن الماء إن هو أُسخِنَ بالنار وأُطيل
إسخانه، لم يمتعه ذلك من إطفاء النار إذا صبَّ عليها، ولا تمتعه سخونه من الرجوع إلى أصل
جوهره. وليس ينبغي للعاقل أن يفتَرَّ بصلح العدو ومصاحبه؛ فإنه يكون كصاحب الحية الذي

وأخذ الجرذ في قرص الشبكة



رجل أراد أن
يجري السفن
في البر ويجر
العجل على
الماء



وجدها وقد أصابها البرد فأخفاها في كُفِّه، فلما دقَّ النهار عليها ووجدت سخونة الثياب ، تحرَّكت فنهشته. فقال لها: أهْذي مكافأتي على جميل فعلي بك وصنعي ليك ؟ فقالت له: هذا لي دأْب وعادة وخلق وطِباع. وأحمق الناس المُرِيدُ لإزالة شيء عن أصله وطِباعه إلى غير أسفه وجوهره. ولا يستأنس العاقل إلى عدوه الأريب، بل ما يستوحش منه أكثر. قال الغراب: قد فهمت ما تقول. وأنت حقيق أن تأخذ بفضل خليقتك، وتعرفَ صدق مقالي، ولا تُصعَّب الأمور عليَّ بقولك: ليس لنا إلى التواصل سبيل؛ فإنَّ العقلاء الكرماء يبتغون إلى كل معروف وُصلة سبيلاً. والمودة بين الصالحين سريعُ اتصالها، بطيء انقطاعها؛ ومثل ذلك مثل كوز الذهب الذي هو بطيء الانكسار، سريع الإعادة والصلاح إن أصابه ثَلْمٌ أو وَهْنٌ. والمودة بين الأشرار سريعُ انقطاعها، بطيء اتصالها؛ كالإبناء من الفَخَّار مكسره أدنى شيء ثم لا وصل له أبداً. والكريم يودُّ الكريم على لقيّة واحدة ومعرفة يوم فقط، والثلم لا يصل أحداً إلا عن رغبة أو رهبة. وأنت كريم، وأنا إلى وُدِّك محتاج، وأنا لازمُ بابك وغيرُ ذائق طعاماً ولا شرباً حتى تؤاخيني. فقال له الجرذ: قد قبلتُ إِنْجاءك، فإني لم أردُ أحداً عن حاجة قط. وإنما ابتدأتُك

• التلم: انكسار الحافة .

بما سمعت، إرادة الإعذار إلى نفسي؛ فإن أنت غدرت بي لم تقل: وجدت الجرد ضعيف الرأي سريع الانخداع. ثم خرج إليه من جُحره فأقام عند بابه. فقال له الغراب: ما يحبسك ويمنعك من الخروج إليّ والأُنس بي؟ أو في نفسك ربيّة مني بعد؟ فقال الجرد: إنّ الإخوان أهل الدنيا يتعاطون بينهم أمرين ويتواصلون عليهما: ذاتُ النفس وذاتُ اليد. فأما المتعاطون ذاتُ النفس فهم المتعاونون المتصافون، يستمتع بعضهم ببعض. وأما المتعاطون ذاتُ اليد فهم المتعاونون المستمتعون الذين يلتمس بعضهم الانتفاع ببعض. ومن كان إنما يصنع المعروف ابتغاءَ الأجر والاكتساب لبعض شئون الدنيا فإنما مثله - فيما يُعطي ويبدل - مثلُ الصياد وإلقائه الحبَّ للطير، لا يريد بذلك منفعتَه، بل يريد بذلك نفعَ نفسه. فتبادلُ ذاتِ النفس أفضلُ من تبادل ذاتِ اليد. وإني قد وثقتُ بذاتِ نفسك ومنحتك مثلَ ذلك من نفسي. وليس يعني من الخروج إليك سوءُ ظنٍّ مني بك؛ ولكن قد عرفتُ أنّ لك أصحاباً جوهرهم كجوهرك، وليس رأيهم فيّ كرايك؛ وأنا أخاف أن يراني بعضهم فيهلكني. قال الغراب: إنّ من علامة الصديق أن يكون لصديق

وأخفى الحية في كفه فلما دفى النهار تحركت فنهشته

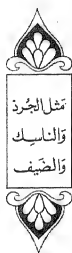


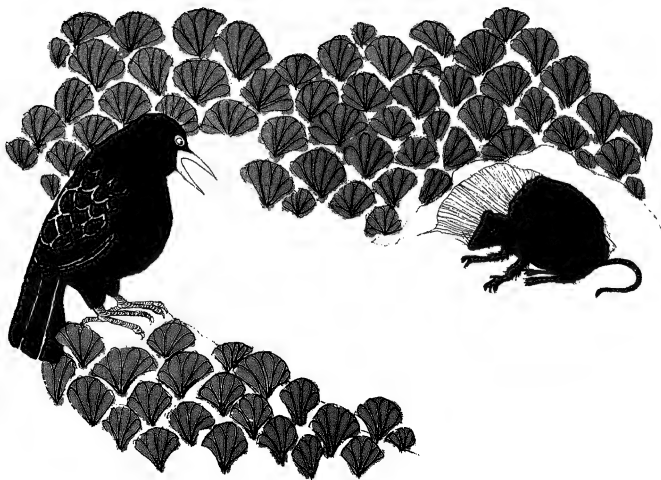
صديقه صديقاً، ولعدو صديقه عدواً، وليس لي بصاحب ولا أخ من لم يكن لك مُحباً ولا فيك رغباً. وقد تهون عليّ قطيعة من كان عدواً لك؛ فإن صاحب الجنان إذا نبت في جنانه ما يُفسدها ويضرّها اقتلعه وقذف به .

ثم إنَّ الجرذ خرج إلى الغراب فتصافحا وتصافيا وتصادقا وأنس كل واحد منهما إلى صاحبه حتى أتت عليهما أيام. فقال له الغراب: إنَّ جُحرك قريب من طريق الناس، وأنا أخشى أن يرموني فأعطب، وقد عرفتُ مكاناً ذا عِزَّةٍ ونِصَبٍ من السمك والماء، ولي فيه صديق من السلاحف وأنا أريد أن أنطلق إليه وأعيش معه آمناً مطمئناً. فقال الجرذ: وأنا أذهب معك، فإني لمكاني هذا كاره. فقال الغراب: وما يُكرِّهه إليك؟ فقال الجرذ: إنَّ لي أخباراً وقصصاً سأسيرها إليك لو قد انتهينا إلى حيث تريد. فأخذ الغراب بدَنب الجرذ فطار به حتى دنا من العين التي فيها السلحفاة. فلما رأت الغراب ومعه جرذٌ دُعرت منه ولم تعلم أنه صاحبها، فغاصت في الماء. فوضع الغراب الجرذ على الأرض ووقع على شجرة قُربها ونادى السلحفاة باسمها. ففرفت صوتَه فخرجت إليه ورحبت به وسألته من أين أُقبل. فأخبرها بسببه حين تبع الحمام، وحضوره أمرَه، وما كان من أمره وأمر الجرذ حتى انتهى إليها. فعجبت السلحفاة من عقل الجرذ ووفائه، ودنت منه ورحبت به، وقالت له: ما ساقك إلى هذه الأرض؟ فقال الجرذ: رغبتُ في صحبتكم والإقامة معكم .

ثم إنَّ الغراب قال للجرذ: رأيت الأخبار والقصاص التي زعمت أنك مُسيرها إليّ؛ حدث بها الآن واقصصها عليّ، فإنَّ السلحفاة منك بمنزلي. فقال الجرذ:

كان أولُ منزلي في مدينة يقال لها ماروت⁴، في بيت رجل من النَّسك لم يكن له عيال. وكان يؤتى كل ليلة بسلة من طعام، فيتسنى منه ثم يضعُ فيها بقيته ويُعلِّقها؛ فأرصده حتى يخرج، ثم آتي إليها فلا أدع فيها شيئاً إلا أكلته ورميتُ به إلى الجردان. فجهد الناسك مراراً على أن يجعلها في مكان لا أناه، فلم يقدر على ذلك. ثم إنَّ الناسك نزل به ضيفٌ ذات ليلة فأكلا جميعاً، حتى إذا كانا عند الحديث قال الناسك للضيف: من أي أرض أنت؟ وأين وجهك الآن؟ وكان الضيف رجلاً قد جال الآفاق ورأى الأعاجيب، فأنشأ يحدثه عما وطىء





ونخرج الجرذ من جحره

من البلدان ورأى من الأمور. فجعل الناسك يصفقُ يديه أحياناً لينفّرني عن السِّلّة. فغضب الضيف من ذلك وقال: أنا أحدُك وتهزأ بي وتصفقُ يديك ! فما حَمَلَك على أن تسألني وأنت تفعل هذا ؟ فاعتذر إليه وقال: إني لم أرَبّ بحديثك - وقد لدّ لي - ولكن كنتُ أفعل الذي رأيتُ لأنفَرُ جُرْذاً في البيت لستُ أضَعُ فيه طعاماً إلّا أكله؛ وقد شقَّ عليّ ذلك. فقال له الضيف: أجِرْ واحد هو أم جُرْذَان كثيرة ؟ فقال الناسك: جرذان البيت كثيرة، وفيها واحد هو الذي قد آذاني وبرّح بي، ولا أستطيع له حيلة. فقال له الضيف: ما هذا إلّا لشيء، وإنه لِيُدْكَرني

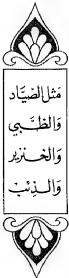
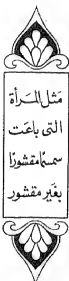
قولَ الرجل الذي قال: لأمرٍ ما باعت هذه المرأة السمسم المقشور بغير المقشور. قال الناسك: وكيف كان ذلك؟ فقال الضيف:

نزلتُ مرةً برجلٍ بمدينة كذا وكذا فتعشنا جميعاً، ثم فرش لي وانصرف إلى مضجعه مع صاحبه - وكان بيني وبينهما خُصٌّ من قَصَبٍ - فسمعت الرجل يقول لامرأته: إني أريد أن أدعوَ غداً رَهْطاً يأكلون عندي. فقالت: وكيف تفعل ذلك وليس لك في بيتك فضلٌ عن عيالك، وأنت رجل لا تُبقي شيئاً ولا تدخره؟ فقال لها: لا تندمي على شيء أطمعناهُ وأنفقناه؛ فإنَّ الجمعَ والادِّخار ربما كان عاقبة صاحبهما كعاقبة الذئب. قالت المرأة: وكيف كان ذلك؟ قال الزوج:

خرج رجل من القنَّاص غادياً بقوسه ونُشَّابِه يلتمس الصيد. فلم يُجاوِزِ بعيداً حتى رمى ظلياً فأصابه، وحمله ورجع منصوراً يريد منزله. فعرض له في طريقه خنزير فجعل عليه، فوضع الرجلُ الظلي وأخذ القوسَ ورماه بالسهم فأنفذه، وأدركه الخنزير فضربه بنابه ضربةً أطارت القوس والنشَّاب من يده، فوقعا جميعاً ميتين. فأتى عليهما ذئب، فلما رآهما وثق بالخِصب في نفسه وقال: ينبغي أن أدخر ما استطعت؛ فإنه من قَرط في الجمع والادِّخار فليس بحازم. وأنا جاعلٌ ما وجدتُ كنزاً، ومكتفٍ يومي هذا بوتر القوس. فدنا منه ليأكله؛ فلما قَطَعَ الوتر طارت القوس فأصابَتْ سَيْتَها^{٥٥} مقتلاً من جوفه فمات.

وإنما ضربتُ لك هذا المثل لتعلمي أنَّ الحرص على الجمع والادِّخار وخيمُ العاقبة. فقالت له المرأة: نعيمًا قلت؛ وعندي من الأرز والسمسم ما فيه طعام لستَ رَهْطاً أو سبعة. وأنا غاديةٌ على صنيعه، فادعُ من أحببت غداً. وأخذت - حين أصبحت - في قَشْرِ السمسم فبسطته في

وأخذ الغراب يذب الجرد وطار به

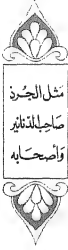






وجعل الناسك يصفق لينفر الجرذ عن السلة

الشمس ليحجف، وقالت لزوجها: اطرُد عنه الطير والكلاب؛ وأسرعَت لصنيعها. فغفل الرجل عنه وذهب لبعض شأنه. وذهب كلب لهم إليه فأكل منه. فبصُرَت به المرأة فقَدَرَتِه وكرهت أن تصنع منه طعاماً. فانطلقت إلى السوق به وأخذت به سمسماً غير مقشور مثلاً بمثل، وأنا أبصر ذلك؛ فنسمعتُ رجلاً يقول: لأمرٍ ما أعطت هذه المرأة سمسماً مقشوراً بغير مقشور. وكذلك قولي في هذا الجرذ الذي ذكرتُ أنه يثب في السِّلَّة حيث تضعها، دون أصحابه، إنه من عِلَّةٍ قويِّ على ما ذكرتُ منه. فالتمس لي فأساً لعلِّي أحفر جُحره وأطلع على بعض شأنه. فأتاه الناسك بفأس - وأنا حينئذ في جُحرٍ غيبي أسمعُ كلامهما - وكان في جُحري ألف دينار



لم أدرِ مَنْ كان وضعها فيه، فكنت أفرشها وأفرح بها وأعزّ بمكانها وأتقلب عليها. وإنّ الضيفَ احتفر الجحر حتى انتهى إليها فاستخرجها وقال: ما كان يقوى هذا الجرذ على الوثوب حيث كان إلا بمكان هذه الدنانير، فإنّ المال جعل زيادة في القوّة والرأي. وسترى أنه بعد اليوم لا يقوى ولا يستطيع ما كان يصنع، ولا يكون له فضل على سائر الجرذان. فعرفت أنه قد صدق، وأحسست في نفسي ضعفاً ونقصاناً وانكساراً حين أخرجت الدنانير من جُحري، وانتقلتُ إلى جُحرٍ آخر. فلما كان من الغد اجتمع الجرذان اللاتي كنّ يُطِفْن بي، فقلن: قد أصابنا جوع، وفقدنا ما

فلما رأهم الذئب ميتين وثق بالخصب



كُنْتَ عَوَّدْتَنَا - وَأَنْتَ رَجَاؤُنَا - فَانْظُرَنَّ فِي أَمْرِنَا . فَانْطَلَقْتُ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي كُنْتَ أَثْبَ مِنْهُ إِلَى السَّلََّةِ ، فَأَرَدْتَ الْوُثْبَ مَرَارًا ، كُلَّ ذَلِكَ لَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ . فَاسْتَبَانَ لِي أَنْ حَالِي قَدْ تَغَيَّرَتْ ، وَزَهَدٌ فِي الْجُرْدَانِ ، وَسَمِعْتُ بَعْضَهُنَّ يَقُولُ لِبَعْضٍ : قَدْ هَلَكَ هَذَا آخِرُ الدَّهْرِ ، فَانصَرِفْ عَنْهُ ، وَلَا تَطْمَعَنَّ فِيهَا عِنْدَهُ ؛ فَإِنَّا لَا نَرَاهُ يَقْوَى عَلَى مَا كَانَ يَفْعَلُ ، بَلْ نَحْسَبُهُ سَيَحْتَاجُ إِلَى مَنْ يَعُولُهُ . فَتَرَكَنِي وَلَحِقَنُ بِأَعْدَائِي وَمَنْ كَانَ يَحْسُدُنِي ، فَأَخَذَنُ فِي انْتِقَاصِي عَنْهُمْ ، وَجَعَلَنُ لَا يُقَرِّبُنِي وَلَا يَلْتَفِتُنِي إِلَيَّ . فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : مَا أَرَى التَّبَعُ وَالْإِخْوَانَ وَالْأَهْلَ إِلَّا مَعَ الْمَالِ ، وَلَا تَظْهَرُ الْمُرُوءَةُ وَالرَّأْيُ وَالْمُودَّةُ إِلَّا بِهِ ؛ فَإِنِّي وَجَدْتُ مَنْ لَا مَالَ لَهُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَنَاوَلَ أَمْرًا ، قَعَدَ بِهِ عَنْهُ الْعُدْمُ ، كَالْمَاءِ الَّذِي يَبْقَى فِي الْأَوْدِيَةِ عَنْ مَطَرِ الصَّيْفِ ، فَلَا هُوَ إِلَى بَحْرٍ وَلَا إِلَى نَهْرٍ ، فَيَبْقَى فِي مَكَانِهِ لِأَنَّهُ لَا مَادَّةَ لَهُ . وَوَجَدْتُ مَنْ لَا إِخْوَانَ لَهُ فَلَا أَهْلَ لَهُ ، وَمَنْ لَا وَلَدَ لَهُ فَلَا ذِكْرَ لَهُ ، وَمَنْ لَا عَقْلَ لَهُ فَلَا دُنْيَا لَهُ وَلَا آخِرَةَ ، وَمَنْ لَا مَالَ لَهُ فَلَا عَقْلَ لَهُ ؛ لِأَنَّ الرَّجُلَ إِذَا أَصَابَهُ الضَّرُّ وَالْحَاجَةُ رَفَضَهُ إِخْوَانُهُ ، وَقَطَعَ ذَوُو قَرَابَتِهِ وَدَّهُ ، وَهَانَ عَلَيْهِمْ ، وَاضْطَرَّتْهُ الْمَعِيشَةُ وَمَا يَبْعَالُجُ مِنْهَا لِنَفْسِهِ وَعِيَالِهِ إِلَى التَّمَسُّكِ بِالرِّزْقِ فِيمَا يُغَرَّرُ فِيهِ بِنَفْسِهِ وَدِينِهِ وَهَلَاكَ آخِرَتُهُ ؛ فَإِذَا هُوَ قَدْ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ . فَلَا شَيْءَ أَشَدَّ مِنْ الْفَقْرِ ؛ فَإِنَّ الشَّجَرَةَ النَّابِتَةَ فِي السِّبَاخِ الْمَأْكُولَةِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ أَمْثَلُ حَالًا مِنَ الْفَقِيرِ الَّذِي يَحْتَاجُ إِلَى مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ . فَالْفَقِيرُ رَأْسُ كُلِّ بَلَاءٍ ، وَدَاعِيَةُ الْمَقْتِ إِلَى صَاحِبِهِ ، وَهُوَ مَسْلَبَةٌ لِلْعَقْلِ وَالْمُرُوءَةِ ، وَمَذْهَبَةٌ لِلْعِلْمِ وَالْأَدَبِ ، وَمَعْدَنٌ لِلتَّهْمَةِ ، وَمَجْمَعَةٌ لِلْبَلَايَا . وَمَنْ نَزَلَ بِهِ الْفَقْرُ لَمْ يَجِدْ بَدَأًا مِنْ تَرَكَ الْحَيَاءَ وَتَضْيِيعَهُ ، وَمَنْ ذَهَبَ الْحَيَاءُ مِنْهُ ذَهَبَ سِرُّهُ * وَمُرُوءَتُهُ ، وَمَنْ ذَهَبَتْ مُرُوءَتُهُ مُقِيَّتٌ ، وَمَنْ مُقِيَّتٌ أَوْذِي ، وَمَنْ أَوْذِي حَزِنٌ ، وَمَنْ حَزِنٌ فَقَدْ فَقَدَ عَقْلَهُ وَاسْتَنَكَرَ فَهْمَهُ وَحِفْظَهُ ، وَمَنْ أُصِيبَ فِي ذَلِكَ كَانَ أَكْثَرُ قَوْلِهِ عَلَيْهِ لَا لَهُ . وَوَجَدْتُ الرَّجُلَ إِذَا افْتَقَرَ أَتَّهَمَهُ مَنْ كَانَ لَهُ مُؤْتَمِنًا ، وَأَسَاءَ بِهِ الظَّنَّ مَنْ كَانَ يَظُنُّ بِهِ حَسَنًا ؛ فَإِنْ أَذْنَبَ غَيْرُهُ كَانَ لِلتَّهْمَةِ مَوْضِعًا . وَلَيْسَ مِنْ خَلَّةٍ هِيَ لِلْغَنِيِّ مَدْحٌ إِلَّا وَهِيَ لِلْفَقِيرِ ذَمٌّ ؛ فَإِنْ كَانَ جَوَادًا سُمِّيَ مُفْسَدًا ، وَإِنْ كَانَ حَلِيمًا سُمِّيَ ضَعِيفًا ، وَإِنْ كَانَ وَقُورًا سُمِّيَ بَلِيدًا . وَإِنْ كَانَ لَسِينًا سُمِّيَ مَهْذَارًا ، وَإِنْ كَانَ صَمُوتًا سُمِّيَ عَيْبًا . فَلَا مَوْتَ أَهْوَنَ مِنَ الْفَاقَةِ الَّتِي تَضْطَرُّ صَاحِبُهَا إِلَى الْمَسْأَلَةِ ، وَتَضَعُ الْمَرْءَ بِمَوَاضِعِ الْهَوَانِ ، وَتَدْنِيهِ بَعْدَ ارْتِفَاعِهِ ،





ونقصيه بعد تَقْرِيه، وَتَبْعِدَه
بعد تَوَسُّطَه، وَتُرْزِي بِهِ وَتَمَقُّتَه
بعد الحُبَّة؛ وَلَا سِيَّما مَسْأَلَةُ
الْأَشِحَّاءِ الْأَدْنِيَاءِ الْوُءَاءِ؛ فَإِنَّ
الْكَرِيمَ لَوْ كَلَّفَ أَنْ يُدْخَلَ
يَدَهُ فِي فَمِ الثَّنِينِ فَيَسْتَخْرِجَ
مِنْهُ سُمًّا فَيَتَلَعَهُ كَانَ أَخْفَى
عَلَيْهِ مِنَ الطَّلَبِ إِلَى اللَّثِيمِ. وَقَدْ
قِيلَ: مَنْ أَبْطَلِيَ بِمَرَضٍ فِي جَسَدِهِ
لَا يَفَارِقُهُ، أَوْ بِفِرَاقِ الْأَحَبَّةِ
وَالْإِخْوَانِ، أَوْ بِالْغُرْبَةِ حَيْثُ لَا
يَعْرِفُ مَبِيتًا وَلَا مَقِيلًا وَلَا يَرْجُو
إِيَابًا، أَوْ بِفَاقَةِ تَضَطُّرِّهِ إِلَى
الْمَسْأَلَةِ، فَالْحَيَاةُ لَهُ مَوْتٌ،
وَالْمَوْتُ لَهُ رَاحَةٌ. وَرَبَّمَا كَرِهَ
الرَّجُلُ الْمَسْأَلَةَ وَبِهِ حَاجَةٌ فَحَمَلَهُ
ذَلِكَ عَلَى السَّرِقَةِ وَالْغَضَبِ،
وَهُمَا شَرٌّ مِنَ الَّتِي زَاغَ عَنْهَا؛ فَإِنَّهُ
قَدْ كَانَ يَقَالُ: الْخَرَسُ خَيْرٌ مِنْ

لَأَمْرٍ مَا أَعْطَتْ هَذِهِ الْمَرْأَةُ سَمْسَمًا
مَشْشُورًا بِغَيْرِ مَقْشُورٍ



وان الضيف احتفر الجحر واستخرج الدنانير

اللَّسَنُ الْمُطَعَّمُ بِالْكَذِبِ، وَالْعَيْنُ خَيْرٌ مِنَ الْعَاهِرِ، وَالْفَاقَةُ وَالْفَقْرُ خَيْرٌ مِنَ النِّعْمَةِ وَالسَّعَةِ مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ، وَالْاجْتِهَادُ فِي الْكَفَافِ خَيْرٌ مِنَ الْإِسْرَافِ وَالتَّبَذِيرِ فِيمَا لَا يَحِلُّ.

وقد كنت رأيتُ الضيف حين أخرج الدنانير من الجحر قاسمها الناسك، ثم وضع نصيبه منها في خريطة* عند رأسه. فطمعت أن أصيب منها شيئاً أرّده به بعض قوّتي ويراجعني به أصدقائي، فانطلقت وهو نائم حتى كُتِبَتْ** منه. فاستيقظ لحركتي، وإلى جانبه قضيب، فضربني به على رأسي ضربة فأوجعني فسعيت إلى جحري حتى دخلته. فلما سكن عني ما كان بي من الوجع نازعني الجرص والشَّره، وغلباني على عقلي فدببت بمثل طمعي الأول، حتى دنوت

.. وقتت على مقربة .

.. وعاء من جلد أو غيره يجعل كالصرة .

منه وهو يرصّديني. فعاد لي بضربة أخرى على رأسي سالت منها الدماء، وانقلبت ظهراً لبطن، وانجمرت حتى دخلت جُحري مَغْشِيّاً عليّ لا أعقل ولا أدري. وأصابني من الوجع والفرع ما بَغَضَ إليّ المال حتى إني لأسمع بذكره فُيْدَاخِلُنِي منه رُعبٌ ودُعر. ثم ذكرتُ فوجدتُ البلايا في الدنيا إنما يسوقها إلى صاحبها الحرص والشره فلا يزال صاحبها يتقلّب في تعب منها، ورأيت بين السخاء والشحّ تفاوتاً بعيداً، ووجدت ركوب الأهوال الشديدة وتَجشّم الأسفار البعيدة في طلب الدنيا أهونَ على المرء من بسط يده بالمسألة، ووجدت الرضا والقُنوع هما جميع الغنى؛ وسمعت العلماء يقولون: لا عقل كالتيدير، ولا وَرَع كالكَفّ، ولا حَسَب كحُسْن الخُلُق، ولا غِنَى كالقناعة. وأحقُّ ما صُبِرَ عليه ما ليس إلى تغييره سبيل. وكان يقال: أَفْضَلُ الْبِرِّ الرَّحْمَةُ، ورَأْسُ الْمَوَدَّةِ الْإِسْتِرْسَالُ، وأنفعُ العقل المعرفة بما يكون وما لا يكون، وطيبُ النفس وحُسْنُ الانصراف عما لا سبيل إليه. فصار أمري إلى أن قَبِعْتُ ورضيت. وانتقلت من بيت الناسك إلى البرية .

وكان لي صديق من الحمام فساق إليّ بصداقتها صداقةً هذا الغراب، فذكر لي الغرابُ ما بينك وبينه وأخبرني أنه يريد أن يأتبك، فأحببت أن أراكِ معه، وكرهت الوحدة؛ فإنه ليس من سرور الدنيا شيء يَعدِلُ صُحبةَ الإخوان، ولا فيها غَمٌ يَعدِلُ فَقْدَهُم. وقد جَرَّبْتُ وعرفت



فانطلقت وهو نائم
حتى دنوت منه ،
فاستيقظ لحركتي

أنه لا ينبغي لأحد أن يلمس من الدنيا طلباً فوق الكفاف الذي يدفع به الحاجة والأذى عن نفسه، وذلك يسيراً إذا أُعِين بسعة يدٍ وسخاء نفس. فأما ما سوى ذلك ففي مواضعه ليس له منه إلا ما لغيره من حظ العين. ولو أن رجلاً وهبت له الدنيا بما فيها لم ينتفع من ذلك إلا بالقليل الذي يكف به الأذى عن نفسه، فأما ما سواه ففي مواضعه لا يناله. فأقبلت مع الغراب على هذا الرأي، وأنا أخ لك فلتكن كذلك منزلي عندك .

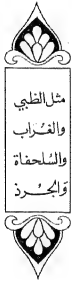
فلما فرغ الجرد من مقاتله أجابته السلحفاة بكلام لطيف رقيق فقالت له : قد سمعت مقالتك فأحسین بها مقالته وأكریم بها ؛ غير أنني رأيتك تذكر بقايا أمور ، في نفسك منها ومن اغترابك شيء ، فتناس ذلك ولا تكونن من رأيك ، واطرحه عنك ، واعلم أن حسن القول لا يكون إلا بالعمل ؛ فإن المريض الذي قد علم دواءه ، إذا هو لم يتعالج به لم ينتفع بما سوى ذلك ، ولم يجد له راحة ولا شفاء . فاستعمل علمك ، ولا تحزن لقلّة مالك ؛ فإن الرجل ذا المروءة قد يُكرم على غير مال ، كالأسد الذي يُهاب وإن كان رابضاً ؛ والغني الذي لا مروءة له يُهان وإن كثر ماله ، كالكلب الذي يُهان وإن طوّق وخلخل . ولا تُكبرن في نفسك اغترابك ؛ فإن العاقل لا غربة عليه ولا وحشة ، ولا يتغرب إلا ومعه ما يكفي به من علمه ومروءته ، كالأسد الذي لا يتقرب إلا ومعه قوته التي بها يعيش حيثما توجه . ولتحسين تعهدك لنفسك فيما تكون به للخير أهلاً ؛ فإنك إذا فعلت ذلك أتاك الخير يطلبك ، كما يَلْتَمِسُ الماء المتطامن من الأرض ، وكما يطلب طير الماء الماء . وإنما جعل الفضل للبصير الحازم المتفقد ، فأما الكسلان المتردد المدافع المتواكل فإن الفضل قلما يصحبه ، كما لا تطيب المرأة الشابة نفسها بصحبة الشيخ الهرم . ولا يحزنك أن تقول : كنت ذا مال فأصبحت مُعْدِمًا ؛ فإن المال وسائر متاع الدنيا سريع إقباله إذا أقبل ، وشيك إداره إذا أدبر ؛ كالكرة ، فإن ارتفاعها وإقبالها وإدبارها ووقوعها سريع . وقد قالت العلماء في أشياء ليس لها ثبات ولا بقاء : ظلّ الغمام ، وصحبة الأشجار ، وعشق النساء ، والثناء الكاذب ، والمال الكثير . فإنه ليس يفرح عاقل بكثرة ماله ، ولا يحزن لقلته ؛ ولكن الذي ينبغي أن يفرح به ، عقله وما قدّم من صالح عمله ؛ لأنه واثق أنه لا يُسلب ما عمله ، ولا يؤاخذ بغيره . وهو حقيق ألا يغفل عن أمر آخرته ، والتردد لها ؛ فإن الموت لا يأتي إلا بغتة ، وليس بينه وبين أحد وقت معلوم . وأنت غني عن موعظتي ، وبما ينفعك بصير ؛ ولكن قد رأيت أن

كما لا تطيب المرأة الشابة
بصحبة الشيخ الهرم



أقضي من حقك الذي يجب، وأنت أخونا فما قبلنا لك مبدول .

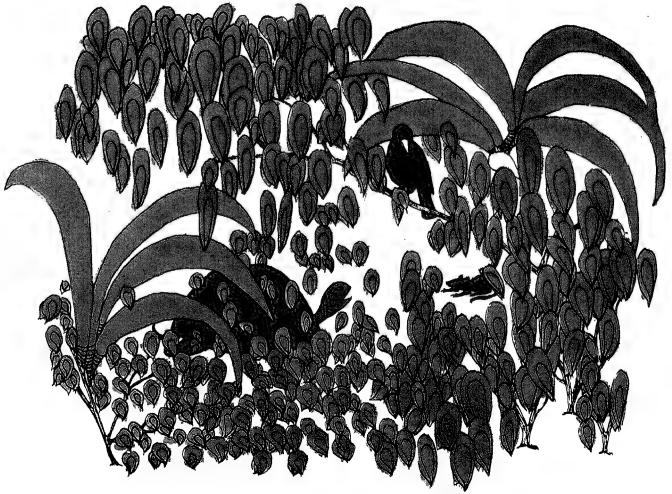
فلما سمع الغراب ذلك من قول السلحفاة وردّها على الجردّ وإطافها إيّاه وحسن مقالتها، سرّه ذلك وأفرجه وقال: لقد سررتني وأنعمت عليّ، ولطالما فعلت. وأنت جديرة أن تفرح نفسك مما لهجت لك به؛ فإنّ أوّل أهل الدنيا بطيب العيش وكثرة السرور وحسن الثناء، من لا يزال رحله موطوءاً من إخوانه وأصدقائه، وتعاهدهم؛ فإنّ الكريم إذا عثر لم يستقلّ إلاّ بالكرام؛ كالقيل إذا وحل لم يستخرجه إلاّ القيلة. ولا يرى العاقل معروفاً يصطنعه كثيراً وإن كثر. وإن خاطر نفسه وغرّر بها في بعض وجوه المعروف، لم ير ذلك عيباً؛ بل يعلم أنه إنما باع الفاني بالباقي، واشترى العظيم بالصغير. وأغبط الناس أكثرهم مستجيراً وسائلاً منجحاً. ولا يعدّ غنياً من لا يشارك في ماله، ولا عاش من كان عيشه من فضله مؤثراً. ولا يعدّ الغرم غرمًا إذا ساق غنماً، ولا الغنم غنماً إذا ساق غرمًا .



فبينما الغراب في كلامه إذ أقبل ظبيٌ نحوهم يسعى. ففرّعوا منه، ودخل الجرد جحرًا، وطار الغراب فوقع على الشجرة، وغاصت السلحفاة في الماء. وانتهى الظبي إلى الماء فشرب قليلاً ثم قام مدعوراً. فحلّق الغراب في جو السماء لينظر هل يرى للظبي طالباً. فلما لم ير شيئاً نادى

الجرذ والسُلحفاة ليخرجا وقال لهما : لست أرى ههنا شيئاً تخافانه . فخرجا واجتمعوا فقالت السلحفاة للطبي ، حين رآته ينظر إلى الماء ولا يقرّبه : اشرب إن كان بك عطش ولا تخف ؛ فلا بأس عليك . فدنا الطبي منها وحيّاها . فقالت : من أين أقبلت ؟ فقال : كنت أكون في هذه البرية ، فلم يزل الأساورة^٥ يطردوني من مكان إلى مكان . ورأيت اليوم شبحاً فأشفقتُ أن يكون قانصاً فأقبلتُ ههنا مذعوراً . فقالت السلحفاة : لا تخف ؛ فإننا لم نر القنّاص فيما ههنا قط . فكن معنا ونحن نبذل لك وُدنا ، والمرعى قريب منا . فرغب في صحبتهم وأقام معهم .

وكان هنّ عريش من الشجر فكُنْ يأتينه كل يوم يجتمعن فيه ويلهون ويتحدثن ويتذاكرون الأمور . ثم إن الغراب والسلحفاة والجرذ اجتمعن يوماً في العريش ، وغاب الطبي عنهنّ فتوقعنه . فلما أبطأ عليهنّ أشفقن أن يكون أصابته آفة . فقالت السلحفاة والجرذ للغراب : انظر هل تراه في شيء مما يلبنا . فحلّق الغراب في الهواء فإذا هو بالطبي في حبال القنّاص . فانقضّ مسرعاً حتى أخبرهنّ . فقال الغراب والسلحفاة للجرذ : هذا أمر لا نرجو فيه غيرك ؛ فأغث أخانا وأخاك . فخرج يسعى فأنتهى إليه فقال له : كيف وقعت في هذه الورطة وأنت من الأكياس ؟ فقال : وهل يُعني الكيسُ مع القدر المعيب الذي لا يرى فيُتوقّى ؟ فبينما هما في تحاورهما إذ وافت السلحفاة . فقال لها الطبي : ما أصبت بمجيتك إلينا ههنا ؛ فإن القانص إن هو انتهى إلينا ، وقد فرغ الجرذ من قطع حباله ، سبقته حُصراً ، وللجرذ معاقل كثيرة في الجحرة^٦ ، والغراب يطير ، وأنت ثقيلة لا سعي لك ، وأنا أشفق عليك . فقالت السلحفاة : لا خير في العيش بعد فراق الأحبة ، وإن من المعونة على تسليّة الهَمّ وسكون النفس - عند نزول البلاء - لقاء المرء أخاه ، وإفضاء كل واحد منهما إلى صاحبه . وإذا فُرق بين الأليف وإلفه فقد سلب سروره ، وغُشي على بصره . فلم تفرغ السلحفاة من كلامها حتى طلع القانص . ووافق ذلك قطع الجرذ الشبكة عن الطبي ؛ فانبحر الجرذ ، وطار الغراب ، ونجا الطبي . فلما دنا من حباله ورآها مقطوعة ، عجب وجعل ينظر فيما حوله ، فلم ير غير السلحفاة فأخذها واستوثق منها . واجتمع الغراب والطبي والجرذ ينظرون إليه وهو يربطها ، فاشتد حزنهنّ لذلك ، فقال الجرذ : ما نرى أنا نجاوز من البلاء عقبة



فلما سمع الغراب قول السُّلْحَفَاء سره ذلك

إِلَّا وَقَعْنَا فِي أُخْرَى؛ لَقَدْ صَدَقَ الَّذِي يَقُولُ: لَا يَزَالُ الْمَرْءُ مُسْتَقْبِلًا مَا لَمْ يَعْثُرْ فَإِذَا هُوَ عَثَرَ لَجَّ
بِهِ الْعِثَارُ وَلَوْ مَشَى فِي جَدَدٍ °. وَمَا كَانَ شُؤْمِي الَّذِي فَرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَ قُطَيْبِي ° وَأَهْلِي وَمَالِي وَوَلَدِي،
لِيَرْضَى حَتَّى يَفْرُقَ بَيْنِي وَبَيْنَ مَا كُنْتُ أَعِيشُ فِيهِ مِنْ صَحْبَةِ السُّلْحَفَاءِ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مُوَدَّتْهَا لِلْمَجَارَاةِ
وَلَا لِالْتِمَاسِ الْمَكَافَأَةِ، وَلَكِنَّهَا نَخَلَةُ الْكَرَمِ وَالْوَفَاءِ وَالْعَقْلِ، وَمُوَدَّتْهَا أَفْضَلُ مِنْ مُوَدَّةِ الْوَالِدِ وَلَدِهِ،

° ° القطين: أهل الدار، ج قاطن .

° طريق عظيمة .

المودَّةُ التي لا يزِيلُها إلَّا الموتُ . يا وَيْحَ هذا الجسدِ الموكَّلِ به البلاء ! الذي لا يزالُ في تصرُّفٍ
وتقلُّبٍ لا يدومُ له شيءٌ ولا يلبثُ معه ، كما لا يدومُ لطالعُ النجومِ طلوعُها ، ولا لآفلِها أفلُها ،
ولكنها في تقلُّبٍ ؛ فلا يزالُ الطالعُ آفلًا ، والآفلُ طالعًا ، والمُشرقُ مُغربًا ، والمُغربُ مُشرقًا . وهذا
الحُزنُ الذي أنا فيه وتذكُّري إخواني كالجُرحِ المندملِ تصيبه الضربة فيجتمع على صاحبها ألمان :
ألم الضربة وألم انتقاض الجُرح . وكذلك مَنْ خَفَّتْ كلومُه للقاء إخوانه ، ثم فقدهم ، انتكأت
قروحه .

فقال الغراب والظبي : حُزننا وحُزنك وكلامنا وكلامك ، وإن كان بليغًا ، لا يُغني عن
السَّلْحَافَةِ شيئًا ، فدع هذا والتمس المخرَجَ والحيلة ؛ فإنه قد كان يقال : إنما يُختَبَرُ ذو البأسِ
عند اللقاء ، وذو الأمانة عند الأخذ والإعطاء ، والأهلُ والولد عند الفاقة ، والإخوانُ عند النوائب .
فقال الجرذ : إنَّ مِنَ الحيلة أن تذهب أنت أيها الظبي ، حتى تكون بصددٍ من طريق القانص ،
فترِصَ كأنك جريح مُثَبَّت ، ويقع الغراب عليك كأنه يأكل منك ، وأتبعه فأكون قريبًا منه ؛
فإني أرجو ، لو نظر إليك ، أن يضع ما معه من قوسه ونُشَابِه يضع السَّلْحَافَةَ ويسعى إليك ؛
فإذا هو دنا منك ففِرَّ عنه متظالِعًا حتى لا ينقطع طمعه فيك ، وأمكنه مرارًا حتى يدنو إليك ،
ثم امدد به على هذا النحو ما استطعت ؛ فإني أرجو ألا ينصرف إلَّا وقد قطعَ الحبل عن
السَّلْحَافَةَ ونخلَصَتهَا . ففعل الظبي ذلك هو والغراب ، فأتبعه القانص طويلاً ثم انصرف وقد قطع
الجرذ وثاق السَّلْحَافَةَ ، ونجَّوْنَ جميعاً . فلما رأى ذلك القانصُ ورأى حباله مقطوعة ، فكَّرَ في
أمر الظبي المتظالِع ، والغرابِ الواقع عليه كأنه يأكل منه وليس يأكل ، وتقريضِ حباله قبل

ووافق ظهور القانص قطع الجرذ الشبكة على
الظبي ، فانجحر الجرذ وطار الغراب ونجا الظبي



ذلك عن الظبي، فاستوحش وقال: إن هذه إلا أرضٌ سحريةٌ أو جنٌّ. فانصرف مذعوراً مولىً لا يلتمس شيئاً ولا يلتفت إليه. واجتمع الغراب والظبي والجرذ والسحفاة إلى عرائشهنَّ آمناً .

ثم قال الفيلسوف للملك: فإذا بلغت حيلةً أضعف الدوابَّ والطير وأهونها، في معاونة بعضهم بعضاً، ومواتيهم، وجمعتهم فيما بينهم، وصبرهم على ما خلص به بعضهم بعضاً من أعظم البلاء وأهوله وأفظعه، فكيف بالناس لو فعلوا مثل ذلك وتراقدوا فيه؟ إذاً كان يصل إليهم من منفعة ذلك ومرفقه في جرّ الخير وإجرائه ودفع السوء، ما لا خطر له ولا عدل .

فاذهب أبها الظبي أمام القانص كأنك جريح، ويقع الغراب
كأنه يأكل منك







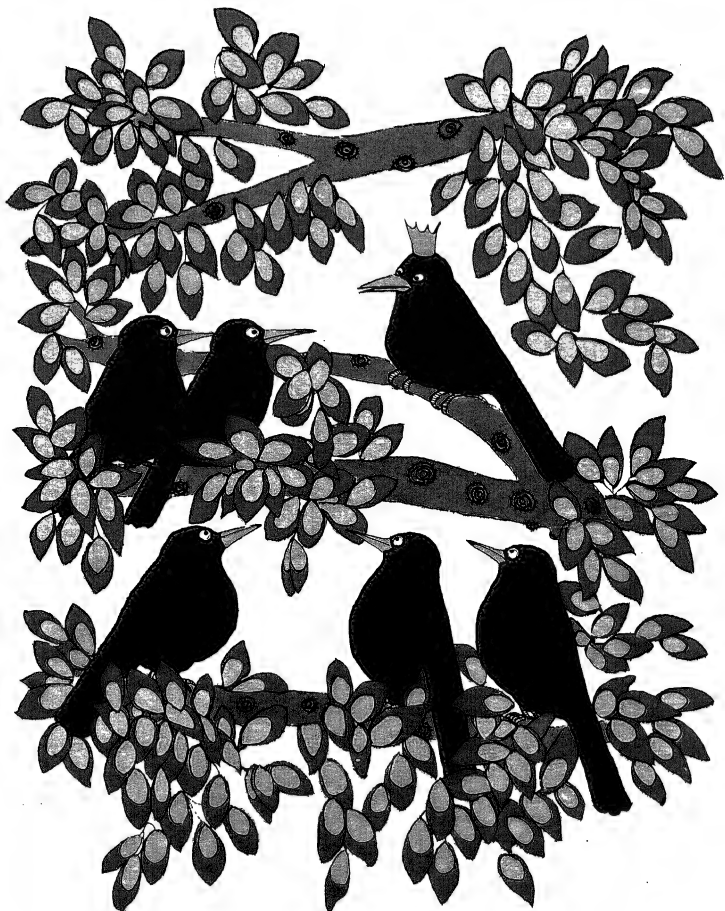
قال الملك للفيلسوف: قد فهمتُ ما ذكرتَ من أمر الإخاء ومنفعته وعظم الفائدة فيه. فاضرب لي مثل المغترّ بالعدوِّ المُبدي التضرّع، وأخبرني عن العدوِّ هل يصير صديقاً؟ وهل يوثق بشيء منه؟ وكيف العداوة؟ وما ضرُّها؟ وكيف ينبغي للملك أن يصنع إذا أتاه أمر من عدوِّه ومن أهل المنازعة يلتبس به الصلح، وهو في نفسه غير أمين ولا حقيق بالطمأنينة.

قال الفيلسوف: ليس أحدٌ بحقيق، إذا أتاه أمر من عدوِّه الذي يتخوفه على نفسه وجنوده وإن كان يلتبس الأمان والصلح ويظهر المودة لجنده والسلامة لأصحابه، أن يثق به ولا يطمئن إليه ولا يُعترّ بقوله؛ فإنه قد يكون بأشبه ذلك يطلب النُّهْزة* والفرصة. ومثل العدوِّ الذي لا ينبغي أن يُعترّ به، وإن هو أظهر المودة والصفاء، ومن يَستَرسِل إلى عدوِّه ويطمئن إليه فيصيبه الشرُّ ما أصاب البوم من الغربان. قال الملك: وكيف كان ذلك؟ قال الفيلسوف:

زعموا أَنَّ أرضاً تُسمَّى كذا وكذا، كان حولها جبل عظيم محيطٌ بها، وكان فيه شجرة عظيمة كثيرة الغصون شديدة الالتفاف يقال لها يُمُروُد^١، وكان فيها وَكْرٌ أَلِفِ غراب، وبنَّ مَلِكٌ منهم؛ وكان في ذلك الجبل وكر أَلِفٍ من البوم. فخرج ملك اليوم ذات ليلة، لعداوة بين اليوم والغربان، فوقعت البوم على الغربان فأكثرن فيهنَّ القتل والجرح، ولم يعلم ملك الغربان بذلك حتى أصبح. فلما كان الغد، ورأى ما لقي جندُه، اهتمَّ وحزن وقال: يا معشر الغربان ! قد ترون ما لقينا من البوم، وما أصابنا منهم، وأشدُّ مما أصابكنَّ جرَّاتهنَّ عليكنَّ، ومعرفتهنَّ مكانكنَّ، وأنا متخوِّف من كرَّتهنَّ بمثلها أو أشدَّ منها عليكنَّ .

وكان في الغربان خمسة دَوو رفيع وعلم، ونظَّر في الأمور، ومعرفة بحسن الرأي والحيلة، وكان الملك يشاورهم وينتهي إلى رأيهم. فقال الملك للأول من الخمسة: قد كان ما رأيت، ولسنا نأمن رجعتهم، فما الحيلة؟ فقال: الحيلة في الذي كانت العلماء تقول؛ فإنهم كانوا يقولون: ليس للعدوِّ الحَيِّق الذي لا يطاق إلَّا الهربُ منه والتباعدُ عنه. ثم سأل الملك الثاني، فقال: ما رأيك أنت؟ قال: أما ما أشار به هذا عليك فلا أراه حَزْماً؛ ولا ينبغي لنا أن نفرَّ من بلادنا ونذلَّ لعدونا عند أوَّل نكبة؛ ولكن نُجمع أمرنا، ونستعدَّ لعدونا، ونذكي العيون ما بيننا وبينهم، ونحترسُ من الغرَّة^٢ والعودة؛ فإذا أقبل علينا عدونا لقيناه مستعدين لقتاله، فقاتلناه مزاحفة تلقى أطرافنا أطرافه، ونحترز منه تحرّزاً حصيناً، وندافع الأيام^٣ حتى نصيب منه غرَّةً ولعلنا نظفر به. ثم قال الملك للثالث: ما ترى فيما قال صاحبك؟ قال: لم بقولا شيئاً. ولَعَمري ما مدافعة الأيام والليالي بمستقرِّ لنا فيما بيننا وبين البوم، وما الرأي إلَّا أن نذكي العيون^٤ والطلائع بيننا وبين العدو، وننظر هل يقبلنَّ صلحاً أو فدية أو خراجاً نؤدِّيهنَّ، وندفعُ عن أنفسنا خوفهنَّ، ونأمنُ في أوطاننا وأوكارنا؛ فإنَّ من الرأي للملوك، إذا اشتدت شوكة عدوهم وخافوا على أنفسهم

وكان ملك الغربان يشاور ذوي الرأي من أتباعه

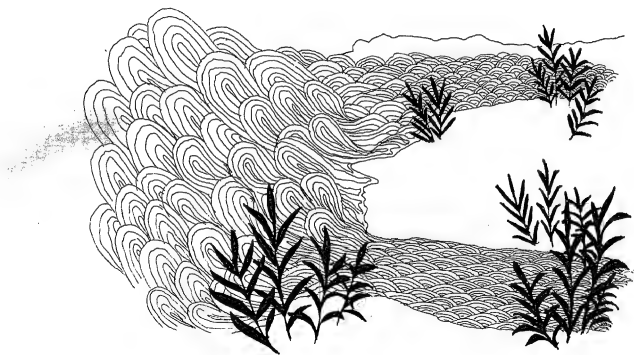


ورعينهم الهلكة والفساد، أن يجعلوا الأموال جنة للرعية والبلاد. فقال الملك للراعي: ما رأيك أنت فيما قال صاحبك، والصلح الذي ذكر هذا؟ قال: لا أرى ذلك. بل ترك أوطاننا والاصطبار على الغربة وشدة المعيشة، أحب إلينا من وضع أحسابنا، والخضوع لعدونا الذي نحن خير منه وأشرف؛ مع أنني قد عرفت أننا لو عرضنا ذلك عليهن لم يقبلن إلا بالاشتطاط. وقد يقال: قارب عدوك بعض المقاربة تنل منه حاجتك، ولا تقاربه كل المقاربة فيجترى عليك بها، ويضعف ويدل لها جندك. ومثل ذلك مثل الخشبة القائمة في الشمس؛ فإن أملتها قليلا زاد ظلها، وإن جاوزت الحد في إمالتها ذهب الظل. وليس عدونا براص منا بالدون في المقاربة؛ فالرأي لنا المحاربة والصبر. فقال الملك لل خامس: ما رأيك أنت؟ أالصلح أم القتال أم الجلاء؟ قال: أما القتال فلا سبيل إلى قتال من لا تقاربه في القوة والبطش؛ فإنه من أقدم على عدوه استضعافاً له اغتر، ومن اغتر أمكن من نفسه ولم يسلم. وأنا للبوم شديد الهيبة ولو أنها أضربت عن قتالنا. وقد كنا نهابها قبل إيقاعها بنا؛ فإن العاقل لا يأمن عدوه على كل حال: إن كان بعيداً لم يأمن من معاودته، وإن كان متكشفاً لم يأمن استطراده، وإن كان قريباً لم يأمن موابته، وإن كان وحيداً لم يأمن مكره. وأكيس الأقوام من لم يكن يلتمس³ الأمر بالقتال ما وجد إلى غير القتال سبيلاً؛ فإن النفقة في القتال من الأنفس، وغير ذلك إنما النفقة فيه من الأموال. فلا يكون قتال اليوم من شأنكم؛ فإن من يواكل القيل يواكل الحيف⁴. قال الملك: فما ترى إذ كرهت ذلك؟ قال: نأتمر ونتشاور؛ فإن الملك المشاور المؤامر، يصيب في مؤامره ذوي العقول من نصحاؤه، من الظفر، ما لا يصيبه بالجنود والزحف وكثرة العدد. فالملك الحازم يزداد بالمؤامرة والمشاورة ورأي الوزراء الحزمة، كما يزداد البحر بمواده من الأنهار. ولا يخفى على الحازم قدر أمره وأمر عدوه، وفرصة قتاله، ومواضع رأيه ومكائده. ولا ينفك يعرض الأمور على نفسه أمراً أمراً، يترى في الإقدام على ما يريد منها، والأعوان الذين يستعين بهم عليها، والتعد التي يعد لها؛ فن لا يكون له رأي في ذلك ولا نصيحة من الوزراء الذين يقبل منهم، لم يلبث، وإن ساق القدر إليه حظاً، أن يصبح أمره؛ فإن الفضل المقسوم لم يقيض للجمال ولا للحسب⁵ ولكنه وكل بالعاقل المستمع من ذوي العقول. وأنت أيها الملك كذلك، وقد استشرتني في أمر أريد أن أجيبك في بعضه علانية، وفي بعضه سراً. أما ما لا أكره أن أعلنه، فإني، كما لا أرى القتال،

لا أرى الخضوع بالخراج، والرضا بذلّ الدهر؛ فإنّ العاقل الكريم يختار الموت كريماً محافظاً، على الحياة خزيان ذليلاً. وأرى أن تؤخّر النظر في أمرنا، ولا يكوننّ من شأنك التثبط والتهاون، فإنّ التهاون رأس العجز. وأما ما أريد إسراره فليكن سرّاً؛ فإنه قد كان يقال: إنما يُصيب الملوكة الظفر بالحزم، والحزم بأصالة الرأي، والرأي بتحصين الأسرار. وإنما يُطلّع على السرّ من قبل خمسة: من قبل صاحب الرأي، ومن قبل مُشاوَره، ومن قبل الرسل والبُرد، ومن قبل المستمعين الكلام، ومن قبل الناظرين في أثر الرأي ومواقع العمل بالتشبيه والتنظي. ومن حصّن سرّه فإنه، من تحصينه إياه، في أحد أمرين: إما ظفر بما يريد، وإما سلامة من عيبه وضرّه إن أخطأه ذلك. ولا بدّ لمن نزلت به نائبة من استشارة الناصح، وطلب من يعاونه على الرأي؛ ويُفضي إليه؛ فإنّ المستشار وإن كان أفضل من المستشار رأياً، فإنه يزداد بالمشورة رأياً وعقلاً، كما تزداد النار بالودك صُوءاً. وعلى المستشار موافقة المستشار على صواب ما يرى، والفرقُ به في تبصيره، وردّه عن خطأ رأي. - إن كان منه - وتقلبُ الرأي فيما يشكل عليه حتى يستقيم لهما سرهما. فإن لم يكن المستشار كذلك، فهو على المستشار مع عدوّه؛ كالرجل الذي يرقى الشيطان ليرسله على الإنسان، فإذا لم يُحكم الرقبة كان به يتلبّس، وإياه يأخذ. وإذا كان الملك مُحصّناً لأسراره، متخيراً للوزراء، مهيباً في أنفُس العامة، بعيداً من أن يُعلم ما في نفسه، لا يضيع عنده حسنُ بلاء، ولا يسلم منه ذو جرم، مقدراً لما يُفيد ولا ينفق، كان خليفاً ألاّ يسلب صالح ما أُعطي. والأسرار منازل؛ فمن السرّ ما يدخل فيه الرهط، ومنه ما يدخل فيه الرجال، ومنه ما يستعان فيه بالقوم. ولا أرى لهذا السرّ - في قدر منزلته - أن يشترك فيه إلاّ أربع آذان ولسانان.

فنهض الملك فخلا معه واستشاره؛ فكان مما سأله عنه أن قال: هل تعلم ما كان سببُ عداوة ما بيننا وبين اليوم؟ قال نعم! كلمة تكلم بها غرابٌ مرّة. قال الملك: وكيف كان ذلك؟ قال الغراب:

زعموا أن جماعة من الطير لم يكن لها ملك، وأنها اجتمعت آراؤها على يوم لتملكه عليها.



يزداد البحر بمواده من الأنهار

فبينما هم في ذلك إذ وقع لهم غراب فقال بعضهم: انتظرون حتى يأتينا هذا الغراب لنستشير به في أمرنا. فأتاهنَّ الغراب فاستشرنه فيما قد أجمعن عليه من تملك البوم، فقال الغراب: لو أنَّ الطير كُلُّها فُقِدَتْ وبادت وفُقِدَ الطاوس والبَطَّ والحمام والكُرْكِيُّ، لما اضْطُرَّتْ إلى تملك البوم أَقْبَحَ الطير منظرًا، وأسوئها مَخْبَرًا، وأقلَّها عقولًا، وأشدَّها غضبًا، وأبعدها رحمة؛ مع الذي بها من الزمانة^٥ والعسَى بالنهار. ومن شرِّ أمورِها سوء تدبيرها. ولا يطيق طائر يقرب منه، لصلفه وخبث نته وسوء خلقه؛ إلَّا أن ترين تملكه وتدبير الأمور دونه؛ فإنَّ الملك وإن كان جاهلاً، إذا كان يُقَدَّر على الدنو منه وكانت قرايبه ووزراؤه ورسله صالحين، نفذ أمره ورأيه واستقام

٥ الآفة .

له ملكه؛ كما فعلت الأرنب التي زعمت أن القمر مَلِكُهَا، وعملت برأيها. قال الطير: وكيف كان ذلك؟ قال الغراب:

زعموا أن أرضاً من أرض الفيلة، تابعت عليها السنون وأجذبت، فقلّ الماء في تلك البلاد وغلّارت العيون، وأصاب الفيلة عطش شديد. فشكت ذلك إلى ملكها. فأرسل الملكُ رسَلَهُ ورؤاده في التماس الماء في كل ناحية. فرجع إليه بعض رسله فأخبره بأنه وجد في بعض الأماكن عيناً تدعى القمرية، كثيرة الماء. فتوجّه ملك الفيلة بفيلته إلى تلك العين ليشربن منها. وكانت تلك الأرض أرضاً أرناب. فوطئت الفيلة الأرناب بأرجلها في جحرتها فأهلكن أكثرها. فاجتمع



مثل الأرنب
وملك الفيلة



فقال لهم الغراب: لا تملِكُوا اليوم عليكم فإنه أقبح الطير ...



البقية منها إلى ملكها فقلن له: قد علمت ما أصابنا من القبيلة، فاحتل لنا قبل رجوعهن علينا؛ فانهن راجعات لوردهن ومقنياتنا عن آخرنا. فقال ملكهن: ليحضرنني كل ذي رأي برأيه. فتقدم خُزُرٌ منها يقال له فيروز، وقد كان الملك عرفه بالأدب والرأي، فقال: إن رأى الملك أن يعنني إلى القبيلة ويبعث معي أميناً يرى ويسمع ما أقول وما أصنع ويخبره به، فليفعل. فقال له ملك الأرناب: أنت أميني، وأنا أرضى رأيك، وأصدق قولك؛ فانطلق إلى القبيلة وبلغ عني ما أحببت، وأعمل برأيك، وأعلم أن الرسول، به وبرأيه وأدبه يُعتبر عقلُ المرسل وكثيرٌ من شأنه، وعليك باللين والمواتاة؛ فإن الرسول هو يُلين القلب إذا رَفَقَ، ويخشن الصدر إذا خَرِقَ. فانطلق الأرناب في ليلةٍ، القمر فيها طالع، حتى انتهى إلى موضع القبيلة. فكره أن يدنو منهم فيطأه بأرجلهم، وإن لم يردن ذلك، فأشرف على تلٍّ فنادى ملك القبيلة باسمه وقال له: إنَّ القمر أرسلني إليك، والرسول مبلغٌ غير ملوم، وإن أغلظ في القول. فقال له ملك القبيلة: وما الرسالة؟ قال: يقول لك القمر إنه من عرف فضل قوته على الضعفاء فاغترَّ بذلك من الأقوياء، كانت قوته حيناً ووبالاً عليه؛ وإنك قد عرفت فضل قوتك على الدواب فغرك ذلك مني فعمدت إلى عيني التي تُسمى باسمي فشربت ماءها وكدرته أنت وأصحابك؛ وإني أتقدم إليك وأُنذرك ألا تأتيتها فأعشي بصرك وأتلف نفسك. وإن كنت في شك من رسالتي، فهلم إلى العين من ساعتك، فإني موافيك بها. فعجب ملك القبيلة من قول فيروز، وانطلق معه إلى العين. فلما نظر إليها رأى ضوء القمر في الماء. فقال له فيروز: خذ بخروطوك من الماء واغسل وجهك واسجد للقمر. ففعل. ولما أدخل خرطوميه إلى الماء فحرَّكه، خيل إليه أن الماء يرتعد، فقال ملك القبيلة: وما

ولما أدخل خرطوميه إلى الماء
فحرَّكه خيل إليه أن الماء يرتعد

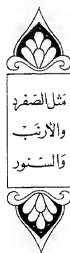
• ذكر الأرناب •



شأن القمر يرتعد ؟ أتراه غضب من إدخال جَحَفَلْتِي * في الماء ؟ قال : نعم ، فاسجد له . فسجد القليل للقمر وتاب إليه مما صنع ، وشرط له ألا يعود هو ولا أحدٌ من فيلته إلى العين .

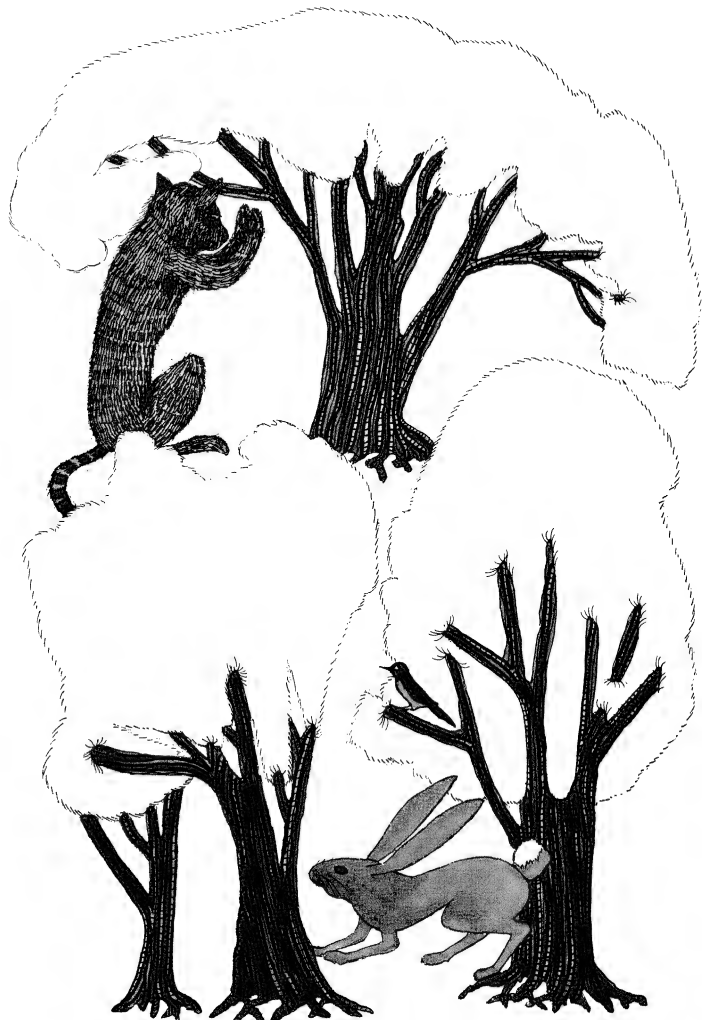
قال الغراب : ومع ما ذكرت لكم من أمر اليوم فإنَّ من شأنها الخِبَّ والخديعة . وشَرُّ الملوكة المخادع . ومن ابتلي بسلطان المخادعين أصابه ما أصاب الصَّفَرْدِ والأرنبَ اللذين حكَّما السَّوَرِ الصَّوَامَ . قالت الطير : وكيف كان ذلك ؟ قال الغراب :

كان لي جار من الصفارد ، وجحره قريب من الشجرة التي فيها وكري . وكان يُكثِر مواصلتنا ، وطال جوار بعضنا لبعض . ثم إنني فقدته فلم أدر أين غاب . وطالت غيبته عني حتى ظننت أنه قد هلك . فجاءت أرنب إلى مكانه لتسكنه فكرهت أن أخاصمها في مكان الصَّفَرْدِ ولا أدري ما فعل به الدهر . فلبثت الأرنب في ذلك المكان زماناً . ثم إنَّ الصَّفَرْدِ رجع إلى مكانه ، فلما وجد فيه الأرنب قال لها : هذا المكان مكاني ، فانتقلي عنه . قالت الأرنب : المسكن في يدي ، وأنت المدعي ؛ فإن كان لك حق فاستعدي عليّ . قال الصفرد : المكان مكاني ، ولي على ذلك البينة . قالت الأرنب : نحتاج إلى القاضي قبل البينة . قال الصفرد : ههنا قريب من القاضي ، فانطلق بنا إليه . فقالت الأرنب : ومن القاضي ؟ قال الصفرد : سنور متعب يصوم النهار ويقوم الليل ولا يؤذي دابة ولا يأكل إلّا الحشيش ، فاذهبي بنا إليه . فانطلقا ، وتبعتهما لأنظر إلى الصَّوَامِ وقضائه بينهما . فأتيا إليه هائبين له . فلما رآهما قد أقبلتا من بعيد انتصب قائماً يصلي ، فتعجبت الأرنب مما رأت منه . ولما صارا إليه دنوا منه هائبين له ، فطلبا إليه أن يقضي بينهما . فأمرهما أن يقصا قصتهما عليه ، وقال لهما : لقد أدركني الكبر وتقل سمعي فما أكاد أسمع ، فادنوا مني



فلما رآهما قادمين انتصب قائماً يصلي

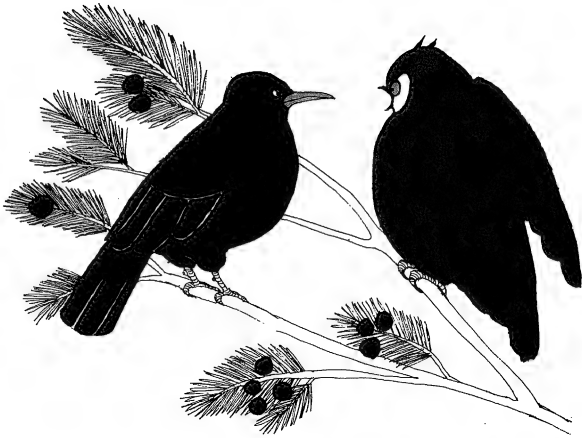
• رأس خرطومي .



لأسمع منكما. فدَنَوَا وأَعَادَا عليه قَصَّتْهُمَا. فقال: قد فهمت ما قصصتَما. وإني بادئكما بالنصيحة قبل القضاء: آمركما ألا تطلبا إلا الحق؛ فإن طالب الحق هو الذي يُفْلَحُ وإن قُضِيَ عليه، وطالب الباطل مَخْصُوم وإن قُضِيَ له. وليس لصاحب الدنيا في دينه شيءٌ، لا مالٌ ولا صديقٌ، إلا عملٌ صالح قَدَمَهُ فقط؛ والعاقل حَقِيقُ أن يكون سعيه فيما يبقى ويعودُ عليه نفعه، ويمتَنِعَ ما سوى ذلك. ومنزلة المال عند العاقل منزلةُ القُدَى، ومنزلةُ النساء منزلةُ الأفاعي، ومنزلةُ الناس عنده - فيما يحبُّ لهم من الخير ويكره لهم من الشر - منزلةُ نفسه. فلم يزل يقصُّ عليهما ويدنُوَانِ منه ويستأنسان به حتى وثب عليهما جميعاً فقتلهما.

ثم قال الغراب: واليوم تجتمع مع سائر العيوب التي وصفتُ، المكر والخديعة، فلا يكوننَ تملكِك اليوم من رأيكن. فصدرت الطير عن خُطَّةِ الغراب، ولم تُملكِ اليوم. فقال اليوم الذي كان اختير للملك: لقد وترتني أعظم الثرة، فما أدري هل سلف إليك مني سوء استحققتُ به هذا منك؟ وإلا فاعلم أن الفأس يُقَطِّعُ بها الشجرُ فتنبت وتعود، والسيف يُقَطِّعُ به اللحم والعظم فيندمل ويلتئم، واللسان لا يندمل جُرحه ولا يلتئم ما قطع، والنصل من النشابة يغيب في الجوف ثم يُنزع، وأشابه النصال من القول إذا وصلت إلى القلب لم تنزع ولم تُخرج، ولكل حريق مطفئ: للنار الماء، وللسم الدواء، وللعشق الوصال، وللحزن الصبر؛ ونار الحقد لا تحبُو. وإنكم - معشر الغرابان - قد غرستم بيننا وبينكم شجرة عداوة وحقد، هي باقية ما بقي الدهر.

ثم انصرف غضبان موتوراً. وندم الغراب على ما فرط منه، وقال في نفسه: لقد خرقتُ فيما كان من قولِي الذي جلبت به العداوة على نفسي وقومي؛ ولم أكن أحقَّ الطير بهذه المقالة، ولا أعناها بأمر مُلكها، ولعل كثيراً منها قد رأى الذي رأيت، وعلم الذي علمت، فمنعها من ذلك، الانتقام لما لم أتوقَّع، والنظرُ فيما لم أنظر فيه. ثم لا سيَّما إذا كان الكلام مواجهةً؛ فإن الكلام الذي يَستَقْبِلُ به قائله السامع عما يكره، ممَّا يورث الحقد والضغينة، ولا ينبغي له أن يسمَّى كلاماً ولكن يسمَّى سماً. فإن العاقل، وإن كان واثقاً بقوته وقوله وفضله وشدة بطشه، لا يحملُه ذلك على



وقال اليوم: إنكم معشر الغربان قد غرستم
بيننا وبينكم شجرة عداوة وحقد

أن يجني على نفسه عداوةً اتكالاً على ما عنده من ذلك؛ كما أن الرجل، وإن كان عنده الترياق
والأدوية، لا ينبغي له أن يشرب السمّ اتكالاً على ما عنده من ذلك. وإنما الفضل لأهل حُسن
العمل لا لأهل حسن القول؛ فإنّ صاحب حسن العمل، وإن قصّر به القول في بديهته، بين
فضله عند الخبرة وعاقبة الأمر. وصاحب القول، وإن هو أحسن وأعجب ببديته وحسن صفته،
لم يُحمد ذلك منه إلّا بتحقيقه بالعمل في غبّ أمره. فأنا صاحب القول الذي لا عاقبة له.
أو ليس من سفهي اجترائي على التكلم في الأمر الجسم لا أستشير فيه أحداً، ولا أروي فيه

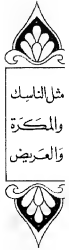
مراراً؟ وأنا أعلم أن مَنْ لم يُعْمِل رأيه بتكرار النظر، ولم يستشر النصحاء الألباء في أمره، لم يسر بمواقع رأيه، ولم يحمد غيب أمره؛ فما كان أغناني عما اكتسبت في يومي هذا وما وقعت فيه من الغم.

فعاتب الغراب نفسه بهذا ثم انطلق.

فهذا ما سألت عنه من العلة التي بدأت بها العداوة بين اليوم والغرابان. قال الملك: قد فهمتُ هذا فخذ بنا فيما نحن أحوج إليه اليوم، وأشر علينا برأيك الذي ترى أن نعمل به فيما بيننا وبين اليوم. قال الغراب: أما القتال فقد كنتَ عرفتَ رأيي فيه وكراهيتي له، وأنا أرجو أن أقدر من الحيل على بعض ما فيه الفرج؛ فإنه رُبَّ قومٍ احتالوا برأيهم في الأمر الجسم حتى ظفروا منه بحاجتهم التي لم يكونوا قدروا عليها بالمكابرة؛ كالمكرّة الذين مكروا بالناسك حتى ذهبوا بعريضه. قال الملك: وكيف كان ذلك؟ قال الغراب:

زعموا أن ناسكاً اشترى عريضاً ضخمًا ليجعله قُرْبَانًا، فانطلق به يقوده، فبصر به قوم مكرّة فأعمروا ليخدعوه عنه، فعرض له أحدهم فقال له: أيها الناسك، ما هذا الكلب معك؟ ثم عرض له آخر فقال: إني لأظن أن هذا الرجل الذي عليه لباس النسك، ليس بناسك؛ فإنّ الناسك لا يقود الكلاب. ثم عرض له آخر فقال له: أنت تريد الصيد بهذا الكلب؟ فلما قالوا له ذلك لم يشك أن الذي معه كلب، فقال في نفسه: لعلّ الذي باعني، سحرني وخدعني. فخلّى عنه، فأخذه النفر فذبحوه واقتسموه.

وإنما ضربت لك هذا المثل لما أرجو أن نصيب من حاجتنا بالمكر والرفق؛ فأنا أرى أن يغضب عليّ الملك فيأمر بي على رءوس جنده فأضرب وأنقر حتى أتخضب بالدم، ويُتَنَفَ ريشي وذئبي، ثم أطرّح في أصل الشجرة، ثم يرتحل الملك وجنده إلى مكان كذا وكذا حتى أمكر مكري، ثم آتي الملك فأعلمه الأمر. ففعل به الملك ذلك، وذهب بغربانه إلى المكان الذي وصف له.



• العريض من المكر: ما حال عليه الحول.

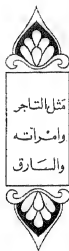
ثم إن البوم جاءت من ليلتها فلم تجد الغربان، ولم تفتن بالغراب في أصل الشجرة. فأشفق الغراب أن ينصرفن ولا يرينه فيكون تعذيبه نفسه باطلاً، فجعل يئن ويهيس حتى سمعه بعض البوم. فلما رأيته أخبرن به ملكهن، فعمد نحوه في بومات يسأله عن الغراب. قال الغراب: أنا فلان بن فلان، وأما ما سألتني عنه من أمر الغراب فأنت ترى حالي وما صنعوا بي. قال ملك البوم: هذا وزير ملك الغراب وصاحب رأيه، فسلوه بأي ذنب صنع به هذا؟ قال الغراب:

ما هذا الكلب الذي معك



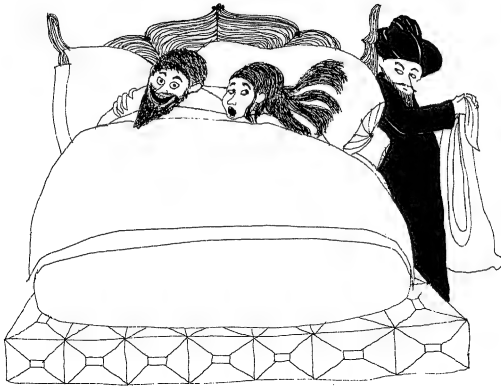
سَفَهُ رَأَيْيَ فَعَلَ بِي مَا تَرَى. قَالَ الْمَلِكُ: وَمَا ذَلِكَ السُّفَه؟ قَالَ الْغَرَابُ: إِنَّهُ لَمَّا كَانَ مِنْ إِيقَاعِكُنَّ بِنَا مَا كَانَ، اسْتَشَارَنَا مَلِكُنَا فَقَالَ: يَا أَيُّهَا الْغَرَبَانِ! أَمَا تَرَوْنَ مَا نَزَلَ بِنَا مِنَ الْيَوْمِ؟ وَكُنْتَ مِنَ الْمَلِكِ بِمَنْزِلَةٍ وَبِمَكَانٍ، فَقُلْتُ: أَرَى أَنَّهُ لَا طَاقَةَ لَكُمْ بِقِتَالِ الْيَوْمِ، فَإِنَّهُمْ أَشَدُّ بَطْشًا وَأَجْرًا قُلُوبًا؛ وَلَكِنَّ الرِّأْيَ لَكُمْ أَنْ تَلْتَمِسُوا الصَّلَاحَ وَتَعْرِضُوا الْفِدْيَةَ. فَإِنْ قُبِلَ ذَلِكَ مِنْكُمْ وَإِلَّا فَاهْرُبُوا فِي الْبِلَادِ. وَأَخْبَرْتُ الْغَرَبَانِ أَنَّ قِتَالَكَ خَيْرٌ لَكُنَّ، وَشَرٌّ لَهِنَّ، وَأَنَّ الصَّلَاحَ أَفْضَلُ مَا هُنَّ مُصِيبَاتُ مَنْكُنَّ؛ وَأَمَرْتُهُنَّ بِالْخُضُوعِ؛ وَضَرَبْتُ لَهِنَّ فِي ذَلِكَ مَثَلًا فَقُلْتُ: إِنَّ الْعَدُوَّ الشَّدِيدَ لَا يَرُدُّ بِأَسَهِ وَغَضَبِهِ شَيْءٌ هُوَ أَمْثَلُ مِنَ الْخُضُوعِ لَهُ؛ أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ الْحَشِيشَ إِمَّا يَسْلَمُ مِنَ الرِّيحِ الْعَاصِفِ بِلِينِهِ وَإِنَّمَا تَهْلِكُ مَعَهَا حَيْثُمَا مَالَتْ، وَالشَّجَرَةُ الْعَظِيمَةُ تَحْطُمُهَا لَانْتِصَابِهَا لَهَا، وَالبَعُوضَةُ تَرِيدُ اخْتِلَاسَ النَّارِ وَلَا تَنْقِيهَا فَتَحْتَرِقُ مِنْهَا؟ فَغَضِبْنَ مِنْ قَوْلِي وَزَعَمْنَ أَنَّهُنَّ يُرِدْنَ الْقِتَالَ، وَاتَّهَمْنِي وَقُلْنَ: بَلْ مَالَأْتَ مَلِكَ الْيَوْمِ عَلَيْنَا وَغَشَشْتَنَا. وَرَدَدْنَ رَأْيِي وَنَصِيحَتِي، وَعَدَّ بَنِي هَذَا الْعَذَابِ. فَلَمَّا سَمِعَ مَلِكُ الْيَوْمِ مَا قَالَ الْغَرَابُ اسْتَشَارَ زُرَّاءَهُ فَقَالَ لِأَحَدِهِمْ: مَا تَرَى فِي هَذَا الْغَرَابِ؟ فَقَالَ: لَسْتُ أَرَى أَنْ نَنْظُرَ هَذَا. وَلَيْسَ لَكَ فِي أَمْرِهِ نَظَرٌ إِلَّا الْمَعَاجِلَةُ بِالْقِتْلِ؛ فَإِنَّ هَذَا مِنْ أَفْضَلِ عُدَدِ الْغَرَبَانِ، وَفِي قِتْلِهِ لَنَا فَتْحٌ عَظِيمٌ وَرَاحَةٌ مِنْ مَكِيدَتِهِ، وَفَقَدَهُ عَلَى الْغَرَبَانِ شَدِيدٌ. وَقَدْ كَانَ يُقَالُ: مَنْ اسْتَمَكَّنَ مِنَ الْأَمْرِ الْجَسِيمِ فَأُضَاعَهُ، لَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ ثَانِيَةٌ؛ وَمَنْ التَّمَسَّ فُرْصَةَ الْعَمَلِ وَأَمَكَّنَتْهُ ثُمَّ غَفَلَ عَنْهَا، فَاتَهُ الْأَمْرُ وَلَمْ تُعَدِّ إِلَيْهِ الْفُرْصَةُ؛ وَمَنْ وَجَدَ عَدُوَّهُ ضَعِيفًا فَلَمْ يَسْتَرْحِ مِنْهُ، أَصَابَتْهُ النَّدَامَةُ حِينَ يَقْوَى الْعَدُوُّ وَيَسْتَعِدُّ فَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ. فَقَالَ الْمَلِكُ لِآخَرِ مِنْ زُرَّائِهِ: مَا تَرَى فِي هَذَا الْغَرَابِ؟ قَالَ: أَرَى أَلَّا تَقْتُلَهُ؛ فَإِنَّ الْعَدُوَّ الذَّلِيلَ الَّذِي لَا شَوْكَةَ لَهُ أَهْلٌ أَنْ يُصَفَّحَ عَنْهُ وَيَسْتَبْقَى، وَالْمُسْتَجِيرَ الْخَائِفَ أَهْلٌ أَنْ يُؤْمَنَ وَيُجَارَ. مَعَ أَنَّ الرَّجُلَ رُبَّمَا عَطَفَ عَلَى عَدُوِّهِ الْأَمْرِ السَّيْرِ؛ كَالْتَّاجِرِ الَّذِي عَطَفَ عَلَيْهِ السَّارِقُ أَمْرَاتَهُ بِأَمْرِ لَمْ يَتَعَمَّده. قَالَ الْمَلِكُ: وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ؟ قَالَ الْوَزِيرُ:

زَعَمُوا أَنَّ تَاجِرًا مُكْثَرًا كَانَ كَبِيرَ السِّنِّ، وَكَانَتْ أَمْرَاتُهُ شَابَّةَ ذَاتِ جَمَالٍ، وَكَانَ لَهَا عَاشِقًا، وَكَانَتْ لَهُ قَالِيَةٌ مَبْغُضَةٌ لَا تَحْكُمُهُ مِنْ نَفْسِهَا، وَلَا يَزِيدُهُ ذَلِكَ إِلَّا حُبًّا لَهَا. ثُمَّ إِنَّ سَارِقًا أَتَى بَيْتَ التَّاجِرِ لَيْلَةً، فَلَمَّا دَخَلَ الْبَيْتَ وَافَقَ التَّاجِرَ نَائِمًا وَأَمْرَاتَهُ مُسْتَيْقِظَةً، فَذَعُرَتْ مِنَ السَّارِقِ وَوَثِبَتْ إِلَى التَّاجِرِ فَالْتَزَمَتْهُ. فَاسْتَيْقِظَ التَّاجِرُ، وَقَالَ: مِمَّنْ أَيْنَ هَذِهِ النِّعْمَةُ؟ فَلَمَّا بَصُرَ بِالسَّارِقِ قَالَ:





ولم تظن اليوم بالغرباب
أصل الشجرة فأشفق الغرباب
أن ينصرفن ولا يرينه
فيكون تعذيبه نفسه باطلا،
فجعل يثن ويهمس حتى
سمعه بعض اليوم



فدعرت من
السارق ووثبت
إلى التاجر
فالتزمته، فاستيقظ
التاجر، وقال:
من أين هذه
التعنة؟

أيها السارق أنت في حلٍّ مما أردتَ أخذه من مالي ومتاعي، ولك عليّ الفضلُ بما عَطَفْتَ عليّ هذه المرأة من معانقتي .

ثم إنَّ الملكَ سألَ الثالثَ من وزرائه عن رأيه في الغراب، فقال الثالثُ: أرى أن تستبقيه وتُحسِنَ إليه، فإنه خَلِيقٌ بمناصحتك، وإنَّ من إحكامِ تمكُّنِ الرجلِ من أعدائه أن يستدخلَ منهم أعواناً على الباقيين. وإنَّ ذا العقلِ يرى ظَفَرًا حَسَنًا معاداةً بعضِ عدوِّه بعضاً. وإنَّ اشتغالَ بعضِ العدوِّ ببعضٍ واختلافهم نَجاةً له كنجاةِ الناسكِ عند اختلافِ اللصِّ والشيطان. قال الملكُ: وكيف كان ذلك ؟ قال الوزير :

زعموا أنَّ ناسكاً أصاب مرةً بقرةً حلوباً فانطلقَ بها يقودها، وتبعه لَصٌّ فحدَّثَ نفسه بأخذها.

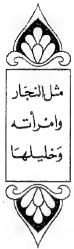
أما اللصُّ والشيطان فلم يَزَالا في اختلاف
حتى انتبه الناسكُ وجيرانه لصوتَهما





وتبع اللصَّ شيطان في صورة إنسان. فقال اللصُّ للشيطان: مَنْ أنت ؟ قال: أنا شيطان أريد أن أتبع هذا الناسك، فإذا نام خنقته؛ فأنت ماذا ؟ قال: وأنا أريد أن أتبعه إلى منزله لعلِّي أسرق البقرة. فانطلقا مصطحبين حتى انتهيا إلى منزل الناسك مُمسّين، فدخل الناسك وأدخل بقرة ثم تمسّى ونام. فأشفق اللصُّ أن يبدأ الشيطانُ بالناسك قبل أن يسرق البقرة فيصبحَ فتنجعَّ الناس بصوته فلا يقدرَ على سرقة البقرة. فقال له: انتظر حتى أُخرج البقرة، ثم عليك بالرجل. فأشفقَ الشيطان أن يبدأ اللص بالبقرة فيتنبّه الناسك فلا يقدرَ على أخذه. فقال له: بل أنظري حتى أخنقه ثم عليك بالبقرة. فأبى كل واحد منهما على صاحبه، فلم يزالا في اختلاف حتى نادى اللص الناسك أن انتبه فهذا الشيطان يريد أن يخنقك، وناداه الشيطان: أيها الناسك إن هذا اللص يريد أن يسرق بقرتك. فانتبه الناسك وجرائه لصوتهما وهرب الخبيثان .

فلما فرغ الثالث من كلامه قال الأول الذي أشار بقتل الغراب: أراكُنْ قد غرَكُنْ هذا الغراب وخدعَكُنْ كلامه وتضرَّعهُ، فأنتنْ تُردنْ تضييعَ الرأي والتغرييرَ بحسيم الأمور؛ فهلاً مهلاً عن هذا الرأي، وانظرونَ نظراً ذوي اللبِّ الذين يعرفونَ أمورهم وأمورَ عدوهم، ولا يشكُنْ عن رأيكُنْ فتكونوا كالعجزة الذين يغترون بما يسمعون، وتلينُ قلوبهم لعدوهم عند أدنى ملقٍ وتضرَّع، وتكونوا بما تسمعون أشدَّ تصديقاً منكم بما تعلمون؛ كالنَّجار الذي كذب ما رأى وصدَّق بما سمع، فاعتزَّ وانخدع. قال الملك: وكيف كان ذلك ؟ قال الوزير :



زعموا أنَّ نجَّاراً كانت له امرأة يحبُّها، وكانت قد علقت رجلاً. فاطلع على ذلك بعضُ أهل النَّجار فأخبره. فأحبَّ أن يتيقَّن ذلك فقال لامرأته: إني أريد الذهاب إلى قرية هي منَّا على فراسخ لأعمل هنالك عملاً لبعض الأشراف، وإني غائب عنك أياماً فأعدي لي زاداً. ففرحت المرأة بذلك وأعدت له زاداً. فلما أمسى قال لها: استوثقي من باب الدار واحفظي بيتك حتى أرجع إليك. فخرج وهي تنتظر إليه حتى جاوز الباب، ثم دخل من مكان خفيٍّ من منزل جارٍ له، واحتال حتى دخل تحت سريره. وأرسلت المرأة إلى خليلها أن اثبتا فإنَّ الرجل

النَجَّارُ قد خرج في حاجة له يغيب فيها أياماً. فأتاها الرجل فهَيَّأتَ له طعاماً فأكلها وسقته. ثم تضاجعا على السرير وليثا في شأنهما ليلاً طويلاً. ثم إِنَّ النجار غلبه النعاس فنام. فخرجت رجله من تحت السرير فرأته امرأته فأيقنت بالشرِّ فسارَّتْ خَلِيلَهَا أن أَرْفَعَ صَوْتَك فسلي: أَيْمًا أَحَبُّ إِلَيْكَ، أنا أو زوجك؟ وإذا امتنعتُ فَأَلْحِ عَلَيَّ. فسألها عما قَالَتْ فردَّتْ عليه: يا خليلي! ما يضطرك إلى هذه المسألة، وما حاجتك إليها؟ فَأَلْحِ عليها كما أوصته، فقالت له: أَلَسْتُ تعلم أنا، معشَرَ النَّساءِ، إِنما نريد الأَخْلَاءَ لقضاء الشهوة، ولَسْنَا نلتفت إلى أَحسابهم ولا إلى شيء من أمورهم؛ فإذا قضينا من أحدهم أَرْباً كان كغيره من الناس؛ فأما الزوج فإنه بمنزلة الأب والأخ والولد، وأفضلُ من منزلتهم! فلحا الله امرأة لا يكون زوجها عندها كبدل نفسها أو أحبَّ إليها منها! فلما سمع النجار هذه المقالة، وثق من زوجته بالموَدَّة وبقي موضعه إلى الغد. فلما علم أَنَّ الخليل قد خرج، قام فوجد امرأته متناومة، فقعده عند رأسها وجعل يذب عنها. فلما تحرَّكت قال لها زوجها: يا حبيبة نفسي نامي فإنكِ بَتَّ الليلة ساهرة. ولولا كراهة ما ساءلكِ لقد كان بيني وبين ذلك الرجل صخبٌ شديد.

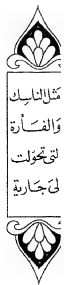
وإنما ضربتُ لكم هذا المثل لئلا تكونوا كذلك النجار الذي كَذَّبَ بما علم وتغافل. فلا تصدَّقوا هذا الغراب في مقالته. واعلموا أَنَّ كثيراً من العدو لا يستطيع ضرر عدوه بالمباعدة حتى يلتصقه بالمقاربة والمسامحة. وإني لم أَخَفِ الغربان حتى رأيت هذا الغراب، وسمعت مقالته فيه. فلم يلتفت ملك اليوم وسائر وزرائه إلى كلامه.

ثم إِنَّ ملك اليوم أمر أن يُحمل الغراب إلى مكانهنَّ فيوصي به خيراً ويكرم ويُحسن إليه. فقال الوزير المشير بقتله: إذا لم يَقْتُلِ الملكُ هذا الغرابَ فلتكن منزلته منكم منزلة العدو المخوف المحتسب منه؛ فَإِنَّ الغراب ذو إرب ومكر ومكيده، وما أراه يرضى بالمقام معنا، ولا جاء إلينا إلا لما يُصلحه ويُفسدنا. فلم يرفع الملك بقوله رأساً، ولم يزد إلا كرامة للغراب وإحساناً إليه. وكان الغراب يكلمه إذا دخل عليه، ويكلم من يخلو به من اليوم كلاماً يزدادون به ثقة كل يوم، وإليه استرسالا، وله تصديقاً. ثم إنه قال ذات يوم لجماعة من اليوم وفيهنَّ اليوم الذي أشار بقتله: لِيُبلِّغَنَّ بعضُكمَنَّ الملكَ عني أَنَّ الغربان قد وترتني ترة عظيمة بما فضحتني وعدَّبتني، وأني لا يستريح

قلبي منهم أبداً حتى أدرك منهم ثأري، وأني قد نظرت في ذلك فلم أجدني أستطيعه وأنا غراب. وقد بلغني عن بعض أهل العلم أنهم قالوا: من طابت نفسه عن نفسه فأحرقها بالنار فقد قرب قرباناً إلى الله عظيمًا، وإنه لا يدعو عند ذلك بدعاء إلا استجيب له. فإن رأى الملك أن يأمر بي فأحرق، ثم ادعوا ربي فيحولي يوماً لعلي أنتقم من عدوي وأشفي غليلي إذا تحولت في صورة اليوم. قال له اليوم الذي كان يشير بقتله: ما أشبهك، في حسن ما تبدي وسوء ما تخفي، إلا بالخمير الطيبة الريح الحسنة اللون المنقعة فيها السم المميت. أرايتك لو أحرقتك بالنار كان جوهرك وطباعك تحترق معك؟ فإن الشر يدور حيثما دارت، ثم تعود إلى أصلك وطباعك؛ كالقارئة التي وجدت من الأزواج الشمس والسحاب والريح والجبل، فتركت ذلك كله، وتزوجت جُرداً. قال الغراب: وكيف كان ذلك؟ قال اليوم:

زعموا أن ناسكاً كان مستجاب الدعوة؛ فبينما هو ذات يوم قاعد على شاطئ نهر إذ مرّت به حداة في رجلها دَرَصَةٌ فوقعت منها عند الناسك. فأدركه لها رحمة، فأخذها ولفّها في رُده، وأراد أن يذهب بها إلى منزله. ثم خاف أن يشقّ على امرأته تربيتها، فدعا ربّه أن يحولها جارية. فتحولت جارية وأعطيت حسناً وجمالاً. فانطلق بها الناسك إلى منزله، وقال لامرأته: هذه ابنتي فاصنعي بها صنيعك بولّدك. وربّاهما أحسن التربية، ولم يعلمها قصتها وما كان منها. فلما بلغت اثنتي عشرة سنة قال لها: يا بنية! إنك قد أدركت، ولا بدّ لك من زوج يقوم بأمرك ويكفّلك، ولنفرغ من الشغل بك. فاختراري من أحببت من الناس كلّهم أزوّجك منه. قالت الجارية: أريد زوجاً قوياً شديداً منيعاً. فقال الناسك: ما أعرف أحداً كذلك إلا الشمس. فانطلق الناسك إلى الشمس فقال لها: إنّ عندي جارية جميلة، وهي بمنزلة الولد لي، وأنا أسألك أن تزوجها. فقالت الشمس: أنا أدلك على من هو أقوى مني وأشدّ. قال الناسك: ومن هو؟ قالت: السحاب الذي يسترني ويذهب بضوئي. فأتى الناسك السحاب فسأله تزوّج الجارية.

ثم إن النجار غلبه النعاس فنام، فخرجت رجله من تحت السرير، فرأتها امرأته، فأيقنت بالشر





فقال: أنا أدلك على من هو أقوى مني وأشد: الريح التي تقبل بي وتدبر. فانصرف الناسك إلى الريح فسألها تزوج الجارية، فقالت له: أنا أدلك على من هو أقوى مني: الجبل الذي لا أستطيع أن أحرّكه. فانطلق الناسك إلى الجبل فقال له مثل مقالته للريح. فقال له الجبل: أنا أدلك على من هو أقوى مني: الجرذ الذي يتقني فلا أستطيع له حيلة ولا أمتنع منه. فقال الناسك للجرذ: هل أنت متزوج هذه الجارية؟ فقال الجرذ: كيف أتزوجها وجحري ضيق؟ فقال الناسك للجارية: هل لك أن أدعو ربي أن يصيرك فأرة وأزوجك بالجرذ؟ فرضيت بذلك. فدعا ربه أن يحولها فأرة، فتحوّلت فأرة وتزوجها الجرذ. فهذا مثلك أيها المخادع، في العود إلى أصلك.

فلم يلتفت ملك اليوم ولا غيره منهم إلى هذا المثل، ورفقن بالغراب، ولم يزدن له إلا كرامة حتى استقلّ ونبت ريشه ونمى وصلح وعلم ما أراد أن يعلم واطّلع على ما أراد الاطلاع عليه. ثم إنه راغ روعة إلى الغراب فقال للملكهم: أبشرك بفراغي مما أردت الفراغ منه من أمر اليوم. وإنما بقي ما قبلك وقبل أصحابك، فإن أنتم صرتم وبالفهم في أمركم فهو هلاك اليوم. فقال الغراب وملكهم: نحن عند أمرك. فقال: إن اليوم بمكان كذا وكذا، وهنّ بالنهار يجتمعن في مغار في الجبل. وقد علمت مكاناً كثير الحطب، فتعالوا نعمل إليه، وليحمل كل غراب منا ما استطاع إلى ذلك النقب. وقرب ذلك الجبل راعي غنم، وأنا مصيب منه ناراً فألقيها في الحطب، وتعاونوا أنتم ضرباً بأجنحتكم أي نفخاً وترويحاً للنار حتى تضطرم وتتأجج، فما خرج من اليوم احترق بالنار، وما بقي مات خنقاً بالدخان. ففعلوا ذلك فهلك جميع اليوم، ورجع الغراب إلى أوطانهم آمناً.

ثم إن ملك الغراب قال لذلك الغراب: كيف صبرت على صحبة اليوم ولا صبر للأخيار على صحبة الأشرار؟ قال الغراب: إن ذلك لكذلك؛ ولكن الرجل العاقل، إذا نابه الأمر الفظيع الذي يخاف فيه الهلكة الجائحة على نفسه وقومه، لم يجد بداً من احتمال الضيق، ولم يجزع من شدة الصبر لما يرجو لذلك من روح العاقبة، ولم يجد لذلك مساءة، ولم يكره نفسه عن الخضوع لمن هو دونه حتى يبلغ حاجته وهو حامد لغيب أمره، ومغتنب بما كان من رأيه واصطباره على ما كان فيه. قال الملك: فأخبرني عن عقول اليوم. قال الغراب: لم أجد فيهنّ عاقلاً إلا الذي



فبينما هو قاعد على شاطئ نهر إذ مرت به حداة تحمل درصة

كان يشير بقتلي، وكنّ أضعفَ شيءٍ رأياً؛ لم ينظُرُن في أمري، ولم يذكُرُن أني كنت ذا منزلة
من الملك، وأنّي أَعَدُّ من ذوي الرأي، فلم يتخوفن من مكري وحيلتي. وأخبرهنّ الحازم الرأي
الناصحُ فردَدن نصحه؛ فلا هنّ عَقَلُن، ولا من ذوي الرأي قِبَلُن، ولا حليرتني ولا حصنَّ سرهنّ
دوني. وكان يقال: ينبغي للملك أن يحصنّ دون المتهم سرّه وأمره، فلا يدنو من موضع أسرارهِ



فقال الجرذ: كيف تزوجه وجرني
ضيق؟

وأمره وكتبه، ولا من سلاحه
ولا من طعامه وشرايه. حتى
من الماء والفُرش التي يجلس
عليها. والحلّة التي يلبسها.
والدابة التي يركبها. والأدوية
التي يشربها. وإكليل الرياح
الذي يضعه على رأسه. والطيب
الذي يستعمله. والشعار الذي
يتخذه. وكلّ شيء يدينه منه.
ولا يأمن على نفسه إلاّ الثقة
عنده.

وأنا مصيب ناراً ألقىها في الحطب.
وتعاونوا أنتم ضرباً بأجنحتكم حتى
تضطرم وتناجج، فما خرج من اليوم
احترق بالنار، وما بقي مات خنقاً
بالدخان



وقل من أكثر من
الطعام فلم يسقم

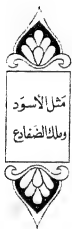


قال ملك الغرابان: لم يهلك ملك اليوم إلا بغية وضعف رأيه ورأي وزرائه. قال الغراب: صدقت؛ قلما ظفر أحد بيغي، وقل من حرص على النساء فلم يفتضح، وقل من أكثر من الطعام فلم يسقم، وقل من ابتلي بوزراء السوء إلا وقع في المهالك؛ وكان يقال: لا يطعمن ذو الكبر والصلف في الثناء الحسن، ولا يطعمن الخب في كثرة الصديق، ولا السبي الأدب في الشرف، ولا الشحيح في البر، ولا الحريص في قلة الذنوب، ولا الملك المتهاون الضعيف الوزراء في بقاء ملكه.

قال الملك: لقد احتملت مشقة شديدة بتصنعك لليوم وتضرعك هن. قال الغراب: إنه من احتمل مشقة يروج فيها منفعة، صبر على ذلك؛ كما صبر الأسود على حمل الضفدع. قال الملك: وكيف كان ذلك؟ قال الغراب:

زعموا أن أسود كبر وهرم ولم يستطع الصيد، فدب متحاملاً حتى انتهى إلى غدير كثير

• الخادم •



الضفادع، كان يأتيه فيتصيد من ضفادعه، فوقع قريباً من العين شبيهاً بالكئيب الحزين. فقال له أحد الضفادع: ما شأنك حزينا؟ قال: ومالي لا أكون حزينا وإنما كان خير عيشي مما كنت أصيد من هذه الضفادع، فابتليت ببلاء حرمت علي الضفادع، حتى إني لو أصبت بعضها لم أجترأ على أكله. فانطلق الضفدع إلى ملكها فأخبره بما سمع من الأسود. فأنى الملك إلى الأسود وساء له عن ذلك فأخبره به، فسره ما سمعه منه. فقال له ملك الضفادع: ولم ذلك؟ وكيف كان أمرك هذا؟ قال: إني لا أستطيع أن آخذ من الضفادع شيئا إلا ما يتصدق به الملك علي. قال: ولم ذلك؟ قال: لأني سعت في إثر ضفدع من أيام لآخذه، فاضطررته إلى بيت ناسك، فدخل البيت ودخلت في أثره، وفي البيت ابن الناسك، فأصبت إصبع الغلام وظننته الضفدع فلدغته فمات. فخرجت هاربا فتبعني الناسك ودعا علي ولعني وقال: كما قتلت هذا الغلام ظلما له، أدعو عليك أن تذلل وتخزي وتكون مركبا لملك الضفادع وتحرم أكلها إلا ما يتصدق به عليك ملكها. فأنييت إليك لتركني مقيرا بذلك راضيا به. فرغب ملك الضفادع في ركوب الأسود، وظن أن ذلك شرف له ورفعة. فركب الأسود أياما ثم قال الأسود: قد علمت أي محروم ملعون ولا أقدر على الصيد إلا ما تصدقت به علي من الضفادع؛ فاجعل لي رزقا أعيش به. فقال ملك الضفادع: لعمري ما لك بد من رزق تعيش به وتقيمك. فأمر له بضفدعين كل يوم يؤخذان فيدفعان إليه. فعاش بذلك ولم يضره خضوعه للعدو الدليل، وصار ذلك له معيشة ورزقا.

وكذلك كان صبري على ما صبرت عليه التماس هذا النفع العظيم الذي حصل لنا به بوار عدونا والراحة منه. قال الملك: وجدت صرعة المكر أشد استئصالا للعدو من صرعة المكابرة؛ فإن النار لا تزيد بحرهما وحدها إذا أصابت الشجرة، على أن تحرق ما فوق الأرض منها؛ والماء بليته وبرده يستأصل ما تحت الأرض. وكان يقال في أربعة أشياء لا يستقل منها القليل: النار والمرض والعداوة والدَّين.

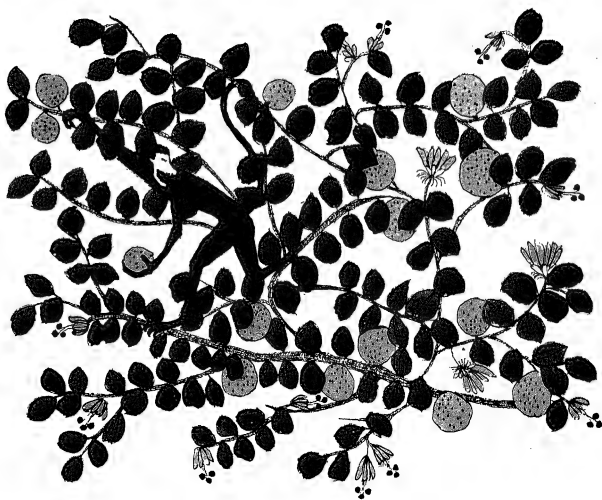
قال الغراب: كل ما كان من ذلك فبرأي الملك وسعادة جدّه؛ فإنه قد كان يقال: إذا طلب اثنان أمرا ظفر به أفضلهما مروة، فإن استويا في المروة فأفضلهما أعوانا، فإن استويا

في ذلك فأسعدهما جَدًّا. وقد كان يقال: من غالب الملك الحازم الأريب المصنوع له الذي لا تُبْطِرُهُ السَّراء ولا يُدْهِشُهُ الخوف. فَإِنَّ حَيْثُ يَجْدُرُ بِهِ؛ ثُمَّ لَا سِيَّما إِذَا كَانَ مِثْلَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ الْعَالَمُ بِالْأُمُورِ وَفُرْصِ الْأَعْمَالِ وَمَوَاضِعِ الشَّدَّةِ وَاللَّيْنِ وَالْغَضَبِ وَالرَّضَا وَالْعَجَلَةِ وَالْأَنَاءَةِ، وَالنَّاظِرُ فِي يَوْمِهِ وَغَدِهِ وَعَوَاقِبِ أَعْمَالِهِ.

قال الملك: بل برأيك وعقلك كان هذا؛ فَإِنَّ الرَّجُلَ الْوَاحِدَ أَبْلَغُ فِي إِهْلَاكِ الْعَدُوِّ مِنْ كَثِيرِ الْعَدَدِ مِنْ ذَوِي الْبَأْسِ. وَإِنَّ مِنْ أَعْجَبِ أَمْرِكَ عِنْدِي طَوْلَ كُبُتِكَ عِنْدَ الْيَوْمِ وَأَنْتَ تَسْمَعُ الْغَيْظَ وَتَرَاهُ، ثُمَّ لَا تَسْقُطُ عَنْهُمْ بِكَلِمَةٍ. قال الغراب: لَمْ أَزَلْ مَتَمَسِّكاً بِأَدْبُكِ أَيُّهَا الْمَلِكُ؛

فرغب ملك الضفادع في ركوب الأسود



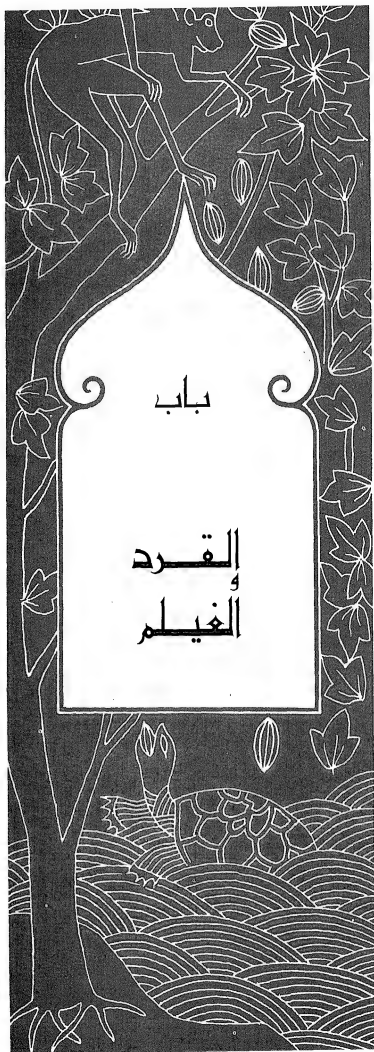


كالقرد لا يستقر ساعة واحدة

أَصْحَبَ الْقَرِيبَ وَالْبَعِيدَ بِالرَّفْقِ وَاللِّينِ وَالْمُتَابَعَةِ وَالْمَوَاتَاةَ. قَالَ الْمَلِكُ: وَجَدْتُكَ صَاحِبَ عَمَلٍ، وَوَجَدْتُ غَيْرَكَ مِنَ الْوُزَرَاءِ أَصْحَابَ أَقَاوِيلَ لَيْسَتْ لَهَا عَاقِبَةٌ. وَلَقَدْ مَنَّ اللَّهُ بِكَ عَلَيْنَا مَنَّةً عَظِيمَةً لَمْ نَكُنْ نَجِدُ قَبْلَهَا لَذَّةَ الطَّعَامِ وَالنَّوْمِ؛ فَإِنَّهُ كَانَ يُقَالُ: لَا يَجِدُ السَّقِيمُ لَذَّةَ النَّوْمِ حَتَّى يَبْرَأَ، وَلَا الرَّجُلُ الشَّرَّ الَّذِي أَطْمَعَهُ السُّلْطَانُ فِي مَالٍ أَوْ وَلايَةٍ حَتَّى يُنَجِّزَ لَهُ ذَلِكَ، وَلَا الرَّجُلُ الَّذِي قَدْ أَلْحَ عَلَيْهِ عَدُوُّهُ - وَهُوَ يَخَافُهُ صَبَاحاً وَمَسَاءً - حَتَّى يَسْتَرِيحَ مِنْهُ. وَكَانَ يُقَالُ: مَنْ أَقْلَعَتْ عَنْهُ الْحُمَّى اسْتَرَاخَ بَدَنُهُ وَقَلْبُهُ، وَمَنْ وُضِعَ عَنْهُ الْحِمْلُ الثَّقِيلُ اسْتَرَاخَ مَنَكِبُهُ، وَمَنْ أَمِنَ عَدُوَّهُ تَلَجَّ

صدره. قال الغراب: أسأل الله الذي أهلك عدوك أن يمتنعك بسلطانك، وأن يجعل في ذلك صلاحاً رعيته، ويؤثرهم في قرة العين بملكك؛ فإن الملك إذا لم يكن في مملكته قرة عيون رعيته، فثقل مثل ذات الصرع⁶ الضخم إذا وضعت ولدها لم يكن فيه ما يكفيه. قال الملك: كيف كانت سيرة ملك البوم في جنده؟ قال: سيرة بطر وأشر وفخر وخيلاء وعجب وضعف رأي. وكل أصحابه ووزرائه كان شبيهاً به إلا الذي كان يُشيرُ بقتلي. قال الملك: وما رأيت منه مما استدلت به على عقله؟ قال: لختين: إحداهما رأيه - كان - في قتلي، والأخرى أنه لم يكن يكتُم صاحبه نصيحة وإن استقلها، ولم يكن كلامه مع هاتين كلام خرق ومكابرة، ولكن كان كلام رفق ولين، حتى ربما أخبره بعيه وهو لا يغضبه؛ إنما يضرب له الأمثال ويحدثه عن عيب غيره فيعرف به عيبه، ولا يجد للغضب عليه سبيلاً. وكان مما سمعته يقول للملك، أن قال: لا ينبغي للملك أن يغفل عن أمره؛ فإنه أمر جسيم لا يظفر بمثله إلا قليل، ولا يُنال إلا بالحزم، وهو خفيف الاستقرار كالقرود الذي لا يستقر ساعة واحدة، وهو في الإقبال والإدبار كالرياح، وفي الثقل كصخرة البغيض، وفيما يخاف من معالجة عطبه كلسعة الحية، وفي سرعة الذهاب كحباب الماء من وقع المطر.

٦ مدثر اللين للشاء والبقير ونحوها، وهو كالندي للمرأة.





قال الملك للفيلسوف: قد سمعتُ هذا المثل؛ فاضرب لي مثل الرجل الذي يطلب حاجته حتى إذا ظفر بها أضاعها .

قال الفيلسوف: إنّ إصابة الحاجة أهونُ من الاحتفاظ بها. ومن ظفّر بأمر ولم يحسن الاحتفاظ به، أصابه ما أصاب الغَليم الذي ضيّع القرد بعد أن استمكن منه. قال الملك: وكيف كان ذلك؟ قال الفيلسوف:

زعموا أنّ جماعة من القردة كان لها ملك يقال له فاردين¹. فطال عُمره حتى بلغ الهرم. فوثب عليه قرد شاب من أهل بيته، فقال للقردة: قد هَرِمَ هذا، وليس يقوى على الملك ولا يصلح له. ومالاه على ذلك جنده، فنقوا القرد الهرم، وملكوا الشاب. فانطلق هارباً فلحق بساحل البحر، فانتهى إلى شجرة من شجر التين نابتة على شاطئ البحر، فجعل يأكل من تينها، فسقطت منه تينة في الماء، وفيه غَليم - وهو السلحفاة الذكر - فلما سقطت التينة، أخذها الغليم فأكلها.

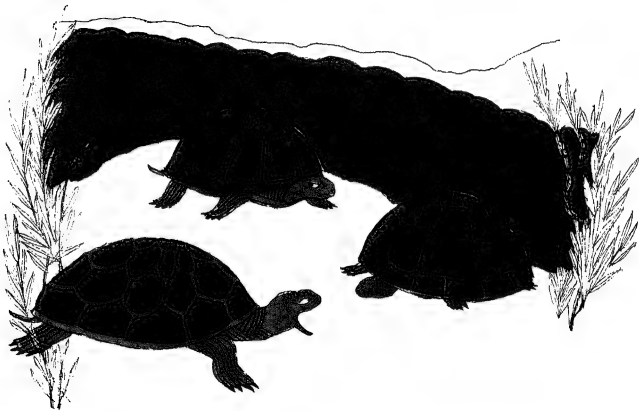
فلما سمع القرد وُفِعَ التين في الماء ، أعجبه وولع بإلقائه في الماء. وجعل الغيلم يأخذه فأكمله ، ولا يشك أن القرد إنما يطرح التين من أجله. فخرج الغيلم إلى القرد فتصافحا وتصادقا ، وألف كل واحد منهما صاحبه ، ولبثا زماناً لا ينصرف الغيلم إلى أهله. وإن زوجة الغيلم حزنت لغيبة زوجها فشكت ذلك إلى صديقة لها وقالت : لعلّه أن يكون قد عرّض له عارض من شر ! فقالت لها صديقتها : لا تحزني فإنه قد بلغني أن زوجك بالساحل مع قرد قد ألقه ، فهما يأكلان ويشربان ويلهوان ؛ وقد طالت غيبته عنك ، فانسّيه إذ نسيتك ، وليهنّ عليك إذ هُنت عليه. وإن استطعت أن تحتالي للقرد فتُهلكيه فافعلي ؛ فإن القرد لو هلك قدّم عليك زوجك وأقام عندك. فأشجبت زوجة الغيلم لوئها وضيعت نفسها حتى أصابتها نهكة شديدة وهزلت .

ثم إن الغيلم قال في نفسه : لآتين أهلي فقد طالت غيبيتي. فأتى منزله فوجد زوجته عليلة منهوكة سيئة الحال² ، فقال لها : يا أخت كيف أنت ؟ فلم تجبه. فقال : إني أراك منهوكة . فلم تجبه. فأعاد المسألة فأجابتها عنها جارة لها وقالت له : ما أشدّ حال زوجتك ؛ أما مرّضها فشديد ، وأما الدواء فأشدّ. فهل لشدة الداء وعدم الدواء إلّا الموت ؟ فقال الزوج : فأخبريني بالدواء لعلّي أقدر عليه وألتمسه حيث كان. قالت : هذا المرض نحن - معاشر النساء - أعلم به ، وليس له دواء إلّا قلب قرد. قال الغيلم في نفسه : هذا أمر عسير ؛ من أين أقدر على قلب قرد إلّا قلب صديقي ؟ أفغادر بصديقي أم مهلك زوجتي ؟ وكل ذلك لا عذر لي فيه. ثم قال : إذا لم يستطع الرجل عظيماً إلّا باحتمال صغير ، كان حقيقاً ألا يلتفت إلى الصغير. وحقّ الزوجة بعد عظم ، والمنافع فيها كثيرة ، والمعونة منها على أمر الدنيا والآخرة غير واحدة ؛ وأنا حقيق أن أوترها ولا أضيع حقها. ثم غدا متوجّهاً نحو القرد وفي نفسه مما يريد حيرة ، وهو

فلما سقطت التينة أخذها الغيلم فأكلها ، وسمع القرد وقع التين في الماء فأعجبه وولع بإلقائه



يقول: إِنَّ إِهْلَاكِي أَخًا وَفِيًّا وَصُولًا فِي سَبَبِ امْرَأَةٍ، لَمَنِ الْأُمُورُ الَّتِي تُخَافُ عَوَاقِبَهَا، وَلَيْسَتْ
لِلَّهِ رِضًا. فَضَيَّ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى أَتَى الْقَرْدَ. فَحَيَّاهُ وَقَالَ: مَا حَبَّسَكَ عَنِّي يَا أَخِي كُلَّ هَذَا الْحَبْسِ؟
قَالَ الْغَيْلِمُ: إِنَّ مِمَّا بَطَّأَنِي عَنكَ، مَعَ شَوْقِي إِلَيْكَ، الْحَيَاءُ مِنْكَ وَالْاحْتِشَامُ، لِقَلَّةِ مَكَافَأَتِي إِيَّاكَ
بِحَسَنِ بِلَاتِكَ وَمَعْرِوْفِكَ إِلَيَّ؛ فَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ قَدْ عَرَفْتُ أَنَّكَ لَا تَلْتَمِسُ مِنِّي جَزَاءً بِمَعْرِوْفِكَ،
فَإِنِّي أَرَى حَقًّا عَلَى التَّمَّاسِ مَكَافَأَتَكَ. وَأَمَّا أَنْتَ فَخَلِيقَتُكَ خَلِيقَةُ الْكَرَامِ الْأَحْرَارِ الَّذِينَ يُنْبِلُونَ
الْخَيْرَ مَنْ لَمْ يُنْبِلْهُمْ إِيَّاهُ فِيمَا مَضَى وَلَا يَرْجُوهُ مِنْهُ فِيمَا بَقِيَ، وَالَّذِينَ لَا يَنْسَوْنَ جَزَاءَهُ. فَقَالَ لَهُ
الْقَرْدُ: لَا تَقُولَنَّ هَذَا وَلَا تَحْتَشِمْنِي، فَأَنْتَ الْجَامِعُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ لِلْأَمْرَيْنِ جَمِيعًا: الْإِبْتِدَاءُ
بِمَا تَجِبُ لَكَ فِيهِ مِنِّي الْمَكَافَأَةُ، وَالْمَكَافَأَةُ مِنْكَ بِأَحْسَنِ مَا رَأَيْتَ. وَقَدْ سَقَطَتْ إِلَيْكَ
مِنْ وَطَنِي شَرِيدًا طَرِيدًا، وَكُنْتُ لِي سَكَنًا وَإِلْفًا أَذْهَبَ اللَّهُ عَنِّي بِكَ الْهَمَّ وَالْحَزْنَ.
قَالَ الْغَيْلِمُ: إِنَّ أُمُورًا ثَلَاثَةً تَزْدَادُ بِهَا لَطَافَةُ مَا بَيْنَ الْإِخْوَانِ، وَاسْتِرْسَالُ بَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ؛ مِنْهَا
الْمُؤَاكَلَةُ، وَمِنْهَا الزِّيَارَةُ فِي الرَّحْلِ، وَمِنْهَا مَعْرِفَةُ الْأَهْلِ وَالْحَشَمِ. وَلَمْ يَجِرْ بَيْنَنَا مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ. وَقَدْ
أَحْبَبْتُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ. فَقَالَ الْقَرْدُ: إِنَّمَا يَنْبَغِي لِلصَّدِيقِ أَنْ يَلْتَمِسَ مِنْ صَدِيقِهِ ذَاتَ نَفْسِهِ.
فَأَمَّا النَّظَرُ إِلَى الْأَهْلِ وَالْحَشَمِ، فَإِنَّ اللَّعَّابَ الَّذِي يَلْعَبُ عَلَى الْخَشْبَةِ، يَنْظُرُ إِلَى كَثِيرٍ مِمَّا لَا تَرَاهُ
الْعُيُونُ مِنْ أَهْلِ النَّاسِ وَحَشَمِهِمْ. وَأَمَّا الْمُؤَاكَلَةُ فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخَيْلِ وَالْبِغَالِ وَالْحَمِيرِ يَجْتَمِعْنَ
عَلَى الْأَكْلِ. وَأَمَّا دُخُولُ الرَّجُلِ بَيْتَ صَاحِبِهِ فَقَدْ يَدْخُلُ السَّارِقُ إِلَى رِحَالِ مَعَارِفِهِ لَعِيرِ حَبْهِمْ
وَالْطَافِهِمْ، إِلَّا إِرَادَةَ مَا لَهُمْ. فَلَا يَصِلُ اللَّعَّابُ النَّاسَ بِنَظَرِهِ إِلَيْهِمْ وَإِلَى حَشَمِهِمْ، وَلَا الدُّوَابُّ
بَعْضُهَا بَعْضًا بِاجْتِمَاعِهَا فِي الْأَكْلِ، وَلَا اللَّصُوصُ مَعَارِفَهُمْ بِدُخُولِهِمْ رِحَالَهُمْ، وَلَا الْهَوْلَاءُ إِذَا حَرَمَتْهُ
وَحَقَّ لِبَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ. قَالَ الْغَيْلِمُ: قَدْ صَدَقْتَ؛ لِعَمْرِي مَا يَلْتَمِسُ الصَّدِيقُ مِنْ صَدِيقِهِ إِلَّا
الْمُؤَدَّةَ. فَأَمَّا مَنْ كَانَ يَلْتَمِسُ مَنَافِعَ الدُّنْيَا فَهُوَ خَلِيقٌ أَنْ يَنْقَطِعَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ إِخْوَانِهِ. وَقَدْ كَانَ
يُقَالُ: لَا يُكْثِرُونَ الرَّجُلَ عَلَى إِخْوَانِهِ حَمَلُ الْمُؤَنَاتِ « حَتَّى يُؤْذِيَهُمْ وَيَبْرِمَهُمْ؛ فَإِنَّ عَجَلَ الْبَقَرَةِ إِذَا
أَكْثَرَ مَصَّهُ إِيَّاهَا وَإِفْرَاطَهُ، أَشْكَتُ أَنْ تَضْرِبَهُ وَتَنْفِيَهُ. وَلَمْ أَذْكَرْ مَا ذَكَرْتُ إِلَّا أَكُونُ أَعْرَفُ
مِنْكَ الْكَرَمَ وَالسَّعَةَ فِي الْخَلْقِ؛ وَلَكِنْ أَحْبَبْتُ أَنْ تَزُورَنِي فِي مَنْزِلِي، فَإِنَّهُ فِي جَزِيرَةٍ كَثِيرَةِ الشَّجَرِ



فأتى الغيلم منزله فقال لزوجته : كيف أنت ؟ فلم تجبه

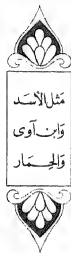
طيبة الفواكه. فأسعفني بِطَلْبتي واركب ظهري لننطلق إلى منزلي. فرغب القرد في الفواكه، وتابع الغيلم وركب ظهره. فسبح به الغيلم حتى إذا لَجَّج به في البحر، عرض في نفسه قُبْحُ ما يريدُه وفجورُه وغدرُه. فاحتبس مفكراً يقول في نفسه: إِنَّ الأمر الذي هممتُ به، أمرٌ كفر وغدرٌ، وما الإِناث بأهلٍ أن يُركَبَ بأسبابهنَّ الغدرُ واللؤمُ؛ فإنَّهنَّ لا يُوثَقُ بهنَّ، ولا يُستَرسَلُ إليهنَّ. وقد قيل: إِنَّ الذهبَ يُعرفُ بالنار، وأمانةُ الرجل بالأخذ والعطاء، وقوةُ الدوابِّ تعرفُ بالحمل الثقيل، والنساءُ ليسَ لهنَّ شيءٌ يُعرفن به. فلما رأى القرد احتباس الغيلم وأنه ليس يسبح، ارتاب وقال في نفسه: ما احتباس الغيلم وإبطاؤه إلا لأمر. فما يؤمنني أن يكون³ قد رجع عما كان عليه من مودَّتِي وإِخائِي، وانصرف إلى غير ذلك، فأراد بي سوءاً ؟ فقد علمتُ أنه لا شيءٌ أخفُّ وزناً

ولا أشدَّ تغيُّراً، ولا أسرع انقلاباً، من القلب. وقد كان يقال: لا يَغْفُلُ العاقل عن التماس علمٍ ما في نفس أهله وولده وإخوانه وصديقه عند كل أمر، وفي كل لحظة وكلمة، وعند القيام والعود، وعلى كل حال؛ فإنَّ ذلك شاهد على ما في القلوب. ثم قال للغليم: ما يجبسك؟ وما لي أراك كأنك مهموم؟ قال يَهْمِي أنك تأتي منزلي فلا توافق فيه كلَّ الذي أُحِبُّه لك، فإنَّ زوجتي علية. قال القرد: لا تهتم، فإنَّ الهمَّ لا يُغني شيئاً، والتمس لزوجتك الأدوية والأطباء؛ فإنه كان يقال: ليبذل الرجل ماله في ثلاثة مواضع: في الصدقة إن أراد الآخرة، وفي مصانعة السلطان إن أراد المنزلة في الدنيا، وفي النساء إن أراد خَفَضَ العيش. قال الغليم: زعمت الأطباء أنه لا دواء لها إلا قلبُ قرد. فقال القرد في نفسه: واسوءتاه! لقد أورطني الحرص والشره، على كبر السنِّ، شرَّ مُورِط. لقد صدق الذي قال: يعيش القانع الراضي آمناً مطمئناً مستريحاً مريحاً، وذو الحرص والشره لا يعيش ما عاش إلا في تعب ونَصَب وخوف. وأراني قد احتجتُ إلى عقلي في التماس المخرج مما وقعت فيه. ثم قال للغليم: يا خليلي! إنه ليس ينبغي للخليل أن يدَّخر عن صاحبه نصيحة ولا منفعة، وإن أضرَّ ذلك به في نفسه. ولو كنتُ علمتُ بهذا كنتُ قد جثت بقلبي معي. قال الغليم: وأين قلبك؟ قال: خلَّفْتُهُ في مكاني الذي كنت فيه. قال: وما حَمَلَك على ذلك؟ قال: سَنَةُ فينا معشَرَ القروء؛ إذا خرجنا إلى زيارة أخ أو صديق نخَلَّفُ قلوبنا لتزول الطِنَّةُ عنا. فإن شئتُ أتيتك به سريعاً. ففرح الغليم بطيب نفس القرد، وانقلب به راجعاً، حتى إذا بلغ الساحل وثب القرد إلى الشجرة فصعدها. وأقام الغليم ساعةً ينتظره. فلما أبطأ عليه ناداه الغليم: يا خليلي عَجَلْ؛ خذ قلبك وانزل، فقد حبستني. فقال القرد: أظنَّكَ تراني كالجمار الذي زعم الثعلب أنه ليس له قلب ولا أذنان. قال الغليم: وكيف كان ذلك؟ قال القرد:

زعموا أنَّ أسداً كان في أجمة ومعه ابن آوى يأكل من فضول صيده. فأصاب الأسدَ جَرَبٌ

فسبح الغليم بالقرد حتى لجج في البحر





شديد حتى ضعف فلم يستطع الصيد. فقال له ابن آوى: ما شأنك يا سيّد السباع ؟ قد تغيّر حالك وقلّ صيدك، فأنتي ذلك ؟ فقال الأسد: ذاك لهذا الجرب الذي ترى، وليس دوائي إلا أن أصيب أذنيّ حمار وقلبه. فقال ابن آوى: قد عرفتُ ههنا مكانَ حمار يبيح به قصّارٌ إلى مرج قريب منّا، يحمل عليه ثيابه التي يغسلها، فإذا وضع عنه الثياب خلاه في المرج. فأنا أرجو أن أتيتك به: ثم أنت أعلم بأذنيه وقلبه. قال الأسد: إن قدرت على ذلك فافعل ولا تؤخّر، فإنّ الشفاء لي فيه. فذهب ابن آوى إلى الحمار، فقال له: ما هذا الخُزالُ الذي أرى بك ؟ والدبّرُ الذي يظهره ؟ قال الحمار: أنا لهذا القصّار الخبيث؛ فهو يسيء علكي ويُدِيم إيتاعي ويُثقل ظهري. قال ابن آوى: وكيف ترضى بهذا ؟ قال فما أصنع، وأين أذهب، وكيف أفلت من أيدي الناس ؟ قال له ابن آوى: أنا أدلك على مكان منعزل خصيب المرعى، لم يطأه إنسان قطّ، فيه أتان لم ينظر الناس إلى مثلها قطّ حسناً وتاماً، وهي ذات حاجة إلى الفحل، فطرب الحمار عند ذكر الأتان وقال: ما يحبسنا ؟ ألا انطلق بنا؛ فأني لو لم أرغب في إخالك كان ذلك حاملي على الذهاب معك. فتوجّها جميعاً قبل الأسد، وتقدّم ابن آوى إلى الأسد فأعلمه، فوثب الأسد على الحمار من خلفه فلم يضبطه، وانفلت الحمار. فقال ابن آوى للأسد: ما هذا الذي صنعت ؟ إن كنت عمداً تركتَ الحمار فلم عيّنتني في طلبه ؟ وإن كنت لم تضبطه فذاك أعظم، وقد هلكنا إذا كان سيّدنا لا يضبط حماراً ! فعرف الأسد أنه إن قال: « تركته عمداً » سفّهه، وإن قال: « لم أضبطه لضعف » هان عليه، فقال: إن أنت استطعت ردّ الحمار إليّ أخبرتك بما سألت عنه. فقال ابن آوى: لقد جرب الحمار مني ما جرب، وإني بعد ذلك لعائد إليه فاحتال له بما استطعت. فعاد إلى الحمار. فقال له: ما الذي أردت بي ؟ قال ابن آوى: أردتُ بك الخير، ولكن الذنب لإفراط العُلْمة والشهوة؛ فإنّ التي وثبت عليك هي الأتان التي أخبرتك عنها، وإنما وثبت عليك من شدّة الودق^١، فلو كنت صبرت ساعة صارت تحتك. فلما سمع الحمار بالأتان ثانية، هاجت به العُلْمة فانطلق مع ابن آوى يسعى، فوثب عليه الأسد فاقتصره، حتى إذا فرغ منه قال لابن آوى: إنه وُصِف لي هذا الدواء على أن أغتسل ثم أكل

١١١ الودق : طلب الفحل .

١١٢ قرحة تحدث من الرجل ونحوه .



فؤب الأسد على الحمار من خلفه

الأذنين والقلب، وأجعل ما سوى ذلك قُرباناً، فاحتفظ بالحمار حتى أغتسل وأرجع إليك. فلما ذهب الأسد، عمّد ابن آوى إلى أذني الحمار وقلبه فأكلها رجاء أن يتطيّر الأسد من ذلك فلا يأكل من بقيّة الحمار شيئاً. فلما رجع الأسد قال لابن آوى: أين قلب الحمار وأذناه؟ قال ابن آوى: أو ما شعرت أنّ هذا الحمار لم يكن له قلب ولا أذنان؟ قال الأسد: ما سمعت بأعجب من مقاتلك! قال ابن آوى: لو كان له قلب وأذنان لم يرجع إليك الثانية بعد أن صنعت به ما صنعت!

وإنما ضربت لك هذا لتعلم أنّي لست كذلك؛ ولكنك احتلت لي وخدعتني بقولك



كالرجل الذي يعثر على الأرض، وعليها ينهض

فكافأته بمثل ذلك، واستدركتُ تفريطي وما كنت ضيّعت من نفسي. قال الغيليم: أنت الصادق البار؛ وذو العقل يُقِلّ الكلام، ويبالغ في العمل، ويعترف بالزلة، ويتثبت في الأمور قبل الإقدام عليها، ويستقبل عثرة عمله بعقله، كالرجل الذي يعثر على الأرض، وعليها ينهض ويستقيم.

فهذا مثل الذي يطلب أمراً حتى إذا استمكن منه أضاعه.





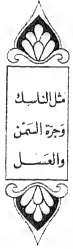
باب الناسك وابن عرس

قال الملك للفيلسوف: قد سمعتُ هذا المثل فاضربْ لي مثل الرجل الذي يعمل العمل بغير روية ولا تثبّت .

قال الفيلسوف: من لم يكن في عمله متأنياً وفي أمره متثبّثاً لم يبرح نادماً. ومن أمثال ذلك مثَلُ الناسك وابنِ عرس. قال الملك: وكيف كان ذلك؟ قال الفيلسوف:

زعموا أنه كان بأرض جرجانَ ناسك، وكانت له امرأة لبثت عنده زماناً لم تلد، ثم حملت من بعد. فاستبشر بذلك الناسك، وقال لها: أبشري فإني أربو أن تلدي غلاماً يكون لنا فيه متاع وقرّة عين. وأنا متقدم في التماس ظيئر، ومتخيّر له من الأسماء أحسنها. قالت المرأة: أيها الرجل! ما يحملك على أن تتكلم فيما لا تدري هل هو كائن أو غير كائن؟ فاسكت عن هذا الكلام، وارضَ ما قسم الله لنا؛ فإنّ العاقل لا يتكلم فيما لا يدري ولا يحكم على المقادير في

نفسه ولا يقدر في نفسه شيئاً. ومن تكلم فيما لا يدري - وقل أن يكون - أصابه ما أصاب الناسك المهریق السمن والعلس على رأسه. قال الناسك: وكيف كان ذلك؟ قالت المرأة:

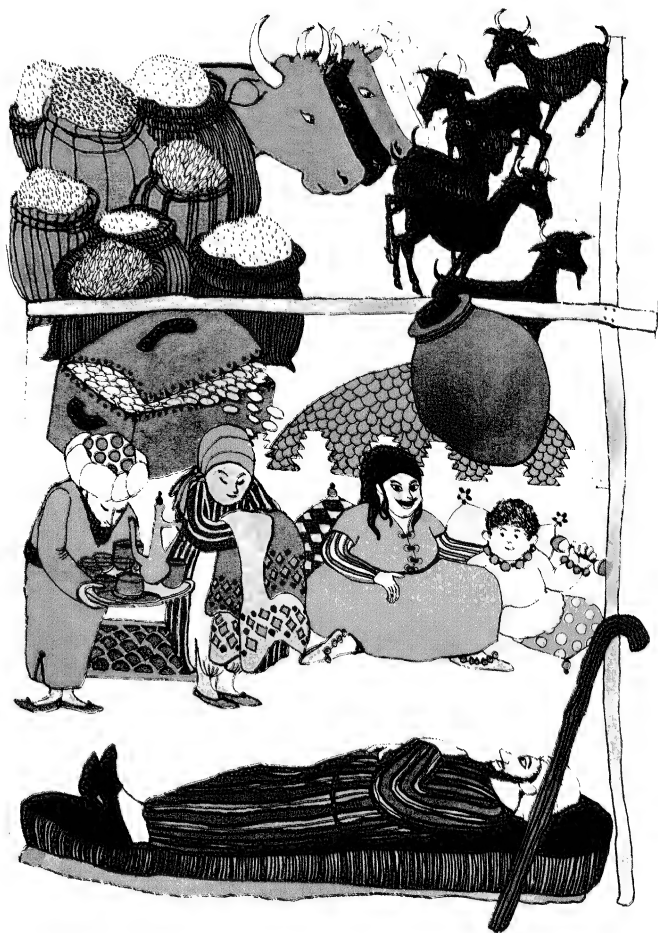


زعموا أن ناسكاً كان يجري عليه من بيت رجل من التجار، رزق من السوق ° والسمن والعلس. فكان يُبقي من ذلك السمن والعلس فيجعل الباقي منها في جرة ثم يعلقها في بيته. فبينما الناسك ذات يوم مستلقٍ على ظهره، والجرة فوق رأسه، إذ نظر إليها فذكر غلاء السمن والعلس، فقال: أنا بائع ما في هذه الجرة بدينار، فأشتري بالدينار عشرة أعنز، فيحملن ويلدن لسته أشهر - ثم حزر على هذا الحساب لخمس سنين، فوجد ذلك أكثر من أربعمئة أعنز - ثم أبيعها فأشتري بأثمانها مائة من البقر، بكل أربعة أعنز ثوراً، وأصيب بذاراً فأزرع على الثيران؛ فلا يأتي علي خمس سنين إلا وقد أصبت منها ومن الزرع مالاً كثيراً، فأبني بيتاً فاخراً، وأشتري عبيداً وإماءً ورياشاً ومتاعاً، فإذا فرغت من ذلك تزوجت امرأة جميلة ذات حسب، فإذا دخلت بها أحببتها، ثم ولد ابناً سوياً مباركاً فأسميه مامه وأؤدبه أدباً حسناً وأشدته عليه في الأدب؛ فإن لم يقبل الأدب مني ضربته بهذه العصا هكذا. ورفع العصا يشير بها فأصابته الجرة فانكسرت، وانصب السمن والعلس على رأسه ولحيته.

وإنما ضربت لك هذا المثل لتنتهي عن الكلام فيما لا تدري. فاتعظ الناسك بقولها. ثم إن المرأة ولدت غلاماً سوياً فسر به أبوه؛ حتى إذا كان بعد أيام قالت المرأة لزوجها: اقعد عند الصبي حتى أغتسل وأرجع إليك. فانطلقت المرأة. ولم يقعد الرجل إلا قليلاً حتى جاءه رسول الملك فذهب به، ولم يُخلف مع ابنه أحداً، إلا أنه قد كان له ابن عرس قد رباه فتركه الرجل عند ابنه، وكان مؤدباً معلماً، وذهب إلى الملك.

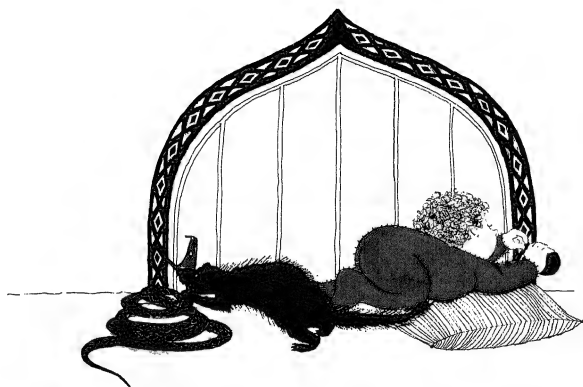
واستلقى الناسك على ظهره، والجرة فوق رأسه، فحلم بثروة وإماء وعبيد

° أجرى عليه الرزق: أفاضه وعينه. ° الناعم من دقيق الحنطة والشعير.



وكان في بيته جُحر أسودٌ، فخرج يريد الغلام، فوثب عليه ابن عرس فقطّعه قِطْعاً. وأقبل الناسك عند انصرافه، إلى منزله فدخله، فلقى ابن عرس يسعى إليه كالمبشّر له بما صنع. فلما نظر إليه الناسك متلطّخاً بالدم سلبَ عقله، ولم يظنّ إلاّ أنه قد قتل ولده. فلم يتأنّ ولم يتبسّث في أمره، فضرب ابن عرس بعضاً كانت معه فقتله. ودخل منزله فرأى الغلام حياً والأسود مقتولاً، فأقبل يديق صدره ويلطم وجهه ويتنفّ لحيته، وجعل يقول : ليت هذا الغلام لم يولد، ولم أصير إلى هذا الإثم والغدر. فدخلت عليه المرأة وهو يبكي فقالت له : ما يبكيك ؟ وما شأن هذا الأسود وابن عرس مقتولين ؟ فأخبرها بالأمر وقال : هذا جزاء من يعمل بالعجلة ولا يتبسّث .

وخرج الأسود يريد الغلام فوثب عليه ابن عرس







قال الملك للفيلسوف: قد فهمت ما ذكرت في أمر العجل غير المتبد ولا الناظر في العواقب.
فأخبرني ما الذي إذا عمل به الملك كرم على رعيته، وثبت ملكه، وحفظ أرضه؟ ألحلم أم
المروءة أم الجود أم الجرأة؟

قال الفيلسوف: إن أفضل ما حفظ به الملك ملكه، وثبت به سلطانه، وكرم به نفسه، هو
الحلم والعقل، لأنهما رأس الأمور وملاكها، مع مشاورة اللبيب الرفيق العالم. وأفضل ما يستمتع
به الناس، الحلم، ثم للملك خاصة، فإنه لا شيء أفضل ولا أعون منه. ومن صلاح المرء في
نفسه ومعيشتة، المرأة الصالحة الفاضلة الرأي المواتية؛ فإن الرجل إن كان شجاعاً ولم يكن حليماً
عاقلاً، أو كان حليماً عاقلاً وشاور غير لبيب، فإنه يهبط الأمر اليسير حتى يرى فيه القبح
والضعف، بجهالته وخطأ رأي أصحابه ونصحائه. وإن أصابوا ظفراً أو لقوا رشداً ساقه القدر
إليهم، صارت عاقبة أمرهم إلى الندامة. وإذا كان على خلاف ذلك من الفضل ومن نبل

الوزير، ثم أعانه القضاء، أصاب الفلج^٥ على من خاصمه، والغلبة على من ناواه، والسروور له. كما زعم لنا مما كان بين شادرم ملك الهند، وإيراخت امرأته، وإبلاد صاحب سره ورأيه. قال الملك: وكيف كان ذلك؟ قال الفيلسوف:

ذكر لنا أن إبلاد كان ناسكاً مجتهداً حسن الخلق لبيباً حليماً حكيماً كاملاً. فبينما شادرم الملك نائماً في بعض الليالي إذ رأى ثمانية أحلام، يستيقظ عند كل منها. فلما أصبح دعا بالبرهمنين - وهم النساك - فقص عليهم ما رأى، وأمرهم أن يعبروها. فقالوا له: قد رأيت أيها الملك أمراً منكراً عجبياً لم نسمع بمثله فيما مضى، فإن أحببت أن نفكر فيها ستة أيام ثم نأتيك في اليوم السابع فنخبرك به فلعلنا - إن استطعنا - أن ندفع ما نتخوف منه. فقال الملك: نعم؛ اعملوا برأيكم وما تعلمون أنه موافق. فخرجوا من عنده ثم اجتمعوا فقالوا: ما طال العهد منه مُد قتل منا اثني عشر ألفاً، وقد استمكتنا منه، فإذا أفضى إلينا بسرّه وعرفنا فرقه من رؤياه، فلعلنا ننتقم منه إن نحن أغلظنا له في القول، فيحمله الخوف على أن يتابعنا على ما نريد، فنأمره أن يدفع إلينا من يكرّم عليه من أهله ووزرائه، ونقول له: إنا قد نظرنا في كتبنا فلم نجد شيئاً يصرف عنك سوء ما رأيت إلا قتل من نُسَمي لك. فإن قال: من تريدون؟ قلنا له: إيراخت امرأتك وابنها جوبّر وابن أختك، وإبلاد^١ صاحب أمرك - فإنه ذو حيلة وعلم - وكالك^٢ كاتبك ولسانك، والفيل الأبيض الذي تقاتل عليه، والفيلين العظيمين، والفرس الذي تركبه، والبُخْتِي^٣ الذي تسير عليه، وكتايرون^٤ الفقيه؛ لنجعل دماءهم في أبز^٥ ثم نُقعدك فيه. فإذا أردنا أن نُخرجك منه، اجتمعنا، معشر البراهمة، من الآفاق الأربعة فرقيناك ومسحناك بالماء والأدهان الطيبة، ثم صبرناك إلى مجلسك وقد أذهب الله عنك ما تجدد من الحزن من سوء رؤياك التي رأيت. فإن أنت صبرت على هذا وطابت به نفسك، نجوت من البلاء العظيم الذي قد رهقك وأشرف عليك، واستخلفت مكانهم مثلهم؛ وإن لم تفعل فإننا نتخوف أن ينزع ملكك وتهلك، ويُستأصل عقبك.



فقال الملك :
الموت دون ما
قلتموه

فلما أبرم البرهميون أمرهم واتفقوا عليه، أتوا الملك وقالوا: إنّا قد نظرنا في كتبنا وتبحرنا فيها، وتفكرنا في رؤياك وأعملنا العقول فيها، فلسنا نقدر أن نُعلمك بما قد رأينا لك حتى تُخلي لنا مجلسك. ففعل ذلك. فقصوا عليه الأمر على ما اجتمعوا عليه. فقال الملك: الموت دون ما قلتموه، وما أسمع منه. أفأقتل هذه الأنفس التي هي عندي عدلٌ نفسي. وأحتمل الإثم والوزر؟ ولا بدّ من الموت على كل حال، ولستُ ملكاً طولَ الدهر، وسواءٌ عليّ الهلاكُ وفراقُ الأحبة. فقال البرهميون: إن أنت لم تغضب، أخبرناك أنّ رأيك هذا مخطيء، وأنك لم تصب إذ أهنتَ نفسك وآثرتَ عليها غيرها، ولستَ لشيءٍ غيرها مُكرماً إذا أنت أهنتها. وأنت واجدٌ من هؤلاء عوضاً، ولا تجد من نفسك عوضاً. ولعمري لأنّ تَفديها بما سَمينا لك، أمثلٌ وأخيرٌ، فيبقى ملكك وسلطانك، ويصلح أمرُك. فانظر لنفسك ودع من سواها، فإنه لا شيء يعلّمها.

فلما رأى الملك أنّ البرهميّين قد أغلظوا له في القول واجترأوا عليه، قام فدخل منزله، ووقع لوجهه، وجعل يتقلّب يميناً وشمالاً محزوناً مهموماً، ويفكر في رايه: أيّ الأمرين يركب؟ الموتُ عياناً وهو ينظر إليه أو إعطاءهم ما سألوا؟ فكث كذلك أياماً. وفشا الحديث في أرضه، وقيل: لقد نزل بالملك أمرٌ هو منه في كرب. فلما رأى إبلاذ الأمر الذي وقع فيه الملك من ذلك، فكر ونظر، وكان قَطناً مجرباً، فقال: ما ينبغي لي أن أستقبل الملك بشيء دون أن يدعوني، ولكني أنطلق إلى إيراختِ امرأة الملك فأسألها عن ذلك. فأتاها فقال: إني لا أعلم الملك ركب

من أمره صغيرة ولا كبيرة، منذ كنتُ معه، إلا بمشورتي. وإني كنت صاحب سرّه ولم يكن يكتمني شيئاً طراً عليه. وكان إذا حزبه أمر مُقْطِع، عَزَى نفسه فيه واصطبر على ما نزل عليه منه، وذكر لي ذلك، فأسأله عن أمره بأرفق ما أقدر عليه. وإني أراه مستخياً بالبرهيين منذ سبعة أيام، وقد احتجب فيها عن الناس. وإني أخاف أن يكون قد أطلعهم على دخيلة أمره، ولست آمنهم عليه؛ فاذهبي إليه وسأله عن حاله وما بلغه وما الذي ذكروا له. ثم أعلمني، فإني لا أستطيع أن أدخل عليه. وإني لأحسبهم قد زينوا له أمراً قبيحاً وحملوه على عظمة أو أغضبوه بشيء شَبَّهوا له فيه. فإن من أخلاق الملك، إذا هو اغتاض، ألا يلتفت إلى أحد ولا يسأل عن شيء ولا ينظر فيه، وسواءً عليه جسم الأمور وحقيقتها. ولست أشك أنهم لم ينصحوه، لما في قلوبهم من الحقد عليه والبغض له، وأنهم إن قدروا على هلكته التمسوا له الحيلة في ذلك. قالت إيراخت: إنه كان بيني وبين الملك كلام، ولست آتية ما دام حزناً. قال إبلاذ: لا تحمِلين الحقد في مثل يومك هذا، فلن يقدر أحد أن يدخل عليه غيرك. وقد كنت سمعته يقول غير مرة: إني إذا حزنت واهتممت فأنتني إيراخت سُرِّي ذلك عني. فانطلقني إليه وكلمته بما تظنين أنه تطيب به نفسه ويَجَلِّي عنه ما به.

فلما سمعت ذلك إيراخت نهضت إلى الملك فدخلت عليه وجلست عند رأسه وقالت له: ما أمرك أيها الملك السعيد المحمود؟ وما الذي قال لك البرهيمون؟ فإني أراك مهموماً حزناً؛ فإن كان الذي ينبغي لك أن تحزن له أمراً فيه أجُلنا، وهو جلاء همك وسرورك، واسينالك بأنفسنا، فافعل ذلك؛ وإن بك غضباً علينا، نرضيك ونأت ما يسرك. قال الملك: لا تسأليني أيتها المرأة عن شيء فتريدين خبالاً على ما بي؛ فإنه لا ينبغي أن يُعلم ذلك، لعظم خطره وشدة هوله. قالت إيراخت: وقد صار أمري عندك إلى أن تحببني بمثل ما قد سمعت! أو ما تعلم أن أفضل الرأي للملك، إذا وقع به الأمر الذي يبهظه، أن يشاور أهل نصيحته ومودته ومن يهّمه أمره وهمه وما أحزنه؛ فإن المذنب لا يقنط من الرحمة، ولكنه يتوب مما يخاف مغفته. فلا يدخلنك من الهَمِّ والحَزْنِ ما أرى بك، فإنهما لا يردان شيئاً بل يُشعِتان العدو ويسوءان الصديق. وأهل العلم والتجارب ينظرون في ذلك، ويصبرون أنفسهم على ما فاتهم من عَرَضِ الأطماع، وما نزل بهم من جوادث الزمان. فقال الملك: أيتها المرأة لا تسأليني عن شيء. فإن في الذي تفحصين

عنه دَماري وهلاكك وولديك وكثير من أهل وُدِّي؛ فَإِنَّ البرهَميين زعموا أَنَّ لا بدَّ من قتلِكَ وقتلِ أهلي ونصحتائي، ولا خيرَ لي في العيش بعدكم، ولا لَذَّةَ لي بعد فراقكم، وذلك أفضح الأمور وأجلها خطراً في نفسي. قالت إيراخت: لا يُحزَنُكَ الله أيها الملك ولا يسُوكُ؛ أنفسنا لك الفداء، فَإِنَّ ذلك يسيرٌ في صلاحك وبقاك. وقد جعل الله لك من الأزواج ما فيه الخلف والعوض؛ ولكن أطلبُ إليك بعد موتي ألا تتق بالبرهَميين ولا تستشيرهم ولا تقبل رأي أحد منهم، حتى تؤامر فيه أهل نصيحتك والثقة لك، وتعرف ما تُقدِّمُ عليه فيه من القتل. فَإِنَّ القتل عظيمُ الخطبِ شديدُ الوزر، ولستَ تقدر أن تُحسِبَ مَنْ أَهْلَكَ. وقد قيل: إن وجدت جوهراً لا تظنُّ به خيراً فأردت أن تُلقيه فلا تفعل حتى تُريه مَنْ يُبصره. ولا تُقرَّ عينَ عدوك من البرهَميين وغيرهم. واعلم أنهم لن ينصحوك أبداً، وقد قتل منهم منذ قريب اثني عشر ألفاً، أفَتظنُّ أنهم نسوا ذلك؟ ولعمري ما كنتَ جديراً أن تحدّثهم برؤياك، ولا تُطْلِعهم على سرِّك، فإنهم إنما يريدون بما عبّروا به رؤياك، زوالَ ملكك، ووبارَ أحبابك، واستئصال وزرائك أهل العلم والحلم والحكمة، ومراكِبِك التي تقاتل عليها الملوك؛ ولكن انطلق إلى كتابايرون فاذكر له ذلك وسلِّه عما أَحْبَبْتَ؛ فإنه لبيب أمين - وليس عند هؤلاء شيء إلا وعنده أفضل منه - وإن كان أصله من البرهَميين، فإنه ناسك مجتهد فقيه؛ فَإِنْ أشار عليك بمثل رأيهم فانتهِ إليه، وإن خالفهم فاعلم أَنَّ أولئك الكَذِبَةُ أعداؤك، أرادوا إدخال النقص عليك في مُلْكِكَ.

فلما سمع الملك ذلك منها تسلَّى همّه وأمر بإسراج فرسه، وركبه وانطلقَ إلى كتابايرون. فلما انتهى إليه نزل عن فرسه ثم سجد له وجَّاه وطأطأ رأسه. فقال له كتابايرون: ما جاء بك أيها الملك؟ وما لي أراك متعباً اللون ممثلاً همّاً وحزناً، ولا أرى على رأسك التاج ولا الإكليل؟ فقال له الملك: كنتُ نائماً ذات ليلة على ظهر إيواني فسمعت من الأرض ثمانية أصوات، استيقظ مع كل صوت ثم أرقد؛ فرأيت ثمانية أحلام، فقصصتها على البرهَميين، فأجابوني بما أخاف أن يصيبني منه أمر عظيم: إمَّا أن أُقْتَلَ في حرب وإمَّا أن أغصَّبَ مُلْكِي وأغلَّبَ عليه. فقال كتابايرون: لا يُحزَنُكَ أيها الملك هذا الأمر ولا يُوجِلَّتْكَ؛ فإنك لن تموت الآن، ولن تُسلَّبَ ملكك، ولن يصيبك شيء من الشرِّ ولا يصل إليك محذور. فأما الأحلام الثمانية التي رأيت فاقصصها فإني مُنْبِتُكَ بتأويلها. فقصَّ عليه الملك الرؤيا. فقال كتابايرون: أما السمكتان

الحمراوان اللتان رأيتهما قائمتين على أذناهما تستقبلانك، فإنه يأتيك من قبل هَمَيون⁴ رسولٌ بدسج⁵ فيه من الجواهر ما قيمته أربعة آلاف رطل من الذهب. وأما البطتان اللتان رأيتهما طارنا من وراء ظهرك فوقتا بين يديك، فإنه يأتيك من قبل ملك بلخ من يقوم بين يديك بفرسين ليس في الأرض مثلهما. وأما الحية التي رأيتها تدب على رجلك اليسرى، فإنه يأتيك من عمل صنّجين⁵ من يقوم بين يديك بسيف خالص الحديد لا يوجد مثله. وأما ما رأيت أنه يُخَضَّب جسدك كله بالدم، فإنه يأتيك من قبل ملك كاسرون⁶ من يقوم بين يديك بلباس مُعَجَّب يسمى حلة أرجوان يضيء في الظلمة. وأما ما رأيت من غسل جسدك بالماء، فإنه يأتيك من قبل ملك زرفي⁷ من يقوم بين يديك بثياب من لباس الملوك ليس يُعرف قيمتها، وفيل أبيض لا تلحقه الخيل. وأما ما رأيت على رأسك شبيه النار، فإنه يأتيك من عند الملك جيار⁸ من يقوم بين يديك بإكليل من ذهب. وأما قيامك على الجبل الأبيض فإنه يأتيك من قبل كيدرون⁹ من يقوم بين يديك بفيل أبيض لا تلحقه الخيل. وأما الطير الأبيض الذي نقر رأسك بمنقاره فلست أفسره لك اليوم، وليس بضارك، فلا توجلن منه؛ ولكن في بعض السخط والإعراض عمن تحب. فأما البرد¹⁰ والرسل فإلى سبعة أيام يأتيونك حتى يقوموا بين يديك.

فلما سمع الملك ذلك سجد بين يديه وانصرف وقال: إني ناظر فيها قال كتابايرون. فلما كان اليوم السابع لبس ثيابه وأخذ زينته وجلس في مجلسه وأذن للعظماء والأشراف، فجاءته تلك الهدايا التي قال¹⁰ كتابايرون حتى وقفوا بين يديه. فلما رأى الملك الرسل والهدايا فرح بها وقال في نفسه: لم أوفق حين قصصت رؤياي على البرهمنين وأمروني بما أمروني به. ولولا أن الله - جل اسمه - رحمني وتداركني برأي إيراخت، كنت قد هلكت وزالت دنيائي. فلذلك ينبغي لكل أحد أن يسمع من الأخيار والأجلاء وذوي القربات رأيهم ويقبل مشورتهم؛ فإن إيراخت أشارت عليّ بالرأي الذي انتفعت به في بقاء ملكي، والذي ترون من الفرح والسرور. فقال إبلاذ له: لا يعمل المرء شيئا من الأشياء - صغيراً أو كبيراً - إلا برأي أهل المودة والخير. ثم دعا الملك بإيراخت وولدها جوبر وكاك الكاتب وإبلاذ وقال لهم: لا ينبغي لنا أن ندخل هذه الهدايا خزائنا؛



أما السمكتان الحمراءوان اللتان رأيتهما قائمتين على أذنايهما ...

ولكنني قاسمُها بينكم - أنتم الذين وطنتم أنفسكم على الموت في سبي - وبين إيراخت التي أشارت عليّ بالرأي الذي انتفعت به في بقاء ملكي. فقال إبلاد: إنه لا ينبغي لنا، معشر العبيد، أن ندنوَ من هذه الهدايا؛ فأما جُوبر ابنك فهو لها أهل، فليأخذ ما أعطيتموه. فقال الملك: إنه قد شاع لنا في البلاد من هذا ثناء حسن ونحير كثير؛ فلا تحتشم يا إبلاد ونخذ نصيبك وقر به عيناً. فقال إبلاد: ليكن من ذلك ما أحبُّ الملك، وليبدأ بأخذ ما يريد. فأخذ الملك الفيل

الأبيض، وأعطى جُورَ أحد الفرسين، وأعطى إبلاذ السيفَ الخالص الحديد، وأعطى الكاتب الفرس الآخر، وبعث إلى كتابايرون الثياب الكتان التي يلبس الملوك. وأما الإكليل وسائر اللباس مما كان يصلح للنساء، فقال: يا إبلاذ خذ الإكليل وسائر اللباس فاحملها معي واتبعني إلى مجلس النساء.

فلما انطلق إليه دعا بإيراخت ومُساميتها فجلستا بين يديه وقال: يا إبلاذ ضع الكسوة بين يدي إيراخت فلتأخذ أيها شاءت. فلما نظرت إيراخت إلى الإكليل والثياب وأعجبتها منظرها ولم تدري أيهما تأخذ، نظرت إلى إبلاذ بمؤخر عينها، ليرى أيهما أفضل. فأراها إبلاذ الثياب وأشار عليها بأخذها، فأخذتها؛ وكانت شارته إليها أن غمزها بعينه. وجانت من الملك التفتاة فرأى إبلاذ وقد غمز إيراخت. فلما رأت إيراخت أن الملك قد أبصر إبلاذ وإيماءه إليها تركت الثياب وأخذت الإكليل مخافة أن يظن الملك بهما سوءاً. وعاش إبلاذ بعد ذلك أربعين سنة كلما دخل على الملك كسر عينيه خوفاً أن يظن الملك أنه أراها بعينه شيئاً، وخوفاً أن يتهمه بأمر. فلولا عقل المرأة ومعرفة الوزير لم ينج واحد منهما من الموت.

وكان الملك يكون ليلةً عند إيراخت وليلةً عند مُساميتها. فأتى إيراخت في ليلتها - وقد صنعت أزرًا - فدخلت على الملك وفي يدها صحيفة من ذهب والإكليل على رأسها، فقامت على رأس الملك بالصحفة وهو يطعم منها. فلما رأت مُساميتها الإكليل على رأس إيراخت، غارت فلبست تلك الثياب ومرت بين يديه - وكانت كالشمس حسناً - فأضاء كل ما حولها فاشتاق إليها، وقال لإيراخت: إنك جاهلة حين أخذت الإكليل وتركث الثياب التي ليس في خزاننا مثلها. وإن جُوربناه الأحسن منك عقلاً وأكمل رأياً وأشبهه بنساء الملوك منك. فلما سمعت ذلك منه، مع ما عاينت، غضبت وضربت بالصحفة رأس الملك فسال الأرز على رأسه ووجهه ولحيته. وكان ذلك عبارةً الحلم الثامن الذي كتبه إياه كتابايرون ولم يكن بيته له. فدعا الملك بإبلاذ، فدخل عليه. فقال: يا إبلاذ أما ترى إلى ما فعلته هذه المرأة بي، وكيف استخفّت



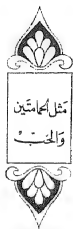
وغضبت إيراخت فضربت بالصفحة رأس
الملك فسال الأرز على رأسه ووجهه ولحيته

بي وحقرتني وعملت ما عملت ؟ فما أعلم أن ملكاً قط أجترى عليه بمثل ما ركبت هذه الحمقاء
مني ! انطلق بها فاضرب عنقها ولا ترحمها. فخرج إبلاد بإيراخت من عند الملك، وقال في
نفسه: ما أنا بقاتلها حتى يسكن غضبُ الملك ؛ فإنها امرأة عاقلة ليبة حريصة على الخير،
سعيدة من الملكات، ليس لها في النساء عديلٌ في الحلم والعقل، وليس الملك صابراً عنها. وقد

خَلَّصَ اللهُ بِهَا الْيَوْمَ بَشَرًا كَثِيرًا مِنَ الْقَتْلِ، وَعَمِلَتْ أَعْمَالًا صَالِحَةً. وَنَحْنُ نَرْجُوهَا بَعْدَ الْيَوْمِ؛ وَلَسْتُ آمِنٌ أَنْ يَقُولَ الْمَلِكُ: مَا اسْتَطَعْتُ أَنْ تَوَخَّرَ قَتْلَهَا! فَلَسْتُ بِقَاتِلِهَا حَتَّى أَنْظُرَ رَأْيَ الْمَلِكِ فِيهَا؛ فَإِنْ نَدِمَ عَلَى قَتْلِهَا وَحَزِنَ جُنَّتَهُ بِهَا حَيَّةً، وَكُنْتُ قَدْ عَمِلْتُ ثَلَاثَةَ أَعْمَالٍ: أَتَجَبَّتُ إِيرَاخْتَ مِنَ الْقَتْلِ، وَفَرَّجْتُ عَلَى الْمَلِكِ حَزَنَهُ، وَافْتَخَرْتُ بِذَلِكَ عَلَى سَائِرِ النَّاسِ. وَإِنْ لَمْ يَذْكُرْهَا، وَلَا اشْتَاقَ إِلَيْهَا، أَمْضِيَتْ أَمْرُهُ فِيهَا.

وَانْطَلَقَ بِهَا إِبِلَادُ إِلَى مَنْزِلِهِ سَرًّا، فَوَكَّلَ بِهَا رَجُلَيْنِ مِنْ أَمْنَاءِ الْمَلِكِ الَّذِينَ يُلُونُ أَمْرَ نِسَائِهِ، وَأَمَرَ أَهْلَهُ بِحِفْظِهَا وَالِاسْتِصْيَاءِ بِهَا وَإِكْرَامِهَا حَتَّى يَنْظُرَ كَيْفَ يَكُونُ أَمْرُهَا. ثُمَّ خَضِبَ سَيْفَهُ بِالْدَمِ وَدَخَلَ بِهِ عَلَى الْمَلِكِ كَثِيبًا حَزِينًا، وَقَالَ: قَدْ أَمْضِيَتْ أَمْرَ الْمَلِكِ فِي إِيرَاخْتَ. فَلَمْ يَلْبَثِ الْمَلِكُ أَنْ سَكَنَ غَضَبُهُ، فَذَكَرَ جَمَالَ إِيرَاخْتَ وَرَأْيَهَا وَعَظِيمَ غَنَائِهَا، فَاشْتَدَّ حَزَنُهُ وَجَعَلَ يَقْوِي نَفْسَهُ وَيَتَجَلَّدُ، وَهُوَ عَلَى ذَلِكَ يَسْتَحْيِي أَنْ يَسْأَلَ إِبِلَادَ، وَيَرْجُو أَلَّا يَكُونَ قَتْلَهَا. وَنَظَرَ إِبِلَادُ إِلَى الْمَلِكِ فَعَلِمَ مَا فِي نَفْسِهِ بِفَضْلِ عِلْمِهِ، فَقَالَ: لَا تَحْزَنْ أَيُّهَا الْمَلِكُ وَلَا تَغْتَمَّ، فَإِنَّهُ لَيْسَ فِي الْحَزَنِ وَالْهَمِّ مَنْفَعَةٌ، وَلَكِنَّمَا يُنْجِلَانِ الْجِسْمَ وَيُفْسِدَانِهِ، مَعَ مَا يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِ وَدَّ الْمَلِكِ أَيْضًا مِنَ الْحَزَنِ إِذَا حَزَنَ، وَفَرَّحَ أَعْدَائُهُ وَشَمَاتَهُمْ، فَإِنَّهُ إِذَا سَمِعُوا بِهِ لَمْ يُعَدَّ مِنْ صَاحِبِهِ عَقْلًا وَلَا حِزْمًا. فَاصْبِرْ أَيُّهَا الْمَلِكُ، وَلَا تَحْزَنْ عَلَى مَا لَسْتَ بِنَازِلٍ إِلَيْهِ أَبَدًا. فَإِنْ أَحَبَّ الْمَلِكُ حَدِيثَهُ بِشَبِيهِ أَمْرِهِ هَذَا. قَالَ الْمَلِكُ: حَدِّثْنِي يَا إِبِلَادُ. قَالَ إِبِلَادُ:

زَعَمُوا أَنَّ حَمَامَتَيْنِ - ذَكَرًا وَأُنْثَى - مَلَأَا عُشَّهُمَا مِنَ الْبُرِّ وَالشَّعِيرِ. فَقَالَ الذَّكَرُ لِلْأُنْثَى: أَمَّا مَا وَجَدْنَا فِي الصَّحَارَى مَا نَعِيشُ بِهِ فَلَسْنَا نَأْكُلُ مِمَّا فِي عُشِّنَا شَيْئًا. إِذَا جَاءَ الشِّتَاءُ وَلَمْ نُصِيبْ فِي الصَّحَارَى شَيْئًا أَقْبَلْنَا عَلَى مَا فِي عُشِّنَا فَأَكَلْنَاهُ. فَفَرَضِيَتْ الْأُنْثَى بِذَلِكَ وَقَالَتْ: نَعَمْ مَا رَأَيْتَ. وَكَانَ ذَلِكَ الْحَبُّ نَدِيًّا حِينَ وَضَعَاهُ، فَامْتَلَأَ عُشَّهُمَا مِنْهُ. وَانْطَلَقَ الذَّكَرُ فِي بَعْضِ أَصْفَارِهِ. فَلَمَّا جَاءَ الصَّيْفُ بَرَسَ ذَلِكَ الْحَبُّ وَنَقَصَ عَمَّا كَانَ فِي الْعَيْنِ. فَلَمَّا رَجَعَ الذَّكَرُ فَرَأَى الْحَبَّ نَاقِصًا قَالَ لِلْأُنْثَى: أَلَيْسَ كَمَا قَدْ اجْتَمَعْنَا عَلَى أَلَّا نَأْكُلَ مِنْ عُشِّنَا شَيْئًا؟ فَلِمَ أَكَلْتُ؟ فَحَفَلَتْ الْأُنْثَى أَنَّهَا مَا أَكَلَتْ مِنْهُ حَبَّةً. فَلَمْ يَصْدَقْهَا، وَجَعَلَ يَنْقَرُهَا وَيَضْرِبُهَا حَتَّى قَتَلَهَا. فَلَمَّا جَاءَ الشِّتَاءُ وَالْأَمْطَارُ نَدِيَ الْحَبُّ، وَعَادَ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ، وَامْتَلَأَ الْعُشَّ كَمَا كَانَ. فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ الذَّكَرُ، نَدِمَ



واضطجع إلى جانبها وناداهـا: كيف ينفعني العيش إذا طلبتك فلم أقدر عليك ؟

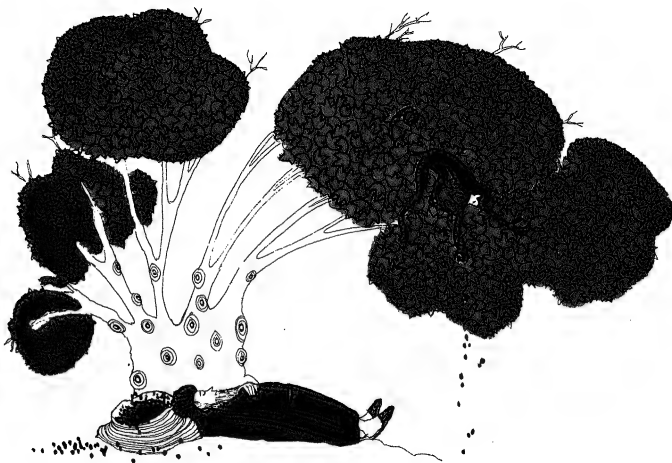
فمن كان عاقلاً علم أنه لا ينبغي أن يعجل بالعذاب والعقوبة، ولا سيما بعذاب من يخاف أن يندم عليه كما ندم الحمام الذكر .

وقد سمعت أن رجلاً كان على ظهره كارةٌ عَدَسٌ فدخل بين شجر كثير فوضع حمـله ورقـد. فنزل قرد كان في الشجرة التي نام تحتها، فأخذ مِلء كفه من ذلك العَدَس، ثم صعد في الشجرة فسقطت من يده حبة فطلبها فلم يجدها، وانتثر العَدَس من يده فلم يقدر على جمعه. وأنت أيها الملك عندك ستة عشر ألف امرأة تدعُ أن تلهو بهنّ وتطلب التي لا تجد ! فلما سمع الملك ذلك خشي أن تكون إيراخت هلكت، فقال لإبلاد: أفي سقطت واحدة كانت مني فعلت ما أمرتك به من ساعتك، وتعلقت بكلمة واحدة، ولم تثبت في الأمر ؟ قال إبلاد: إن الذي قوله واحد، لا يختلف كلامه عندي، واحد. قال الملك: ومن ذلك ؟ قال: الله، عز وجل، الذي لا يبدل كلامه ولا يختلف قوله. قال الملك: اشتدّ حزني لقتل إيراخت. قال إبلاد: اثنان ينبغي لهما أن يشتدّ حزنهما: الذي يعمل الإثم، والذي لم يعمل براً قط؛ لأنّ فرجهما في الدنيا قليل. قال الملك: لئن رأيتُ إيراختَ حيّة لا أحزنُ أبداً. قال إبلاد: اثنان لا ينبغي لهما أن يحزنا أبداً: المجتهد في البرّ، والذي لم يأثم قط. قال الملك: ما أنا بنّاظر إلى إيراخت سوى ما نظرتُ. قال إبلاد: اثنان لا ينظران أبداً: الأعمى والذي لا عقل له؛ فإنه كما أنّ الأعمى لا يبصر السماء ولا النجوم ولا الأرض، ولا يبصر القريب ولا البعيد ولا أمامه ولا خلفه، كذلك الذي لا عقل له، لا يبصر منفعته من مضرّته، ولا يعرف العاقل من الجاهل، ولا الحسن من القبيح، ولا المحسن من المسيء. قال الملك: لئن رأيتُ إيراختَ ليستدّن فرحي. قال إبلاد: اثنان هما يريان وينبغي لهما أن يشتدّ فرجهما: البصير والعالم؛ فكما أنّ البصير يبصر نور العالم وما فيه، كذلك العالم يبصر الإثم فيجتنبه، والبرّ فيعمله ويهدي من اتّبعه إلى سبيل الخير. قال الملك: ما شبتُ من رؤية إيراخت قط. قال إبلاد: اثنان لا يشبعان أبداً: الذي لا همّ له

إلا جمعُ المال، والذي يأكل ما يجد ويسأل ما لا يجد. قال الملك: إنه لينبغي لنا أن نتباعد عنك يا إبلاذ ! فإنك بذلك جدير. قال إبلاذ: اثنان ينبغي أن يُتباعدَ منهما: الذي يقول: لا عذاب ولا حساب ولا ثواب ولا شيء إلا ما هو فيه، والذي لا يقدر أن يصرف بصره عن شهواته وعمّا ليس له، ولا أذنه عن استماع السوء، ولا فرجه عن نساء غيره، ولا قلبه عما بهم به من ركوب الإثم، فيصير أمره إلى الندامة والخوان وخزي الأبد الدائم. قال الملك: صرتُ من إيراخت صيفراً. قال إبلاذ: ثلاثة هنّ أصفار: البحر الذي ليس فيه ماء، والأرض التي ليس فيها ملك، والمرأة التي ليس لها زوج. وأخرى: من لا يعرف الخير من الشر. قال الملك: إنك لمُلقَى الجواب يا إبلاذ ! قال إبلاذ: ثلاثة هم ملقون الجواب: الملك الذي يَقسم ويُعطي من خزائنه، والمرأة المسمّاة لبعض من تهوى من ذوي الأحساب، والرجل العالم الذي قد تفرغ للعبادة. قال الملك: لقد ازددتُ حزناً بتعزيتك يا إبلاذ. قال إبلاذ: ثلاثة ينبغي لهم أن يحزنوا: الذي فرسه سمين حسن المنظر سيء المخبر، وصاحب المرقّة التي كثيرٌ ماؤها قليل لحمها ولا طعم لها، والذي ينجح المرأة الحسبية ولا يقدر على إكرامها فلا تزال تُسمعها ما يؤذيه. قال الملك: هلكتُ إيراخت ضيعةً في غير شيء ! قال إبلاذ: ثلاثة يضيعون في غير حقّ: الرجل يلبس الثياب البيض فلا يزال عند الكبير جالساً فيسودها بالدخان، والقصّار يلبس الخفين الجديدين ثم لا تزال قدماه في الماء، والرجل التاجر يتزوّج المرأة الحسناء الشابة ثم لا يزال بأرض بعيدة. قال الملك: إنك لأهلٌ أن تعذب أشدّ العذاب. قال إبلاذ: ثلاثة ينبغي لهم أن يعذبوا: المجرم الذي يعاقب من لا ذنب له، والمتقدم إلى مائدة لم يُدع إليها، والذي يسأل أصدقاءه ما ليس عندهم ولا يدع مسألتهم. قال الملك: إنه لينبغي لك أن تسفّه يا إبلاذ. قال إبلاذ: ثلاثة ينبغي لهم أن يسفّهوا: التجار الذي يترك البيت الصغير بأهله ثم لا يزال ينحت الخشب فيملاً بيته فأهله في ضيق وضرر، والذي يتكلف الحلق بالموسى ولا يُحسن فيُقصد عمله ويعقر صاحبه، والغريب المقيم بين ظهرائي عدوه ولا يريد الرجوع إلى أهله فإن مات - مع غربته - ورثوه فيصير ماله للغرباء ويُنسى ذكره. قال الملك: كان ينبغي لك أن تسكت حتى يهدأ غضبي يا إبلاذ ! قال إبلاذ: ثلاثة ينبغي لهم أن يسكتوا: الذي يرق في الجبل الطويل، والذي يصيد السمك، والذي يهيم بالفعل الجسيم. قال الملك: لينني قد رأيت إيراخت يا إبلاذ ! قال إبلاذ: ثلاثة

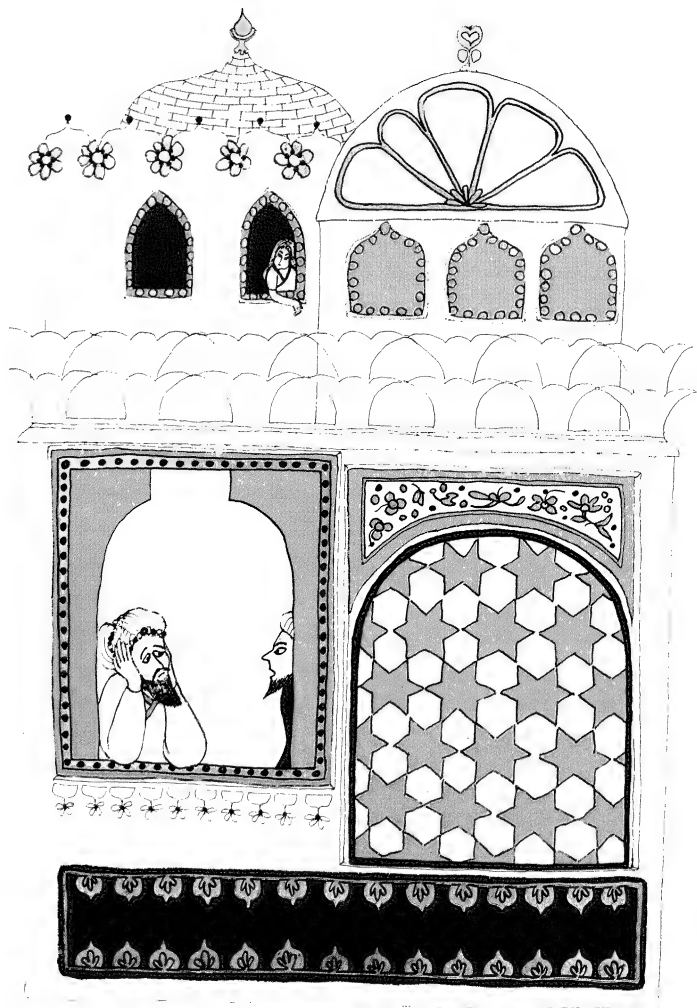
يَتَمَنُّونَ مَا لَا يَجِدُونَ: الفاجر الذي لا ورع له ويريد - إذا مات - منزلةَ الأبرار في الآخرة. والبخيل الذي يريد منزلةَ السَّمَّحِ الجواد، والفجرة الذين يسفكون الدماء - بغير حق - ويرجون أن تكون أرواحهم مع الشهداء الأتقياء. قال الملك: لقد أوجعت قلبي يا إبلاذ. قال إبلاذ: ثلاثة هم أوجعوا قلوبهم: الذي يأتي القتال ولا يتقي فيُقتل، والكثير المال الذي لا ولد له وتجارته في الربا والغلاء على الناس، فربما حسده بعضهم فقتله، والشيخ الكبير ينكح المرأة الحسنة الفاجرة الجريئة على ما لا تزال ترتكبه، فلا تبرح تمنى موته لتنكح زوجاً غيره شاباً، فيكون هلاكه على يديها .

وأخذ القرد ملء كفه من العدس، ثم صعد الشجرة .. وانشتر العدس من يده



قال الملك: إني لحقير في عينك يا إبلاد ! قال إبلاد: ثلاثة يحقرون أربابهم: الذي يهذي بالكلام ويتحدث بما لا يُسأل عنه ويقول ما يعلم وما لا يعلم، والمملوك الغنيّ وسيده فقير فلا يعطي سيّدَه شيئاً من ماله ولا يعتدّ به، والعبد الذي يُغلظ لسيّدَه في القول ويستطيل عليه. قال الملك: إنك لتسخر بي يا إبلاد ! لست إيراخت لم تكن ماتت ! قال إبلاد: ثلاثة ينبغي أن يُسخرَ منهم: الذي يقول: شهدتُ زُحوفاً كثيرةً فأكثرُ القتل، ولا يُرى في جسمه شيء من آثار القتال، والذي يُخبر أنه عالم بالدين ناسكٌ مجتهد وهو بادِنٌ غليظ الرقبة لا يُرى عليه أثر التخشع، والمرأة التي تذكر أنها عذراء وليست بعفيفة ولا حصّان . قال الملك: إنك لتجبر يا إبلاد ! قال إبلاد: ثلاثة يشبهون المتجبرين: الجاهلُ الموسوس الذي يتعلم ورده على العالم فلا يقبل منه ويماريه بجهله ولا يحجزه ذلك عن أن يعود لأمثاله، والذي يهيج السفیه ويتحرّشُ به فيُسمعه أذاه والكذب عليه فيؤذي بذلك نفسه، والذي يُفضي بسرّه إلى من يذيعه ويُدخله في الأمر العظيم ويثق به ثقته بنفسه. قال الملك: أنا الذي شققتُ على نفسي ! قال إبلاد: اثنان هما جلبا المشقة على أنفسهما: الذي ينكص على عقبيه ويمشي القهقري فرما عثر فوقع في مهواة فينكسر، والذي يقول: لست أهاب القتال ولا أتقيّه فيغترّ غيره به فإن لقي عدواً كان همّه الفرار. قال الملك: قد تصرّم ما بيني وبينك يا إبلاد ! قال إبلاد: ثلاثة لا يلبث ودّهم أن يتصرّم: الخليل الذي لا يلاقي خليله ولا يكتأبه ولا يرأسله، والرجلُ الذي يُكرمه أحبّاه فلا يُنزِل ذلك منهم منزلته ولا يقبله بقبوله ولكن يستهزئ بهم ويسخرُ منهم، والمعاطي أنخلّاه في الفرح والنعم وقرّة العين يسألهم أموراً لا يقدرّون عليها. قال الملك: قد عملتُ بقتل إيراخت عملاً يُستدلّ به على قلة عقلك وخفة حلمك يا إبلاد ! قال إبلاد: ثلاثة يعملون بجهلهم ما يُستدلّ به على خفة أحلامهم: المستودعُ ماله من لا يعرف، والأبله القليل العقل الجبان ثم يخبر

قال الملك: صرت من إيراخت صفراً



الناس أنه شجاع مقاتل ، والذي يزعم أنه تارك لأمر الجسد مقبل على أمور الروح وهو لا يُلقَى إلا متابعاً لهواه. قال الملك: إنك لغير عاقل يا إبلاذ ! قال إبلاذ: ثلاثة لا ينبغي لهم أن يُعدّوا من أهل العقل: الإسكاف الذي يجلس على المكان المرتفع فإذا تدرج شيء من أذاته شغله عن كثير من عمله، والخيّاط الذي يطيل خيطه فإذا تعقّد شغله تخليصه عن خياطته، والذي يقصّر من شعور الناس وبلتفت يميناً وشمالاً فيفسد عمله. قال الملك: يا إبلاذ كأنك تريد أن تعلم الناس حتى يمهرّوا وتعلمني أيضاً حتى أكون ماهراً ! قال إبلاذ: ثلاثة زعموا أنهم مهروا وينبغي لهم أن يتعلموا: الذي يضرب بالصنّج والعود والطبل حتى يوافق المزمار وسائر الألحان، والمصور الذي يحسن خطّ التصاوير ولا يحسن خلط الأصباغ، والذي يزعم أنه ليس بمحتاج إلى علم شيء من الأعمال .

قال الملك: إنك يا إبلاذ تعمل بغير الحق. قال إبلاذ: أربعة يعملون بغير الحق: الذي لا يصدّق لسانه ولا يحفظ قوله، والسريع في الأكل البطيء في العمل والحرب وخدمة من فوقه، والذي لا يستطيع أن يُسكّن غضبه، والملك الذي يَهْم بالأمر العظيم ويرتكبه. قال الملك: لو عملت بسنّي لم تقتل إيراخت يا إبلاذ. قال إبلاذ: أربعة يعملون بالسنة: الذي يصنع الطعام وينظفه لسيده ثم يقدمه إليه في إبانته، والذي يرضى بامرأة واحدة ويُحصن فرجه عن نساء غيره، والملك الذي يعمل الأمر العظيم بمشاورة العلماء، والرجل الذي يقهرّ غضبه. قال الملك: إني لخائف منك يا إبلاذ. قال إبلاذ: أربعة يخافون مما لا ينبغي: الطائر الصغير الذي في الشجر يرفع إحدى رجليه مخافة أن تسقط السماء عليه فيدفعها¹² بها، والكرّكي الذي يقوم على إحدى رجليه مخافة أن تنخسف الأرض به إن وضع الأخرى، والدودة التي تكون في الأرض وطعامها التراب فتقلّ من الأكل مخافة أن ينفى التراب فهي من ذلك خائفة، والخفّاش الذي يمنع من الطيران بالنهار أنه يرى أن ليس على الأرض طائر أحسن منه فيخاف أن تصيده الناس فيحبسوه عندهم. قال الملك: أكنت نذرت أن تقتل إيراخت يا إبلاذ ؟ قال إبلاذ: أربعة ينبغي لهم أن تُقبل فيهم الندورُ ألا يفارقوا: الفرس الجواد الثمين الذي هو عدو مولاه، والثور الذي يُحرث عليه، والمرأة العاقلة الحجة لزوجها، والعبد المجتهد الناصح في الخدمة الصادق الهائب

لسيده. قال الملك: لن تطيب نفسي بقتل إيراخت يا إبلاذ. قال إبلاذ: ثلاثة ينبغي لهم أن يحزنوا: العاقل الذي يحبه الجاهل بما لا ينبغي ولا يقبل منه، والرجل الرغب البطن الغني من المال، والرجل السيء الخبيث النفس. قال الملك: ما ينبغي لنا مخالطتك يا إبلاذ. قال إبلاذ: أربعة لا يخالط بعضهم بعضاً: النهار والليل، والبر والفاجر، والظلمة والنور، والخير والشر.

قال الملك: لقد أثبت في نفسي عليك حقدًا بقتلك إيراخت يا إبلاذ. قال إبلاذ: أربعة الحقد فيهم ثابت: الذئب والخروف، والسنور والجرذ، واليوم والغربان، والبازي والدراج. قال الملك: أفسدت حكمتك يا إبلاذ! قال إبلاذ: أربعة يفسدون أعمالهم: المفسد الحسنات بالسيئات، والمملك يكرم العبد، والوالدان يفضلان المفسد من أولادهما على المصلح، والمؤمن المحتال الواشي على السر. قال الملك: أما لك رحمة فترحمني يا إبلاذ؟ قال إبلاذ: خمسة لا رحمة لهم: الملك الحقود الهلير في القول، والحامل الموتى بالأجر، واللص المراقب للمساء ليغير على الناس فيسرقهم، والصادق الناس عن القصد إلى الجور، والجريء الجاهل المقدم على ما ليس له وإن أتلغ نفسه ونفس غيره في طلب حاجته وشحه. قال الملك: من رد علي إيراخت فله عندي من المال ما أحب. قال إبلاذ: إن الذين يحرسون على ما ذكرت فيحبون جمعه من غير الحق، وهو أثر عندهم من أنفسهم، خمسة نفر: المقاتل الذي لا نية له ولا روية إلا



يفضي بصره إلى من يذيعه

في إصابة الطمع ونيله، واللص الذي ينقب البيوت ويعرض لابن السبيل فُتْقَطع يده أو يقتل، والتاجر الذي يركب في البحر يطلب الدنيا، وصاحب السجن الذي يتمنّى أن يكثر أهله فيصيب منهم، والقاضي الذي يأخذ الرشوة فيجور في الحكم. قال الملك: أفسدت عليّ العيش يا إبلاذ ! قال إبلاذ: الذي يكون على ما وصفت، سبعة¹³ نفر: الفقيه العالم الذي لا يُعرف بذلك فيقتبس منه، والملوك الذي يأتي المعروف إلى كل غامطٍ كفور منكر لكل ما يصنع، والعبد الذي يكون سيده فظاً غليظاً لا رحمة له، والمرأة التي تحب ولدها وهو فاسق خبيث وتستر عليه سيئاً أموره وتغفرها له، والمرد يأمن الفاجر الغادر الجريء على ركوب المحارم ويسترسل إليه، والذي يسرع ملائمه إلى الخلان، والذي لا يراقب الله ولا أهل الدين والصلاح .

قال الملك: لقد كرهتُ قتل إيراخت. قال إبلاذ: سبعة أشياء مكروهة: الشيخوخة التي تسلب الشباب، والوجع الذي يُنحل الجسم ويترف الدم، والغضب الذي يُفسد علم العلماء وحكم الحكماء، والهَمُّ الذي ينقص العقل ويسل الجسم¹⁴، والبرد الذي يغيّر النبات، والجوع والعطش اللذان يجهدان كلّ شيء، والموت الذي يفسد جميع البشر. قال الملك: ما ينبغي لي أن أكلمك بعدها يا إبلاذ. قال إبلاذ: ثمانية نفر لا يستقيم القول معهم ولا العمل: المشاور من لا حلم له، والذي يصرف الكذب قلبه عن أخيه، والمعجب بنفسه، والمستبدّ برأيه، ومن ماله أثر عنده من نفسه، والضعيف الذي يسافر السفر البعيد، والذي يعاند سيده ومعلمه وهما مسلطان عليه، ومن يلقي ذا مودة بالخصومة والجدال. قال الملك: لأهتّم وأحزن إذا رأيتُ اثني عشر ألف امرأة وليس فيهنّ إيراخت. قال إبلاذ: ليس أحد بحقيق أن يحزن على المرأة إذا كان فيها أربعة أشياء: إذا كانت جاهلة جريئة على أمرها، أو خفيفة اليد لصمة تذهب بما أسديت لها، أو عمياء لا جمال لها ولا حسب، أو سيئة الخلق غير مواتية. قال الملك: لم يُصِبنني قطّ وجعٌ أشدّ عليّ ممّا وصل إليّ من إيراخت، لحلمها وعقلها. قال إبلاذ: خمسة أشياء إذا كنّ في المرأة كانت أهلاً لأن يُحزن عليها: إذا كانت كريمة الحسب عظيمة المنزلة في قومها، أو لبيبة

كالقاضي الذي
يأخذ الرشوة



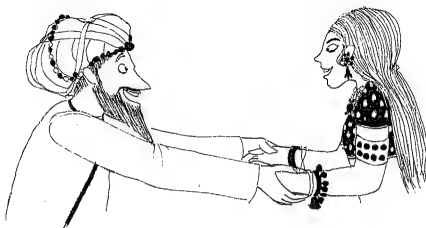
عاقلة ، أو حسناء كاملة صورة الوجه والخلق ، أو حصاناً حيّة ميمونة الطائر ° ، أو مؤنّية لزوجها راضية به متحنّنة عليه. قال الملك : لا أرى لإيراخت في النساء شبيهاً. قال إبلاّد : أربعة تفرّ لا ينصرفون عن حالهم : المرأة التي تعودت كثرة الأزواج فلا ترضى بقلّتهم ، والرجل الذي قد جرى لسانه بالكذب فإذا أراد الصدق اشتد عليه ، والرجل الغليظ الكدين °° المعجبُ برأيه لا يقدر أن يكون ليئناً ساكناً ، والرجل البطر الذي قد عدا طوره وطباعه الفجور فلا يستطيع أن يتحوّل من الفساد إلى الصلاح. قال الملك : ليس بأتيني النوم على حزني لإيراخت. قال إبلاّد : ستة تفرّ لا ينبغي لهم أن يهجعوا : الكثير المال وليس له خازن أمين عليه ، والمرء يريد الفتك بصاحبه ولا يقدر عليه ، والقاذف الناس بالبهتان عن عَرَض الدنيا ، والرجل الشديد المرض ولا طيب له ، والمرء الفاجر الزوجة ، والحبّ الذي يتخوف الأحداث على قرينه .

قال الملك : تنطق بين يديّ مع ما ترى من سَخَطِي يا إبلاّد ! قال إبلاّد : سبعة لا يزالون

في سَخَط: الملك السريع الغضب الضيق الصدر غير المتند، والمتند الذي ليس له مع تُؤدته علم، وعالم غير مريد للصلاح، ومريد للصلاح غير عالم، والقاضي المحب للدنيا، والرحيم للناس البخيل بما عنده، وجواد يلمس الثواب والشكر في العاجل. قال الملك: قد عَنَيْت نفسك يا إبلاذ وإيائي معك! قال إبلاذ: تسعة نفر يُعْنُون أنفسهم وغيرهم: المكثّر من المال الواصل بالناس، والمتمسّس ما لا يُنال ولا ينبغي له إدراكه، والبذّيء الفاجر العادي طوره، والذي يرى اللين ضعفاً وحسن الخلق وهناً ولا يقبل من ذي نصيحة إن بذلها له، ومن آزر الملوك والعظماء ولا رأي له ولا يتعلّم من غيره، وطالب العلم بخصومة من هو أنبل منه، والمحتال للملوك غير الباذل لهم النصيحة ولا المودة، والملك الذي يكون خادماً وقهرمانه كذاباً هزيراً، والبطيء الفهم الذي لا يكاد يفهم ولا يقبل الأدب. قال الملك: حسبك يا إبلاذ؛ فلقد تركتني في شكّ من أمري. قال إبلاذ: إنما ينبغي أن يجرب الناس في عشرة أشياء: الجريء في القتال، والحرّاث في العمل، والعبد في عشرة سيّده، والملك في الغضب كيف يكون حلمه وعلمه، والتاجر في مخالطة صديقه، والإخوان بالاحتمال للأذى، والفطن عند الشدائد كيف يكون رفقه وحيلته، والناسك في ورعه وتزهره، والجواد بالبذل والعطف، والفقير باجتنب الإثم وطلب الرزق من الحلال.

ثم سكت إبلاذ، وعلم أن الملك قد اشتدّ حزنه على إيراخت، واشتاق إلى رؤيتها، فقال: أنا خالق باتيان الملك بهذه التي قد أحبّها وحرّص على رؤيتها أشدّ الحرص، وحلم عني في طول مرادّي إياه في أشياء كثيرة، وإغلاظي له في القول. أيها الملك إني، مع رقة شأني وضعف خطري، قد أغلظت في القول واجترأت. وأنتم أيها الملوك، لكرم أصولكم وسعة أحلامكم، ملكتم أنفسكم وصبرتم على ما ممتع مني، فالشكر مني أيها الملك إذ لم تأمر بقتلي، وها أنا قائم بين يديك، وقد فعلت الذي فعلت بنصحي، فإن كانت دخلت هذه في معصية فإن لكم الحجّة والسلطان على عقوبي وقتلي.

فلما سمع الملك أن إيراخت حيّة، اشتدّ فرحه وقال لإبلاذ: إنه كان يمنعني من الغضب عليك ما علمت من نصيحتك وصدق حديثك، وكنت أرجو من علمك بالأمر ألا تقتل إيراخت. فقال إبلاذ: إنما أنا عبدكم، وحاجتي إليكم اليوم ألا تعجلوا بعدها في الأمر العظيم



واشتد فرح الملك
بعودة إيراخت

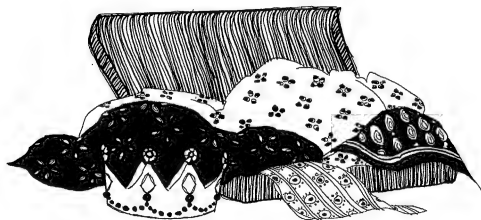
الذي يُندم عليه ويكون في عاقبته الهمُّ والحزن كما رأيت؛ ولا سيما في أمر هذه التي لا تجد لها
عديلاً في الأرض ولا شبيهاً، وأن تتلبثوا. فقال الملك: بحتي قلتَ يا إيلاد. وقد قبلتُ قولك
وكلَّ ما ذكرت. فكيف في مثل هذا الأمر العظيم الذي قد مرَّ بي؟ ولستُ عاملاً بعدها صغيراً
ولا كبيراً إلا بعد المؤامرة والنظر والتؤدة.

ثم إنَّ الملك أمر إيلاد أن يأتيه بإيراخت، فأتاه بها فأعطاه تلك الثياب، واشتدَّ فرحه
بها، وقال لها: اصنعي ما أحببتِ، فلن أصرفَ بعدُ عن هواك شيئاً. فقالت إيراخت: دام ملكك
إلى الأبد. كيف، لولا رأيك أيها الملك وسعةُ خلُقك، تندم على سيئة كانت منك؟ فإنك لو
تركت ذكرِّي آخرَ الدهر كنتُ لذلك أهلاً للذي كان من سفهي وشيقي وإقدامي على ما
أقدمتُ عليه من الأمر الذي له أمرٌ الملك بقتلي؛ وبرأفتك شكرتُ لإيلاد حسنَ صنعه، ولولا
ثقة إيلاد بسعة خلُقك لنفَذَ أمرُك في سلطانك. قال الملك لإيلاد: قد اصطنعتُ عندي ما
استوجبته به شكري، ولم تصنع بي شيئاً هو أعظمُ عندي من أنك لم تقتل إيراخت، بل أحيتها
بعدما قتلتها، فوهبتها لي ولجميع الرعية؛ فلم أكن قطُّ أرضي عنك مني اليوم، وأنت مسلط على

• المشاورة •

مُلْكِي فاصنع فيا أحببَ ما أحببت. قال إبلاَد: ليست بي حاجة فيا قَبْلَكَ إِلَّا التَّائِي عند الغَضَب، والروِيَّة عند الفِكر. فقال الملك: أنا صائر إلى رأيك .

ثم إنَّ الملك أمر بقتل البرهَمِيَّين الذين أشاروا عليه بقتل العِدَّة التي ذكرتها. وقَرَّت عينُه وعيون أهل مملكته وولده بالوزراء الصالحين الذين هم أحبُّ الخلق إليه .







قال الملك للفيلسوف: قد فهمتُ مثلَ الحلمِ فيما بين الملوك وقرايينهم؛ ولكن أريد أن تعرفني كيف ينبغي للإنسان أن يلتمسَ له مشيراً مناصحاً، وما الفائدةُ المستفادة من المشير الحكيم؟ قال الفيلسوف: إنَّ مثلَ ذلكِ مَثَلُ ملكِ الجرذان ووزيره الناصح له المتقذِّره وأهلَه ومُخلَصَهم من الشدائد العظام. قال الملكُ: وكيف كان ذلك؟ قال الفيلسوف:

زعموا أنه كان في أرض البراهمة بقعةٌ تسمَّى دورات مساحتها ألف فرسخ، وكان في وسط تلك البقعة مدينة تسمى بَدْرور². وكانت كبيرة آهلة، وكان أهلها يتصرفون في معاشهم كما يحبون. وكان في تلك المدينة جُرْد يُسمَّى مهرايز، وكان مملُكاً على جميع الجرذان الذين في تلك المدينة ورسايتيها³. وكان له ثلاثة وزراء يشاورهم في أموره، يسمَّى أحدهم رُودباد³،

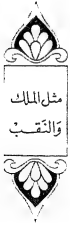
• ج رستاق: السواد، فارسي معرب .

وكان ذا عقل وحُكْمَة. وكان الملك معترفاً بعقله وجودة حيلته، ويسمى الثاني شيرع، والثالث بغداد. وكان الملك يُحضرهم جميعاً ويستشيرهم فيما يُصلح رعيته .

فحضروا يوماً وتفاوضوا في أشياء كثيرة إلى أن انتهى بهم الكلام إلى هذا المعنى: وهو هل في استطاعتنا أن نُزيل عنا ما قد توارثناه من أسلافنا من الفزع والخوف من السناير أم لا يمكن ذلك ؟ فقال شيرع وبغداد وزيراه: أنت رئيسٌ علينا لأنك في غاية العقل وإصابة الرأي. وقد قيل في آفتين من الآفات لا يمكن دفعهما إلاّ بمَدَبَر حكيم مصيب. ونحن متكونون على حِلْم الملك وحكمته وحسن تدبيره في هذا الأمر وغيره. ونحن مع هذا مستعدون لأمر الملك؛ فإنه سيكون لنا وللملك فيه اسم عظيم إلى الأبد. وسبيل جميع الجرذان، وخاصة نحن، أن نبالغ ونحرص ونجتهد في تبليغ الملك إرادته ولا سيما في هذا الأمر ولو بذهاب أنفسنا. فلما فرغ الوزيران من هذا الخطاب كانت عين الملك إلى الوزير الثالث؛ فلما لم يره يتكلم قال له بغضب: يا هذا قد كان سبيلك أن تذكر لنا ما عندك في هذا الأمر، ولا تكونَ كأنك أخرس أبكم لا تقدر على الجواب. فلما سمع الوزير من الملك هذا الكلام قال: ليس يجب أن يعذركني الملك حيث أمسكتُ عن الكلام إلى هذا الوقت، لأنني فعلت ذلك لأستمع جميع ما أتى به أصحابي على الكمال، وأفكر فيه، ثم بعد ذلك أذكر ما عندي. قال له الملك: قل إذن ما عندك. قال: ما عندي أكثر من هذا: وهو أنه إن علم الملك أنَّ له حيلة يبلغ بها مراده من هذا الأمر، ويتحقق ذلك تحقّقاً صحيحاً، وإلاّ فما سبيله أن يحرص عليه ولا يدبّر بفكره فيه؛ لأنّ ما يتوارث من الآباء والأسلاف في الأصلاّب والجنس ويتأدّى من الآباء إلى الأولاد بالطبع، لا يقدر ملك من الملائكة، دع الناس، على تغييره. قال الملك له: ليس ما يتوارث من الجنس فقط، ولكن كل أمر من الأمور وإن صغر وقلّ، لا يمكن أن يتمّ إلاّ بعناية من فوق؛ وذلك أنّ انتهاء كل أمر من الأمور إنما يكون في زمان من الأزمنة، غير أنّ معرفة ذلك الزمان خفية عن الناس، والعناية تحتاج إلى حرص كما يحتاج ضوء العينين إلى ضوء الشمس. قال الوزير: الأمر على

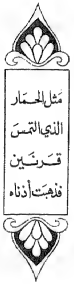
• يعطى ويورث .

ما قال الملك؛ لكن إذا لم تمكن الحيلة وليس لمقاومة الشيء الذي يتوارث مع الجنس وجهه. فتركه أصلح؛ فإن من قاوم ما يتوارث في الجنس فكأنه يريد أن يعارض ما قد اتفق عليه. وربما نُسج من ذلك آفة أعظم من الأولى وآل الأمر فيه إلى أحوال من العطب لا تتلافى؛ كما أصاب الملك الذي يحدث عنه. قال الملك: وكيف كان ذلك؟ قال الوزير:



مثل الملك
والتقرب

زعموا أنه كان على بعض نواحي النيل ملك، وكان في بلده جبل شامخ كثير الأشجار والنبات والثمار والعيون. وكانت الوحوش وسائر الحيوانات التي في ذلك البلد يعيشون من ذلك الجبل. وكان في سفح ذلك الجبل نقب يخرج منه جزء من سبعة أجزاء من جميع الرياح التي تهب في الثلاثة الأقاليم ونصف من أقاليم العالم. وبالقرب من ذلك النقب بيت في غاية حسن البناء والترصيف لم يكن له نظير في العالم كله. وكان الملك وأسلافه من الملوك يسكنون ذلك البيت والموضع، لم يكن يتهيا لهم أن يتحولوا منه. وكان للملك وزير يشاورة في أموره، فاستشاره يوماً من الأيام وقال له: تعلم أنا، بما قد تقدم من أفعال آبائنا الجميلة، في نعيم فائضة، وأمورنا تجري على محبتنا. وهذا المنزل الذي نحن فيه، لولا هذا النقب ولولا كثرة الرياح لكان شبيهاً بالجنة. ولكن سبيلنا أن نجتهد فلعلنا نجد حيلة يمكننا بها أن نسدّ فم هذا النقب الذي تهب منه هذه الرياح؛ فإننا إذا فعلنا ذلك كنّا قد ورثنا الجنة في هذه الدنيا، مع ما يكون لنا من الأثر الجليل المؤبد. قال الوزير: أنا عبدك ومسارع لما تأمر به. قال الملك: ليس هذا جوابي، قل ما عندك. قال له الوزير: ما عندي في هذا الوقت جواب غير هذا، لأن الملك أعلم وأحكم وأشرف مني. وهذا الأمر الذي ذكره لا يمكن أن يعمل إلا بقوة إلهية. فأما الناس فلا يطبقون ذلك لأنه عظيم، وما سبيل الصغير أن يدخل في الأمر العظيم الكبير. فليتأمل الملك ما يريد أن يفعله؛ فإن علم أن له سبيلاً يوصلنا إليه ويكون عارفاً بما ينتج عنه من خير وشرّ معرفة صحيحة، وإلا فما سبيله أن يهتم به ولا يصرف عنايته إليه؛ فإن الكلام فيه الساعة سهل. فأما معرفة ما يؤول إليه من خير وشرّ معرفة صحيحة، فهو خفي عن الناس، صعب الإدراك. فلهذا ينبغي أن تُنعم النظر لئلا يبلحقك من هذا الأمر ما لحق الحمام الذي ذهب يلتبس أن ينبت له قرنان فذهبت أذناه⁴. قال الملك: وكيف كان ذلك؟ قال الوزير:



زعموا أنَّ حماراً كان لبعض الناس وكان صاحبه يوسع له في العلف. فخصب الحمار وكلب وهاج. واتفق يوماً أنَّ صاحبه ساقه إلى نهر ليشرب، فبصر الحمار من بعيد بأنان. فلما رآها هاج وأدلى ونهق وشغب. فلما رأى صاحبه هيجانه خشي أن ينفلت منه فربطه في شجرة كانت على شطّ النهر، وتقدّم إلى صاحب الأتان بردها ففعل. وبقي الحمار يدور حول الشجرة ويزيد هيجانه. فبينما هو يدور إذ طأ رأسه فنظر إلى إحليله وتوتره فقال في نفسه: هذه العصا تصلح للفرسان والقتال؛ ولكن إيشه الفائدة فيها وحدها وليس لي غيرها، والعصا وحدها لا تفي بقتال الناس؟ ومع هذا فلست أنا ماهراً بالفروسية، إلا أنه على كل حال أنا قادر أن أظعن بهذه العصا وأضرب. فبينما الحمار يتفكر في مثل هذا، وصاحبه جالس على الشطّ ينتظر سكون هيجانه ليرده، إذ اتفق في ذلك الوقت أن أَيْلاً كبيراً عظيم القرون قد أتى به صاحبه إلى النهر ليسيّقه. فلما نظر الأَيْل إلى الحمار، والحمار إلى الأَيْل وأعجب الحمار كثرة قرونيه، وأنه المعني الذي أراد، هش إليه وفكر وقال: ما حمل الأَيْل هذه القرون إلا وعنده رماح وقسيّ وسائر أنواع السلاح، وبلا شك إنه ماهر بالفروسية. ولو استوى لي أن أهرب من موضعي وألزم هذا الأَيْل وأخدمه وأطيعه فما يأمرني به، لقد كنت أتفرّس، وكان هو أيضاً إذا رأى خدمتي ونصحي واکرامني لم يخل عليّ بهبة شيء من السلاح. ولو لم يرد الله بي سعادة جدّ ما ساق هذا الأَيْل إليّ. وإن الأَيْل لما رأى هيجان ذلك الحمار بقي متعجباً لا يشرب. فقال الحمار: أظن أنني قد أعجبته لما رأى من شهامي وحسني وقد اشتغل قلبه بي .

ثم إنَّ صاحب الأَيْل لما رآه لا يشرب رده إلى بيته. وكان بيتُ صاحب الأَيْل بالقرب من الشطّ الذي كان الحمار مربوطاً فيه. ولم يزل الحمار يمدّ عينه وينظر إلى الأَيْل في رجوعه إلى أن دخل بيت صاحبه، وعلم على الموضع علامة يعرفه بها. ثم إنَّ صاحب الحمار رده أيضاً إلى بيته وشده على معلقه وطرح له علفاً. فكان الحمار مشغول القلب بالمضي إلى عند الأَيْل فلم يهنيه أكل ولا شرب، وأخذ يفكر ويحتال في ذلك وقال: ينبغي أن أجعل هربي إليه في

الليل. فلما جاء الليل واشتغل أصحابه بالعشاء والشرب، اجتهد حتى قلع مقوده ونخرج هارباً إلى الدار التي دخل فيها الأيّل. فلما انتهى إليها وجد الباب مغلقاً مستوثقاً منه فاطلع من شق الباب فرأى الأيّل مُحلّى من رباطه. وخشي الحمار أن يراه الناس فوقف في زاوية الحائط إلى الغداة. فلما كان بالغداة أخذ الرجل الأيّل ومضى به إلى النهر ليسقيّه. وكان الرجل يمشي قدماه ويسوقه بحبل مربوط في عنقه. فلما رأى الحمار ذلك أتبعه يماشيه ويخاطبه بلغته، ولم يكن الأيّل عارفاً بلغة الحمير، فلم يفهم عنه كلامه، ونفر منه، وأخذ يقائله، والتفت صاحب الأيّل، وكان معه عصا فضربه. فقال الحمار في نفسه: ما يمنعني من كلام هذا الأيّل واللطف به والخدمة له وكشف ما عندي إلا هذا الرجل الذي يقوده. فوثب عليه وقبض على ظهره بأسنانه فعضه عضّة شديدة، فما تخلص الرجل منها إلا بعد شدة. فقال الرجل: إن أنا واخذته لم آمن من بليّة يلقيها بي؛ ولكني أودّ أن أعلم فيه علامة حتى إذا رأيته طالبت صاحبه بثأري. فأخرج سكيناً كانت معه فقطع بها أذني الحمار. وعاد الحمار إلى دار أصحابه، وكان الذي نزل به من صاحبه أشدّ من قطع أذنيه. فحينئذ فكّر الحمار وقال: لقد كان آباي أقدر مني على هذا؛ لكن خافوا من سوء عاقبته فامتنعوا منه.

قال الملك: قد سمعت مثلك هذا، وما سيملك أن تخاف من هذا الأمر؛ فإنه، والعياذ بالله، إن لم يتم لنا ما نريده منه فلا بأس عليك وعليّ. فنحن قادرون على خلاص نفوسنا من سوء عاقبته. فلما رأى الوزير الملك مشتهياً لهذا الأمر لم يماره بعدها فيه، ولكن دعا له.

ثم إن الملك أمر بالمناداة في جميع أعماله ألا يبقى صغير ولا كبير إلا ويحيته في يوم كذا وكذا من شهر كذا وكذا بحمل حطب. فعمل الناس على هذا. وكان الملك قد عرف الوقت الذي ينقص فيه هبوب الرياح. فلما كان في ذلك الوقت أمر الناس بسدّ النقب بالحجارة والحطب والتراب، وأن يبنوا عليه دكة عظيمة. ففعلوا ذلك. وامتنعت الرياح التي كانت تخرج من ذلك النقب، وفقد البلد كلّ نسيم اهواء وهبوب الرياح، فجفت الأشجار ونشفت المياه. ولم يمض ستة أشهر حتى جفت العيون، وبيست كل خضراء في الجبل من الشجر والنبات، وبلغ ذلك إلى نحو من مائة فرسخ، وتماوت المواشي وسائر الحيوانات، ووقع الواء في الناس، وهلك خلق كثير. فلم يزل هذا البلاء بأهل البلد فوثب من بقي منهم ثمن به رمق، وتجمعوا إلى

باب الملك فقتلوه ووزيره وأهله ولم يبق منهم أحد. ثم مضوا إلى باب ذلك النقب فقلعوا الدكان^٥ والحجارة من الباب وطرحوا في ذلك الحطب ناراً، فالتهمت. فلما بدأت في الالهب عاد الناس إلى مواضعهم. ثم إنَّ الريح التي كانت قد احتقنت في مدة الستة أشهر خرجت بحمى شديدة فطرحت النار في سائر البلد. ودام هبوب الرياح يومين وليلتين، فلم يبق في ذلك البلد مدينة ولا قرية ولا حصن ولا شجرة إلا أحرقت النار.

وإنما ضربت لك هذا المثل لتعلم أنَّ ما يتوارث ويسري في الجنس صعب الزوال؛ ولكنَّ سبيل الإنسان إذا أراد أن يباشر أمراً من الأمور، وكان بالقرب منه رجل حكيم، أن يسأله أولاً ويشاورة ويأخذ رأيه فيه. وإن لم يكن بالقرب منه، فسيبِّله أن يشاور العوامَّ فيه ويطلب البحث معهم والتفتيش؛ فإنه بهذا الطريق يمكنه أن يعلم ما في عاقبة هذا الأمر من الخير والشر عند ما يعين في الفحص والتنقيب.

فلما سمع الملك ذلك بدأ يشاورُ الثلاثة وزراء بالعكس من أسفل إلى فوق فقال لأصغرهم عنده: ما تقول أنت في هذا الأمر الذي نحن فيه وما الذي يجب أن نصنع؟ قال الوزير: عندي أن تجعل أجراس كثيرة، ويعلق كل جرس منها في عنق واحد من السنانير ليكون كلما ذهب وجاء سمعنا صوت الجرس فحذرنا منها ولم ينلنا مضرة. فقال الملك للوزير الثاني: ما الذي عندك فيما أشار به صاحبك؟ قال: أنا غير حامد لمشورته. وهبنا أحضرنا أجراساً كثيرة؛ من ذا يقدر أن يتقدم إلى السنور حتى يعلق عليه ذلك؟ وهبنا علّقنا الأجراس في رقابها، فما الذي يمنع السنور من الإضرار بنا؟ وما الذي يزيل عنا الخوف؟ ولكن الذي عندي أن نخرج جميعنا من هذه المدينة ونقيم في البرية سنة واحدة إلى أن يعلم أهل المدينة أنهم قد استغنوا بغيبتنا عن السنانير، لأنه قد يلحق الناس مضرة عظيمة من السنانير؛ فإذا علموا أنه لم يبق في المدينة جرذ واحد قتلوا السنانير وطردوها وتهاربت. فإذا هلكوا عدنا نحن بأجمعنا إلى المدينة كما كنا. قال الملك للوزير الثالث: ما عندك فيما قال الوزير؟ قال: أنا غير حامد لما قال. وذلك أنا لو

٥ ما ذك به باب النقب.

خرجنا بأجمعنا إلى البرية، وأقمنا فيها سنة واحدة، فعلى كل حال ليس يمكن أن تنفى السناير من هذه المدينة، ونلقى نحن في البرية من الشقاء والبلاء ما ليس هو بدون فرعنا من السناير، لأننا لم نعتد الشقاء قبل هذا. ثم إننا لو رجعنا إلى المدينة لم يدم لنا ذلك الأمر إلا مدة سيرة؛ وذلك أن الناس، إذا عدنا وعاد فسادنا، أعادوا السناير وعادت الحال في الفرع كما كان، ويمضي شقاؤنا وغربتنا فارغاً.

قال له الملك: فقل الآن أنت ما عندك. قال الوزير، وهو روذباد: لا أعرف في هذا الباب إلا حيلة واحدة؛ وهو أن يحضر الملك إلى حضرته جميع الجرذان الذين في هذه المدينة ونواحيها فيأمرهم أن يتخذ كل واحد منهم في البيت الذي يأوي فيه ثقباً يسع جميع الجرذان، ويُعد فيه زاداً لكفالتهم عشرة أيام، ويفتح للبيت سبعة أبواب مما يلي الحائط، وثلاثة أبواب مما يلي خزانة الرجل والثياب والفرش. فإذا فعلوا هذا قمنا بأجمعنا إلى دار بعض الموسرين ممن يكون له في داره سنور واحد، وأقمنا على كل باب من السبعة أبواب نرصد السنور كيلا يدخل علينا بغتة. ويكون لنا عليه عين على ذهابه ومجيئه، لأنه لا بد من أن يطمع ويقف على بعض الأبواب. ثم ندخل بأجمعنا من الثلاثة أبواب إلى خزانة المتاع، ولا نعرض للمأكول، ولكن نقصد إلى الفساد في الكسوة والفرش، ولا نسرف في الفساد. فإذا رأى صاحب المنزل ذلك الفساد قال: لعل هذا السنور لا يكفي! فيزيد آخر. فإذا فعل ذلك أكثرنا من الفساد وبالغنا فيه، فيميز ذلك صاحب المنزل ويقول: إن الفساد يزيد بكثرة السناير، ولكي أجرب بإخراج سنور واحد. فإذا فعل ذلك ونقص سنور نقصنا نحن من الفساد قليلاً. فإذا أخرج الثاني نقصنا أيضاً من الفساد أكثر. فإذا أخرج الثالث خرجنا من ذلك المنزل إلى غيره وأجرينا أمره مجرى البيت الأول. فلا نزال ندور من منزل إلى منزل ونملا المدينة وندورها إلى أن يتبين للناس أن الذي يلحقهم من المضرّة العظيمة هي من قبل السناير. فإنهم إذا تبينوا ذلك لم يقتصروا على قتل السناير التي في البيوت فقط لكنهم يطلبون السناير البرية فيقتلونها.

ففعّل الملك وسائر الجرذان ما أشار به الوزير. فما مضت ستة أشهر حتى هلك كل سنور

في المدينة ونواحيها. ومضى ذلك الجيل من الناس، ونشأ بعدهم قرن آخر على بغضة السناير؛ فكانوا، متى ظهر لهم أدنى فساد من القار، يقولون: انظروا لا يكون اجتاز بالمدينة سنور. وكانوا أيضاً، متى حدث بالناس أو بالبهائم مرض، يقولون: يوشك أن يكون عبر هذه المدينة سنور. فبهذا النحو تخلص الجرذان من فزع السناير واطمأنوا منهم.

فإذا كان هذا الحيوان الضعيف المهين احتال بمثل هذه الحيلة حتى تخلص من عدوه، ودفع الضرر عن نفسه، فما يجب أن نقطع الرجاء من الإنسان، الذي هو أكيس الحيوان وأكمله وأحكمه، أن يدرك من عدوه ما أراد بحيلته وتدبيره.







باب السنور والجرد

قال الملكُ للفيلسوف: قد سمعتُ المثلَّ الذي ضربتَ، فاضرب لي الآن، إن رأيتَ، مثلَ رجلٍ كثرَ عدُوهُ وحصرَوه من كلِّ جانبٍ، فأشرفَ على الهلكةِ، فالتمسَ المخرجَ بموالةِ بعضِ العدوِّ ومصالحتِهِ، فسلمَ ممَّا يتخوَّفُ، ووَفَّى لمن صالحَ منهم. فأخبرني عن موضعِ الصلحِ وكيف يُلتَمَسُ ذلك .

قال الفيلسوف: إنَّ العداوةَ والمودةَ والبغضاءَ ليس كُلُّها تثبُتُ وتدومُ، وكثيرٌ من المودةِ يتحوَّلُ بُغْضاً، وكثيرٌ من البغضِ يتحوَّلُ محبةً ومودةً، عن حوادثِ العللِ والأمورِ. وذو الرأيِ والعقلِ يُهيِّئُ لكلِّ ما حدثَ من ذلكَ رأياً، من الطمعِ فيما يحدثُ من ذلكَ قِبَلِ العدوِّ، واليأسِ مما عندَ الصديقِ. فلا يمتنعنَّ ذا العقلِ عداوةُ كانت في نفسه لعدُوهِ من مقاربتِهِ والتباسِ ما عنده، إذا طمعَ منه في دفعِ مخوفٍ، ويُعملُ الرأيَ في إحداثِ المواصلَةِ والموادةِ. ومن أبصرَ الرأيَ في ذلكَ فأخذَ فيه بالحزمِ ظفِرَ بحاجتِهِ. ومن أمثالِ ذلكَ مثلُ الجردِ والسنورِ اللذينِ اصطلحا

حين كان ذلك الرأيُ لهما صواباً، وكان في صلحهما صلاحهما جميعاً ونجاتهما من الورطة الشديدة. قال الملك: وكيف كان ذلك؟ قال الفيلسوف:

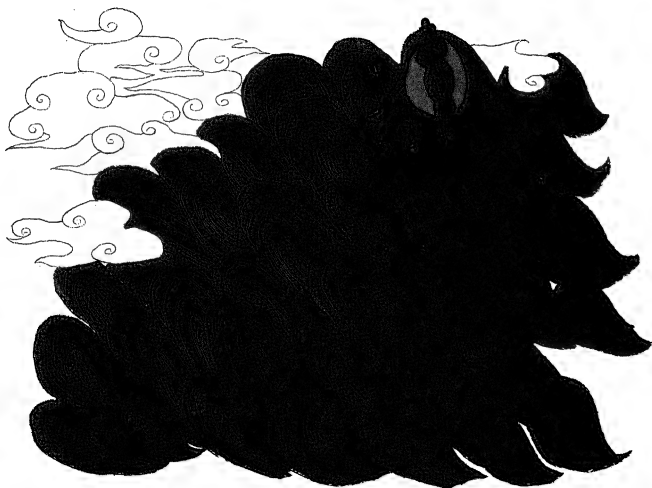
زعموا أنه كان بأرض سَرْنديب شجرةٌ من الدَّوح¹، وكان في أصلها جُحرٌ جَرْدُ يقال له فريدون، وجُحرٌ لِسُورٍ يسمى رومي²، وكان الصيَّادون ربما اجتازوا بذلك المكان يلتمسون صيد الوحش، وأنَّ صيَّاداً مرَّ ونصب حباله ذات يوم فوقَ فيها رومي. وخرج الجرذُ يبتغي ما يأكل وهو مع ذلك حَلِيزٌ يتلفت وينظر. فلما رأى السُّورَ مقتنصاً في الحبال، فرح. ثم التفت خلفه فأبصر ابن عرس قد تبعه، فنظر فوقه فإذا بومة على شجرة ترصده. فخاف، إن انصرف راجعاً، أن يشب عليه ابن عرس، وإن ذهب يميناً أو شمالاً أخذته البومة، وإن تقدَّم فالسُّورُ أمامه. فقال الجرذ: هذا بلاءٌ قد اكتنفتني، وشروء قد تظاهرت عليّ، ولا مفرُّع لي إلَّا إلى عقلي وحيلتي. فلا يكوننَّ الدهش من شأني، ولا يذهبنَّ قلبي شعاعاً³؛ فإنَّ العاقل لا يفرِّق عليه رأيه، ولا يعزُّب عنه عقله على حال. وإنما عقول ذوي الرأي كالبحر الذي لا يُدرك غوره. ولا يبلغ البلاء من ذي الرأي مجهودَ عقله فيهلكه، ولا الرخاء ينبغي له أن يبلغ منه مبلغاً يُبطره ويُسكِّره ويُعيي عليه أمره. ثم قال: لا أرى حيلةً أمثلَ من التماس صلح السُّور؛ فإنَّ السُّورَ قد نزل به بلاء، ولعلِّي أقدر على صلاحه. ولعلَّه، لو قد سمع مني ما أكلمه به من الكلام الصحيح الذي لا خداع فيه، أن يفهم عني ويطمع في معرفتي، ويسلِّس بذلك لصلحي. ولعلَّه يكون له ولي في ذلك نجاة. ثم دنا منه فقال: كيف حالك؟ فأجابه السُّور: كالذي تهوى؛ في الضنك والضيق! قال الجرذ: لا تكذب لك. لعمري لقد كان يسرِّي ما ساءك، وأرى ما ضيق عليك لي سعة؛ ولكني اليوم قد شاركتك في البلاء، فلا أرجو لنفسي خلاصاً إلَّا بالأمر الذي أرجو لك به الخلاص، فذلك الذي عطفني عليك؛ وستعرف مقالي أن ليس فيها ريب ولا مخادعة، فإنه قد ترى مكان ابن عرس كامناً لي، والبومة تريد اختطافي، وكلاهما لي ولك عدو، وهما يخافانك ويهابانك. فإن أنت جعلت لي أن تؤمِّنني، إن أنا دنوتُ منك، فأنجو بذلك منهما فإني مُخلصك مما أنت فيه. فاطمئنْ إلى ما ذكرت، وثق به مني؛ فإنه ليس



وخرج الجرذ فرأى السنور مقتنصاً في الجبال، والتفت خلفه
فأبصر ابن عرس قد تبعه، وكانت فوقه بومة ترصده

أحد أبعد من الخير من اثنين منزلتهما واحدة وصفتهما مختلفة: أحدهما من لا يثق بأحد، والآخر
من لا يثق به أحد. ولك عندي الوفاء بما جعلت لك من نفسي. فاقبل مني واسترسل إليّ وعجل
ذلك ولا تؤخر؛ فإن العاقل لا يؤخر عمله. ولتطب نفسك ببقائي كما طابت نفسي ببقائك؛
فإن كل واحد منا ينجو بصاحبه، كالسفينة والركاب في البحر؛ فبالسفينة يخرج الركاب من
البحر وبالركاب تخرج السفينة.

فلما سمع السنور مقالة الجرذ سر بها، وعرف أنه صادق، فقال للجرذ: أرى قولك شبيهاً



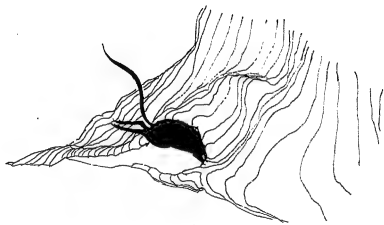
فبالسفينة يخرج الركاب من البحر وبالركاب تخرج السفينة

بالحق والصدق، فأنا راغب في هذا الصلح الذي أرجو لنفسى ولك فيه الخلاص؛ ثم أشكر لك ذلك ما بقيت وأجازيك به أحسن الجزاء. قال الجرذ: فإذا دنوتُ منك فليَرَ ابن عرس والبومة ما يعرفان به صلحتنا فينصرفان آيسين، وأقبل أنا على قرض الحبال. فلما دنا الجرذ من السنور أخذه فالتزمه. فلما رأت البومة وابنُ عرس ذلك انصرفا خائبين. وأخذ الجرذ في قطع حبال السنور فاستبطّاه السنور وقال للجرذ: ما أراك جادا في قطع رباطي؛ فإن كنت، حين

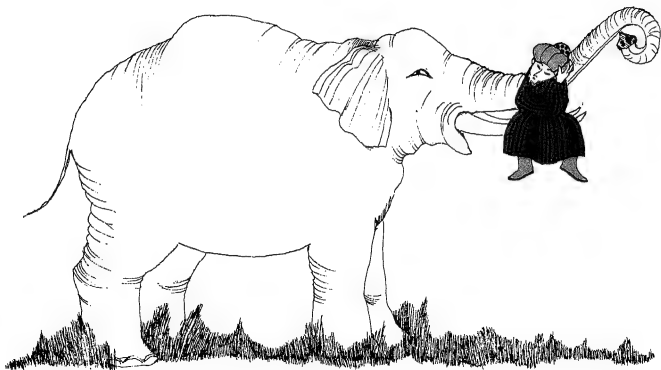
وأخذ الجرذ في قطع حبال السنور



ظفرت بحاجتك، تبدلت عما كنتَ عليه وتوانيتَ في حاجتي فليس هذا للكريم بخلق، أن يتوانى في حاجة صاحبه إذا استمكن من حاجة نفسه. وقد كان لك في مودتي من عاجل المنفعة والاستنقاذ من الهلكة ما قد رأيتَ، وأنتَ حقيقٌ أن تكافني، ولا تذكرَ عداوةَ ما بيني وبينك؛ فإنَّ ما حدثَ بيننا حقيقٌ أن يُسيك ذلك. وإنَّ الكريم لا يكون إلا شكوراً غيرَ حقود، تُنسيه الخلَّة الواحدة من الإحسان الخلال الكثيرة من الإساءة. وأعجلُ العقوبة عقوبةُ الغدر واليمين الكاذبة، ومن إذا تُضرَّع إليه وسئل العفو لم يعف ولم يصفح. قال الجرذ: الأصدقاء صديقان: طائع ومضطرٌّ، وكلاهما يلتبس المنافع ويحترس من المضار. فأما الطائع منهما فيُستَرسَل إليه ويوثَّق به على كل حال، وأما المضطرُّ فإنَّ له حالاتٍ يُستَرسَل إليه فيها، وحالاتٍ يُتَّقَى فيها. فلا يزال العاقل يترنن منه بعضَ حاجته ببعضٍ ما يتقي وما يخاف؛ وليس عامَّةُ التواصل والتحاب بين الناس إلا التماسَ عاجلِ النفع. وأنا وافيٌّ لك بما جعلتُ على نفسي، ومحترسٌ من أن يصيبني منك مثلُ الذي ألجأني إلى صلحك؛ فإنَّ لكل عملٍ حيناً، وإن لم يكن في حينه فلا عاقبةَ له. وأنا قاطعُ حبالك لوقتِها، غيرَ أني تاركُ عقدةَ واحدةٍ أرتهنك بها، فلا أقطعها إلا في الساعة التي أعرفُ أنك عني فيها في شغل. ففعل ذلك. وباتا يتحادثان حتى إذا أصبحا إذا هما بالصياد قد أقبل من بعيد. فقال الجرذ: الآن جاء موضعُ الجدِّ في قطع بقية حبالك. فقطع حباله. ولم يدن منهما الصياد حتى فرغ الجرذ، على سوء ظنٍّ من السَّور ودَهَش. فلما أفلت عدا إلى الشجرة فصعدَها، ودخل الجرذ الجحر. فأخذ الصياد حباله مقطعةً وانصرف خائباً.



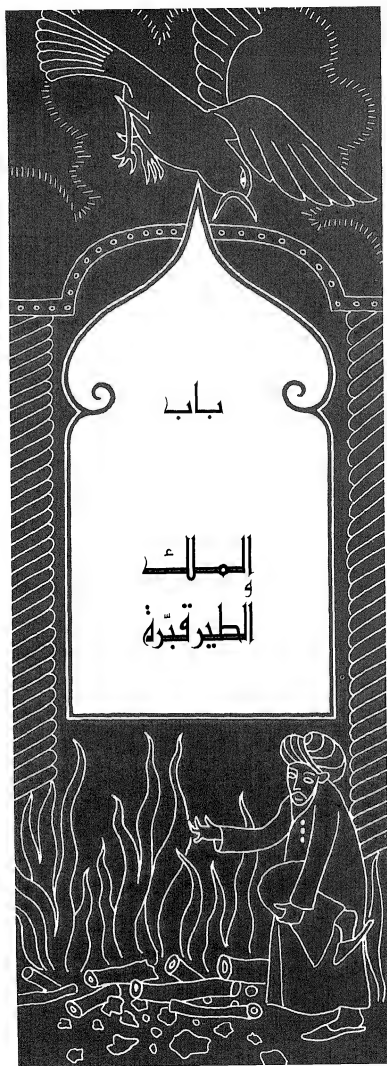
ودخل الجرذ الجحر



وركب ناب الفيل فغلبه النعاس

وخرج الجرذ بعد ذلك من جُحره فرأى السُّنور من بعيد، ففكر أن يدنو منه. وناداه السُّنور :
أيها الصديق ذا البلاء الحسن ! ما يمنعك من الدنو مني لأجزبك بأحسن ما أبليتني ؟ هلم إليّ
ولا تقطع إختائي ؛ فإنه من اتخذ صديقاً ثم أضاع ودَّ إخائه، حُرِم ثمرة الإخاء، وأيس من منفعة
الإخوان. وإن يدك عندي اليد التي لا تُنسى ؛ فأنت حقيق أن تلتمس مكافأة ذلك مني ومن
إخواني وأصدقائي. فلا تخافن مني شيئاً، واعلم أن ما قبلي لك مبدول. ثم حلف له واجتهد على
تصديق ما قال، فأجابه الجرذ أنه رُبَّ عداوة باطنة ظاهرها صداقة، وهي أشدُّ ضرراً من العداوة
الظاهرة. ومن لم يحترس منها وقع موقع من يركب ناب الفيل المغتلم ثم يغلبه النعاس. وإنما
سمي الصديق صديقاً لما يُرجى من نفعه، وسمي العدو عدواً لما يُخاف من ضرره. فإن العاقل
إذا رجا نفع العدو أظهر له الصداقة، وإذا خاف ضرر الصديق أظهر له العداوة. أو لا ترى أولاد

البهائم تتبّع أمهاتها رجاء ألبانها، فإذا انقطع ذلك انصرفت عنها ؟ وكما أنّ السحاب يلتئم ساعة ويتقطع أخرى، ويهمي ساعة ويُمسكُ أخرى، كذلك العاقل يتلون مع متلونات الأمور عن اختلاف أحوال الأصحاب، فينبسط مرّة وينقبض أخرى، ويسترسل مرّة ويحترس أخرى. وربما قَطَعَ المرء عن صديقه بعض ما كان يصله بفضلِهِ فلم يَحْفَ شَرَّهُ، لأنَّ أصل أمره لم يكن عداوة. فأما من كان أصلُ أمره عداوةً، وتحدث صداقته لحاجة حملته على ذلك، فإنه إذا ذهب الأمر الذي أحدث ذلك صار إلى أصل أمره؛ كالماء الذي يسخن بالنار فإذا رفع عنها عاد بارداً. فلا عدوُّ أضُرُّ لي منك. وقد كان اضطررتي وإياك أمرٌ أخرجننا إلى ما صرنا إليه من المصالحة. وقد ذهب الأمر الذي احتججتُ إليّ واحتججتُ إليك فيه. وأخاف أن يكون مع ذهابه عودُ العداوة بيني وبينك. ولا خير للضعيف في قرب العدوِّ القويِّ، ولا للدليل في قرب العدوِّ العزيز. ولا أعلم لك في حاجةٍ إلّا أن تريد أكلِي. ولا أرى الثقة بك؛ فإني قد علمت أنّ الضعيف هو أقرب إلى أن يَسْلَمَ من العدوِّ القويِّ، إذا هو احترس منه ولم يغتر به، من القويِّ إذا اغترّ بالضعيف واسترسل إليه. والعاقلُ يصانع عدوّه إذا اضطرَّ إليه فيظهر له ودّه ويريه من نفسه الاسترسال إليه إذا لم يجد من ذلك بداً، ويعجّل الانصراف عنه إذا وجد إلى ذلك سبيلاً. واعلم أنّ صريع الاسترسال³ لا يكاد يستقيل عثرته. والعاقل يفي لمن صالح بما جعل له، ويثق بذلك من نفسه، ولا يثق لها بمثل ذلك من أحد، ولا يؤثر على البعد من عدوّه، ما استطاع، شيئاً. والبعد لك من الصياد، والبعد لي منك، من أحزم الرأي. وأنا أودّك من بعيد، ولا عليك أن تجزيتي بمثل ذلك، إن رأيت، وإلّا فلا سبيل إلى اجتماعنا أبداً والسلام .





قال الملك للفيلسوف: قد سمعتُ مثْلَ الرجل يحيط به عدوّه فيستظهر ببعضهم على بعض، ويصالحه حتى يتخلص بذلك مما يخاف وقد وَفَى وسليم. فاضرب لي، إن رأيت، مثْلَ أهل التُّرَات* والذي ينبغي لبعضهم من الاتِّقاء لبعض .

قال الفيلسوف: زعموا أنه كان ملكٌ من الملوك يقال له بَرَهْمُودٌ²، وكان له طائر يقال له قُبْرَة، وكان ناطقاً كَيْساً، ومعه فرخ له، فأمر الملك بقُبْرَة وبفرخه فجُعِلَا في مكان عند امرأة هي سَيِّدَةُ نِسائِه، وأمرها بالاستيضاء به، وأنْ امرأة الملك ولدت غلاماً. فلما شبَّ قليلاً أَلَفَ الفرخ الغلام، فكانا يلعبان جميعاً ويأكلان معاً. وكان قُبْرَة يذهب إلى الجبل كلَّ يوم فيجنيء بشمريّتين من فاكهة لا تُعرف فَيُطْعِم إحداهما فرخه، والأخرى ابنَ الملك. فأسرع ذلك في نباتهما

وقوتهما حتى استبان ذلك للملك، فزاد قبرةً عنده كرامةً. حتى إذا كان ذات يوم وقبرة غائب في ابتغاء الثمرتين، إذ وثب فرخ قبرة في حجر الغلام. فغضب الغلام من ذلك وضرب بالفرخ الأرض فقتله .

فلما جاء قبرة ورأى فرخه مقتولاً حزن وصاح وقال: قُبْحاً للملوك الذين لا عهد لهم ولا وفاء ! وويل لمن ابتلي بصحبته ! فإنهم لا حميم لهم ولا حريم، ولا يحبون أحداً، ولا يكرم عليهم، إلا أن يطعموا عنده في غناء فيقرّبوه عند ذلك ويكرموه. فإذا قضوا منه حاجتهم فلا ود ولا حفاظ، ولا الإحسان يجزون به، ولا الذنب يعفون عنه. الذين إنما أمرهم الفخر والرياء والسُّمعة، الذين كلُّ عظيم من الذنوب يركبونه، وهو عندهم صغير حقير هين. ثم قال: لأنتمنّ اليوم من الكفور الذي لا رحمة له، الغادر بالفه وثرّيه " ، وصاحب ملاعبته ومواكلته. ثم وثب في وجه الغلام فقفاً عينيه برجليه، ثم طار فوقع على مكان مُشرف .

فبلغ الملك ذلك وما فعل بابنه، فجزع جزعاً شديداً، وطمع أن يحتال لقبرة فيظفر به. فركب إليه ووقف عنده وناداه ودعاه باسمه، وقال: أنت آمن فأقبل إلينا. فأبى ذلك قبرة وقال: أيها الملك، إن الغادر لا يُجاز له بغدره. وإن أخطأه عاجلُ العقوبة لم يخطئه أجلُّها، حتى تدرك الأعقاب وأعقاب الأعقاب. وإن ابنك غدر بابني، فعجلتُ له العقوبة. قال الملك: قد لعمرى فعلنا ذلك بك، فانتقمنا منا، فليس لنا قِلك ولا لك قِكلنا وترُّ مطلوب، فارجع إلينا آمناً. قال قبرة: لست راجعاً إليك، فإن ذوي الرأي قد نهوا عن قرب الموتور، وقالوا: لا يزيدنك لطفُ الحفود ولينهُ وتكريمته إلا وحشة منه؛ فإنك لا تجد للموتور الحفود أماناً هو أوثق من اللُّع والبعد عنه والاحتراس. وكان يقال: إن العاقل إنما يعدُّ أبويه من الأصدقاء، ويعدُّ الإخوة من الرفقاء، والأزواج إلفاً، والبنات ذكراً، والبنات خصيات، والأقارب غرماً، ويعدُّ نفسه فرداً



ثم وثب قبرة ففقأ عينيه

وحيداً. وأنا اليوم الفرد الوحيد؛ قد تزوّدت من عندكم من الحزن عيناً ثقيلاً لا يحمله معي أحد؛ وأنا ذاهب فعليك السلام .

فقال الملك: إنك لو لم تكن اجتريتَ منّا ما صنعنا بك، ولو كان صنعك بنا من غير ابتداءٍ منّا إليك بالغدر، كان الأمر كما ذكرت؛ فأما إذ كنّا نحن بدأناك فما ذنبك؟ وما الذي يمنعك من الثقة بنا؟ فهلهم فارجع فإنك آمين. قال قبرة: إنّ للأحقاد في القلوب مواقعَ مُوجِعة خفيّة. فالألسن لا تصدّق عن القلوب، والقلبُ أعدلُ على القلب شهادةً من اللسان. وقد

علمتُ أن قلبي لا يشهد للسانك، ولا قلبك للساني. قال الملك: ألسنت تعلم أن الضغائن والأحقاد تكون بين كثير من الناس، فمن كان له عقل كان على إمانة الحقد أحرص منه على تربيته؟ قال قُبْرَة: إن ذلك لكما ذكرت. وليس ذو الرأي مع ذلك بتحقيق أن يظن بالموتور أنه ناسٍ ما وثره به، ومنصرف عنه. وذو الرأي جدير بأن يتخوف الحيل والخُدع، ويعلم أن كثيراً من الأعداء لا يستطيع بالشدة والمكابرة حتى يصاد بالرفق والملاينة، كما يصاد القيل الوحشي بالفيل الداجن. قال الملك: إن الكريم لا يترك إلفه، ولا يقطع إخوانه، ولا يُضيع الحِفَاف، وإن هو خاف على نفسه؛ حتى إن هذا الخلق ليكون في أوضع الدواب منزلة. وقد عرفنا أن ناساً يذهبون الكلاب ويأكلونها، فيرى ذلك الكلب الذي قد ألفهم، فيمنعه إلفه إياهم من أن يفارقهم. قال قُبْرَة: إن الأحقاد مخوفة حيث كانت، وأشدّها ما كان في أنفس الملوك، فإن الملوك يدينون بالانتقام، ويرون الطلب بالوتر مكرومة وفخرًا. ولا ينبغي للعاقل أن يغرّر بسكون الحقود؛ فإنما مثل الحقد في القلب، ما لم يجد متحرّكاً، مثل الجمر المكنون ما لم يجد حطباً. فلا يزال الحقد يتطلّع إلى العليل كما تبتغي النار الحطب، فإذا وجد علّة استعر استعار النار، فلا يطفئه ماء ولا كلام ولا لين ولا رفق ولا خضوع ولا تصرّع ولا شيء دون تلف الأنفس؛ مع أنه ربّ واثِرٍ يطعم في مراجعة الموتور لما يرجو أن يقدر عليه من النفع له والدفع عنه؛ ولكني أضعف من أن أقدر لك على ما يذهبُ ما في نفسك. ولو كانت نفسك لي على ما تقول كان ذلك عني مغيباً؛ فأنا لا أزال في خوف وسوء ظن ما اصطحبنا، وليس الرأي إلا الفرق. وأنا أقرأ عليك السلام.

قال الملك: قد علمت أنه لا يستطيع أحد لأحد ضرراً ولا نفعاً، وأنه لا شيء من الأشياء صغيراً ولا كبيراً يصيب أحداً إلا بقدر مقدور. وكما أن خلقاً ما يُخلق وولادة ما يُولد وبقاء ما يبقى ليس إلى الخلاق منه شيء، كذلك فناء ما يفنى، وهلاك ما يهلك. فليس لك عندي فيها صنعتٌ بابني، ولا لابي في هلاك فرحك ذنب؛ إنما كان ذلك قدراً مقدوراً، وكنا له عيلاً؛ فلا تؤاخذنا بما أتاك به القدر. قال قُبْرَة: إن أمر القدر لكما ذكرت؛ ولكن ليس ذلك حقيقةً أن يمنع الحازم من توقّي المخوف والاحتراز من المحترس منه، ولكنه يجمع تصديقاً بالقدر وأخذاً بالقوة والحزم. وأنا أعلم أنك تحدّثني بغير ما في نفسك. والأمر فيما بيني وبينك غير صغير؛

الرجل الذي في باطن قدمه قرحة



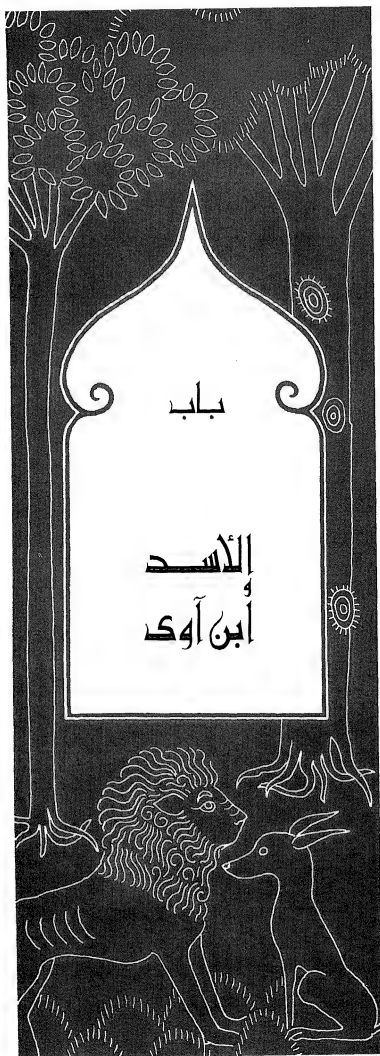
إِنَّ ابْنَكَ قَتَلَ فَرَخِي، وَفَقَأْتُ أَنَا عَيْنَيْهِ. فَأَنْتَ الْآنَ تَرِيدُ بِي الْقَتْلَ، وَتَحْتَاطِلُنِي عَنْ نَفْسِي لِتَشْتَفِيَّ مِنِّي. وَالنَّفْسُ تَأْبَى الْمَوْتَ. وَقَدْ كَانَ يُقَالُ: الْفَاقَةُ بِلَاءٌ، وَالْحَزَنُ بِلَاءٌ، وَقَرَبَ الْعَدُوِّ بِلَاءٌ، وَفِرَاقُ الْأَحِبَّةِ بِلَاءٌ، وَالسَّقَمُ بِلَاءٌ، وَالْهَرَمُ بِلَاءٌ، وَرَأْسُ الْبَلَايَا كُلُّهَا الْمَوْتُ. وَلَيْسَ أَحَدٌ أَعْلَمَ بِمَا فِي نَفْسِ الْمَوْجِعِ الْحَزُونِ مِمَّنْ ذَاقَ مِثْلَ مَا بِهِ. وَأَنَا بِمَا فِي نَفْسِكَ مِنِّي عَالِمٌ، لِلْمِثَالِ الَّذِي عِنْدِي مِنْ ذَلِكَ، فَلَا خَيْرَ لِي فِي صَحْبَتِكَ؛ فَإِنَّكَ لَنْ تَذْكُرَ صَنِيعِي بِابْنِكَ، وَلَنْ أَذْكُرَ صَنِيعَ ابْنِكَ بِفَرَخِي إِلَّا أَحْدَثَ ذَلِكَ لِقُلُوبِنَا تَغْيِيرًا.

قال الملك: إنه لا خير فيمن لا يستطيع الإعراض عما في نفسه، ويميته ويتناساه، حتى لا يذكر منه شيئاً، ولا يكون له في نفسه موقع. قال قَبْرَةُ: إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي فِي بَاطِنِ قَدَمِهِ قُرْحَةٌ إِنْ هُوَ حَرَصَ عَلَى خُفَّةِ الْمَشْيِ فَلَا يَدَّ أَنْ يَنْكَأَهَا، وَالرَّجُلَ الرَّمْدَ إِذَا اسْتَقْبَلَ الرِّيحَ فَقَدْ تَعَرَّضَ لِإِنْكَاءِ عَيْنَيْهِ. وَكَذَلِكَ الْمُؤْتَوِّرُ، إِذَا دَنَا مِنْ عَدُوِّهِ فَقَدْ عَرَّضَ نَفْسَهُ لِلْهَلَكَةِ. وَلَا يَسْتَطِيعُ صَاحِبُ الدُّنْيَا إِلَّا تَوَقَّيَ الْمُتَالِفَ وَتَقَدَّرَ الْأُمُورَ وَقَلَّةَ الْإِتْكَالِ عَلَى الْقُوَّةِ وَالْحِيلَةِ، وَقَلَّةَ الْإِغْتِرَارِ بِمَنْ لَا يَأْمَنُ؛ فَإِنَّهُ مَنْ أَتَكَلَ عَلَى قُوَّتِهِ حَمَلَهُ ذَلِكَ عَلَى أَنْ يَسْلِكَ الطَّرِيقَ الْمَخُوفَ، وَمَنْ سَلَكَ الطَّرِيقَ

المخوف فقد سعى في حتف نفسه، ومن لا يقدّر طعامه وشربه فحمل على نفسه وأعضائه ما لا يطيق فربما قتل نفسه، ومن لم يُقدّر لقمته فأعظمها فوق ما يسع فوه غصّ بها فمات، ومن اغترّ بكلام عدوّه وضيع الحذر فهو أعدى لنفسه من عدوّه. وليس على الرجل النظر في القدر الذي لا يدري ما يأتيه منه وما يُصرف عنه، ولكن عليه العمل بالحزم، والأخذ بالقوّة في أمره، ومحاسبة نفسه في ذلك. والعاقل لا يُخيف أحداً ما استطاع، ولا يقيم على الخوف وهو يجد مذهباً. وأنا كثير المذاهب أرجو ألا أتوجّه في وجه منها إلا وجدت فيه ما يغنيني؛ فإنّ خلافاً خمساً من ترودهنّ بلغته في كل وجه وطريق، وقرّين له البعيد، وأنسن له الغربة، وأكسبته المعيشة والإخوان: كفّ الأذى، وحسن الأدب، ومجانبة الريّة، وكرم الخلق، والنبيل في العمل. وإذا خاف العاقل على نفسه طابت نفسه عن الأهل والولد والوطن؛ فإنه يرجو في ذلك خلافاً ولا يرجو من النفس خلافاً. وشّرّ المال ما لا ينفق منه، وشّرّ الأزواج التي لا تُواتي البعل، وشّرّ الولد العاصي، وشّرّ الإخوان الخاذل لإخوانه، وشّرّ الملوك الذي يخافه البريء، وشّرّ البلاد بلاد ليس فيها أمن ولا خصب. وإنه لا أمن بي أيها الملك معك، ولا طمأنينة لنفسي في جوارك.

ثم ودّع الملك وطار .







باب الأسد وابن آوى

قال الملك للفيلسوف: قد سمعتُ هذا المثل. فاضرب لي مثل الملوكة فيما بينهم وبين قرايبنهم* ،
وفي مراجعة من يراجع منهم بعد عقوبة أو جفوة تكون عن ذنب يُدْرِبُه أو ظلم يُظْلَمُه .

قال الفيلسوف: إنَّ الملك لو كان لا يراجع مَنْ أصابته جفوة أو عقوبة عن جرم اجترمه
أو ظلم ظْلَمَه ، أضرَّ ذلك بالأمور والأعمال؛ ولكن الملك حقيق أن ينظر في حال من ابتلي بشيء
من ذلك وما عنده من العناء الذي يرجو منه النفع . فإن كان ممن يستعان به ويوثق برأيه وأمانته ،
كان الملك حقيقاً بالحرص على مراجعته ؛ فإنَّ الملك لا يستطيع إلّا بالوزراء والأعوان ، ولا يُستفَع
بالوزراء والأعوان إلّا بالمودة والنصيحة ، ولا مودة ولا نصيحة إلّا مع أصالة الرأي والعفاف . وأعمال
الملك كثيرة ، ومَنْ يحتاج إليه من العمال والأعوان كثير ، ومَنْ يجمع منهم الذي ذكرتُ من

* ذوي خاصتهم .

النصيحة وأصالة الرأي والعفاف قليل. وإنما السبب في الوجه الذي به يستقيم العمل أن يكون الملك عالماً بمودة من يريد الاستعانة به، وما عند كل رجل منهم من الرأي والغناء، وما فيه من العيوب. فإذا استقر ذلك عنده من علمه أو علم غيره، وعلم ما يستقيم به وجه لكل عمل من قد عرف أن عنده من الأمانة والنجدة والرأي ما يستقل بذلك العمل، وأن الذي فيه من العيب لا يضر بذلك العمل. ويتحفظ من أن يوجه أحداً في وجه لا يحتاج فيه إلى مروءة إن كانت عنده، ولا تؤمن عيوبه وعاقبة ما يكره منه. ثم على الملك بعد ذلك تعاهد عماله والتفقد لأموالهم حتى لا يخفى عليه إحسان محسن، ولا إساءة مسيء. ثم عليهم بعد ذلك^١ ألا يتركوا محسناً بغير جزاء، ولا يقرّوا مسياً ولا عاجزاً على العجز والإساءة؛ فإنهم إن ضيعوا ذلك وتهاونوا به تهاون المحسن، واجترأ المسيء، ففسد الأمر وضاع العمل. ومثل ذلك مثل الأسد. وابن آوى. قال الملك: وكيف كان ذلك؟ قال الفيلسوف:

زعموا أنه كان بأرض كذا وكذا ابن آوى، وكان متألهاً متعافاً، وكان مع ذئاب وثعالب وبنات آوى. ولم يكن يصنع ما يصنعون ولا يُغير كما يُغيرون، ولا يأكل لحماً. فخاصمته تلك السباع وقتل له: لا نرضى بسيرتك ولا برأيك الذي أنت عليه؛ مع أن تألّهلك لا يُغني عنك شيئاً، وأنت لا تستطيع أن تكون إلّا كأحدنا فتسعى معنا وتفعل فعلنا. فما الذي يشبه كفك عن الدماء وتركك اللحم. قال ابن آوى: إن صحبتي إياكم لا تؤثمني إن لم أوثم نفسي، لأن الآثام ليست من قبل الأماكن والأصحاب، ولكنها من قبل القلوب والأعمال. فلو كان صاحب المكان الصالح يكون عمله فيه صالحاً، وصاحب المكان الشر يكون عمله فيه سيئاً، إذاً كان من قتل الناسك في محرابه لم يأتهم، ومن استحياه في معركة القتال أثم. وإنما صحبتيكم بنفسي^٢، ولم يصحبكم مني قلب ولا عمل، لأنني أعرف ثمرة الأعمال.

فتب ابن آوى على حاله تلك، وشهر بالنسك والتألّه حتى بلغ من الصدق والعفاف والأمانة أفضل ما بلغ أحد من الناسك. وبلغ ذلك أسداً كان ملك السباع بتلك الناحية، فرغب فيه

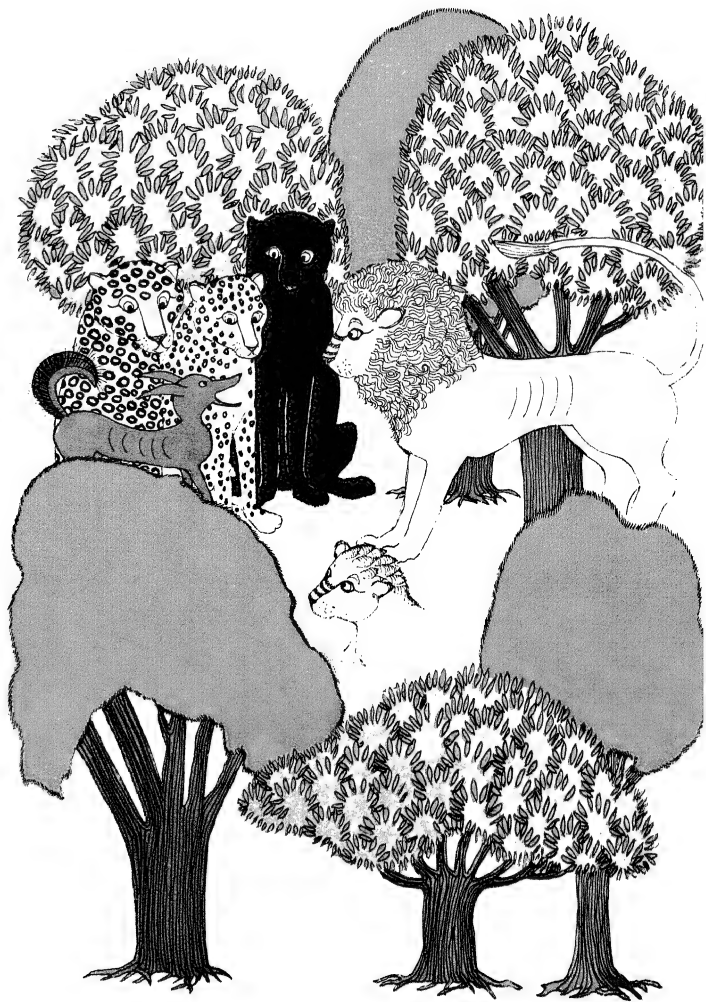
متعبداً.

وأرسل إليه وكلمه وفشّه ودعاه إلى صحبتته فقال له: إن مُلكي عظيم، وأعمالي كثيرة، وأنا إلى الأعوان محتاج. وقد بلغني عنك نُبْلٌ وعفاف، ثم قدمت عليّ فازددت بك إعجاباً، وفيك رغبة. وأنا موكّيك من عملي جسماً، ورافع منزلك إلى منزلة الأشراف، وجاعل لك مني خاصة. قال ابن آوى: إن الملوك أحقُّ باختيار الأعوان، فيما يهتمون به من أعمالهم وأموارهم، من غير أن يُكرهوا على ذلك أحداً، لأنّ المُكره لا يستطيع المبالغة في العمل. وأنا لعمل السلطان كاره، وليست لي به تجربة، ولا بالسلطان رفيق. وأنت ملك السباع، وعندك من أجناس السباع عدد كثير، وفيهم أهل نبل وقوّة، وهم على العمل حرص، وهم به رفيق. فإن استعملتهم أغتوا عنك، واغتبطوا لأنفسهم بما أصابوا من ذلك. قال الأسد: دع عنك هذا فإني غير مُعفيك من العمل. قال ابن آوى: إنما يستطيع العمل وصحبة السلطان رجلان لستُ بواحد منهما: إما فاجر مصانع ينال حاجته بفجوره ويسلم بمصانعته، وإما رجل مهين مغفل لا يحسده أحد. فأما من أراد أن يصحب السلطان بالصدق والنصيحة والعفاف لا يخلط ذلك بمصانعة، فقلماً يستقيم له صحبتهم؛ لأنّه يجمع عليه عدو السلطان وصديقه بالعداوة والحسد؛ أما الصديق فينافسه في منزلته، ويبغي عليه فيها ويعاديّه. وأما عدو السلطان فيضغّن عليه بنصيحته لسلطانه وغنائه عنه. فإذا اجتمع عليه هذان الصنفان كان قد تعرّض لهلاكه. قال الأسد: لا يكوننّ بغيّ أصحابي عليك وحسدُهم لك مما يعرض في قلبك؛ فإني كافيك ذلك، وبالغ بك في الكرامة والإحسان غاية هتكت. قال ابن آوى: إذا كان الملك يريد الإحسان بي فليدعني أعيش في هذه البريّة آمناً من أن أحسد؛ فإني قليل الهمّ، راضٍ بمعيشتي من الماء والحشيش. وقد علمت أنّ صاحب السلطان يصل إليه في ساعة واحدة من الأذى والخوف، ما لا يصل إلى غيره طولَ دهره، وأنّ قليلَ الغذاء في أمن وطمأنينة خيرٌ من كثيره في خوف ونصب. قال الأسد: قد سمعتُ كلامك فلا تخافنّ شيئاً مما أراك تتخوّفه، ولا بدّ من الاستعانة بك. قال ابن آوى: إن أراد الملك بي هذا فليجعل لي عهداً، إن بغي عليّ أحد عنده من هو فوق خوفاً على منزلته، أو من هو دوني لينازعني منزلتي، فذكر عند الملك منهم ذاكر بلسانه أو بلسان غيره ما يريد به تحميل الملك عليّ - ألا يعجل عليّ، وأنّ ينشبت فيما يُرفع إليه ويُذكر له من ذلك، ويفحص عنه ثم يقضي فيه بما بدا له؛ فإذا أنا وثقت من الملك بذلك أعنته بنفسي، وعملت له فيما ولّاني بنصيحة واجتهاد وحرصٍ

على ألا أجعل على نفسي سبيلاً. قال الأسد: ذلك لك .

فولاه خزانته، واختصه دون أصحابه بالرأي والمشورة والمنزلة، وازداد به على الأيام عجباً، فزاده كرامةً وعملاً. فثقل ذلك على من كان يُطيف بالأسد من قرايبه وأصحابه وعمّاله، وعادوه وحسدوه واثمروا ليحملوا عليه الأسد ويهلكوه. فلما اجتمعوا على ذلك من كيدهم، دبوا ذات يوم للحم كان الأسد استطرفه واستطابه فأمره برفعه في موضع طعامه ليعاد إليه، فسرقوه ثم أرسلوا به إلى بيت ابن آوى فخبأوه في موضع لا يطلع عليه أحد. فلما كان من الغد ودعا الأسد بغدائه فقَد ذلك اللحم والتمسه فلم يجده، وابن آوى غائب والقوم الذين أرادوا المكر به حضور. فلما رأوا الأسد قد احتشد في طلب اللحم وغضب، نظر بعضهم إلى بعض فقال أحدهم قولَ المخبر الناصح: إنه لا بد لنا أن نُخبر الملك بعلمنا فيما يضرُّ به وينفعه، وإن شقَّ ذلك على مَنْ شقَّ عليه، إنه بلغني أنَّ ابن آوى كان ذهب باللحم إلى منزله. قال آخر: أراه شبيهاً أن يكون فعل ذلك، ولكن انظروا وافحصوا فإنَّ معرفة الخلائق شديدة. قال آخر: أجل لعمرى ما تكاد السرائر يُطلع عليها؛ ولكن إن فحصتم فوجدتم ذلك في منزل ابن آوى فكلَّ شيء كان يُذكر لنا من عيوبه وخيائنه حق، وحقيق أن نحذره ونصدق كلَّ ما كان قيل لنا فيه. فقال آخر: كيف يسلم من خاتل السلطان، وكيف يخفى ذلك له، ومخالطة الأصحاب لا تكاد تخفى؟ قال آخر: لقد أخبرني مخبر عن ابن آوى بأمر عظيم فما وقع في نفسي حتى سمعت كلامكم. قال آخر: لم يخف عليَّ أمره وخبثه أول ما رأيته. وقد قلت مراراً واستشهدت فلاناً: إنَّ هذا المخادع المتخشع يوشك أن يفتش عن خيانة فاحشة وذنب عظيم. قال آخر: لئن كان هذا المثاله المتخشع الذي يرينا أنَّ عمله عملُ النساك خان هذه الخيانة، إنَّ ذلك لمن أعجب العجب. قال آخر: لئن وُجد هذا الأمر حقاً فإنها ليست خيانة فقط، بل مع الخيانة كفرُ النعمة والجرأة على الذنوب. قال آخر: أنتم أهل العدل والفضل، ولا أستطيع أن أكذبكم، ولكن يستبين صدق هذا من

قال ابن آوى: أنت ملك السباع، وعندك من أجناس السباع عدد كثير



كذبه لو قد أرسل الملك إلى بيت ابن آوى ففتّشه. قال آخر: إن كان منزله مفتشاً فالعجل فإن عيونه وجواسيسه مبنوثة بكل مكان. قال آخر: قد علمت أن ابن آوى لو فتّش منزله وأُطْلِعَ على عيوبه وخيائته سيحتال بمكره حتى يُشَبِّه * على الملك فيعذّره .

فلم يزالوا بهذا الكلام وأشباهه حتى وقع ذلك في نفس الأسد، وحقق الاتهام لابن آوى فدعا به فقال: ما صنعتَ باللحم الذي أمرتك بالاحتفاظ به ؟ قال: دفعته إلى فلان صاحب الطعام - وكان ممن تابع القوم - فسأله الملك عن اللحم، فقال: ما دفع إليّ شيئاً. فوجّه الأسد أمناه إلى بيت ابن آوى فوجد اللحم في بيته فأتوا به الأسد. فدنا إلى الأسد ذنب لم يكن ليتكلم بشيء من تلك الأمور، وكان يُظهر أنه من أهل العدل الذين لا يتكلمون إلّا فيما صحّ عندهم واستبان لهم أنه حقّ، فقال: أما إذا أطلع الملك على خيانة ابن آوى فلا يعفون عنه؛ فإنه إن عفا عنه لم يعد أحد يُطلع الملك على خيانة خائن ولا ذنب مذنب. فأمر الأسد بابتلاع ابن آوى يُخرج من عنده ويُحتفظ به. فقال عند ذلك بعض جلساء الأسد: إني لأعجب من رأي الملك ومعرفته بالأمور، كيف يخفي عليه أمر هذا المخادع ؟ وقال آخر: فأعجب من هذا أني لا أراه إلّا سيصفح عنه بعد الذي ظهر عليه منه .

ثم إن الأسد أرسل إلى ابن آوى بعضهم لينظر ما يكون من عُذره، فجاء الأسد منه برسالةٍ كذّيب. فغضب الأسد من ذلك، وأمر بابتلاع ابن آوى أن يُقتل. وبلغ ذلك أمّ الأسد فعلمت أن الأسد قد عجل في أمره، فأرسلت إلى الذين أمروا بقتله أن يؤخّروه، ودخلت على الأسد فقالت له: لأيّ ذنب أمرت بابتلاع ابن آوى أن يقتل ؟ فأخبرها الأسد بالأمر. فقالت له: قد عجلت يا بُني، وإنما يسلم العاقل من الندامة بترك العجلة، والأناة والتثبت. ولا يزال يجني ثمره الندامة وضعف الرأي من لم يتثبت في الأمور. وليس أحد أحوَجَ إلى النُؤدة والتأني من الملوك؛ فإن المرأة بزوجه، والولد بوالديه، والمتعلم بالمعلم، والجنّد بالقائد، والناسك بالدين، والعامّة بالملوك، والملوك بالتقوى،



ودبوا للحم كان للأسد فسرقوه

والتقوى بالعقل، والعقل بالثبّت. ورأس الحزم للملك معرفة أصحابه وإنزاله إياهم منازلهم، واتهام بعضهم على بعض. فإنه إن وجد بعضهم إلى هلاك بعض سبيلاً، وإلى تهجين بلاء المبلى وإحسان المحسنين، والتغطية على إساءة المسيئين، لم يدعوا ذلك. وذلك سريع في إضاعة الأمر، وجلب عظيم الخطر والضرر. وقد كنت بلوت ابن آوى واختبرته قبل استعانتك به وتفويضك إليه فلم تزل عنه راضياً، تزيدك الأثام له استصلاحاً، وإليه استرسالاً، وفيه رغبة، فأمرت بقتله في طابق من لحم فقدته. فعسى أصحابك أن يكونوا قد ألزموه من ذنبه باطلاً، لحسدكم له وتعاونهم عليه. واعلم أنّ الملوك إذا وكلوا إلى غيرهم ما ينبغي لهم مباشرة بنفوسهم، وألزموا نفوسهم ما ينبغي لهم تفويضه إلى الكفاة، ضاعت أمورهم ودعوا الفساد إلى أنفسهم. والملوك يحتاجون إلى النظر في وجوه شتى؛ فإذا آثروا النظر في بعض تلك الوجوه على بعض، لم يأمنوا

• إثناء بطيخ فيه .

خطأ البصر وزلل الرأي، كصاحب الخمر إذا أراد شراءها احتاج إلى اختبار لونها وطعمها وريحها، فإن هو أثر بالاختبار بعض ذلك دون بعض لم يأمن الغبن والخسران. وكالرجل الذي يرى بين عينيه شعراً من المرض، وليس بشعر، فلا يتثبت في القضاء أنه ليس بشعر من المرض، ويعلم أنه لو كان شعراً أبصره غيره كما أبصره هو ليخبره ويعتبر مرضه، وكاليراعة يراها الجاهل في ظلمة الليل فيقضي عليها بالعاينة، قبل أن يلمسها، أنها نار، فإذا لمسها تبين له خطأ قضائه. وقد كنت حقيقاً أن تنظر في خطأ ابن آوى نظر مثبت فتعلم أنه، إذ لم يأكل اللحم الذي كنت ربما أمرت له بالكثير منه فكان يجعله في طعامك وطعام جنك، ليس بخليق لسرقه قليل من اللحم أمرته بالاحتفاظ به. فافحص عن أمره فإنه لم يزل ذلك عادة الأزدال والأندال حسد أهل المروءة والفضل واستقلالهم. ولم يزل جهال الناس يحسدون علماءهم، ولثامهم يحسدون كرامهم، وشراهم يحسدون خيارهم. ولابن آوى مروءة وفضل. فعسى أعداؤه من أصحابك فطنوا لموضع ذلك اللحم فجعلوه في منزله من غير علم منه. فإن الجداة إذا أصابت البضعة من اللحم نafسها فيها كثير من الطير، والكلب إذا كان في فيه العظم تعاون عليه عدّة من الكلاب. وإن خصماء ابن آوى لم ينظروا فيما يضرّك ولم يرغبوا فيه عنك إلا لعاجل منفعة أنفسهم؛ فانظر أنت فيما ينفعك لنفسك إن لم ينظر لك أحد، ولا تمالئهم على ما يضرّك؛ فإن أعظم الأشياء ضرراً على الناس عامةً، وعلى الولاة خاصةً، أمران: أن يُحرّموا صالح الأعوان والوزراء والإخوان، وأن يكون وزراءهم وإخوانهم غير ذوي مروءة ولا غناء. ولم يزل غناء ابن آوى عنك عظيماً؛ يؤثر منفعتك على هواه، ويشترى راحتك بنصبه، ورضاك بسخطه، لا يطوي عنك أمراً، ولا يكتملك سرّاً، ولا يرى شيئاً احتمله منك أو بذله لك عظيماً. فمن كان من الأصحاب هذه صفته فإنما منزله منزلة الآباء والأبناء والإخوان.

فبينما أمّ الأسد في كلامها إذ دخل على الأسد بعض من كان مكرّ بابن آوى فأطاع الأسد على أمره. فلما علمت أمّ الأسد أن الأسد قد أطلع على براءة ابن آوى قالت للأسد: أما إذ



إذا أراد شراء الخمر احتاج إلى اختبار لونها وطعمها وريحها.

اطَّلعت على براءة ابن آوى وجرأة أصحابك عليه، فلا ترضين بذلك منهم، ولا تدعن تشيت ذات بينهم حتى تنقطع منك الشفقة عليهم، فيتخذوك مركباً فتعودهم الاحتمال منك وتجربتهم على ضررك وشينك. ولا تغترن بسطانك عليهم فيدعوك ذلك إلى استصغارهم والتهاون بأمرهم؛ فإن الحشيش الضعيف إذا جُمع فُتِل منه الجبل القوي الذي يوثق به الفيل المعتلم الشديد.



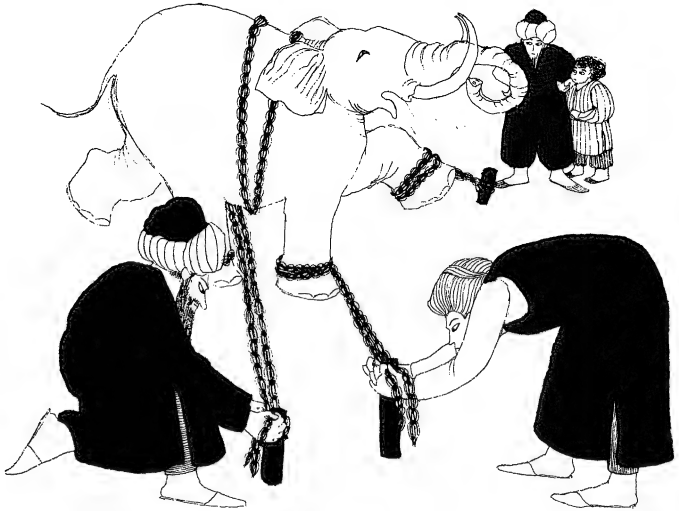
والكلب إذا كان في فيه العظم تعاون عليه عدة من الكلاب

فأعد لابن آوى منزلته وخاصته، ولا يؤيسنك من مناصحته ما فرط إليه منك من الإساءة؛ فإنه ليس كل من أسىء إليه ينبغي أن يتخوف غشه وعداوته، ويؤيس من نصيحته ومودته؛ لكن ينبغي أن يُنزل الناس في ذلك على اختلاف ما بينهم؛ فإن منهم من إذا طُفر بقطيعته كان الرأي أن يُغتنم ذلك منه ويُمنع من معاودته، ومنهم من لا ينبغي تركه وقطعه على كل حال. فمن عُرِف بالشرارة * ولوهم العهد، وقلة الوفاء والشكر، والبعد من الورع والرحمة، والجحود لثواب الآخرة

• الشر .

وعقابها، والحسد وإفراط الشره والحرص، والسرعة إلى سوء الظن والقطيعة، والإبطاء عن المعاودة والمراجعة، فقطعهُ أحزمُ للرأي. ومن عُرِفَ بالصلاح وكرم العهد، والشكر والوفاء والمحبة للناس، والسلامة من الحسد والحقد، والبعد من الأذى، والاحتمال للأصحاب والإخوان وإن ثقلت عليه منهم المتونة، فهذا حقيق أن تُغتنمَ صحبته وصلته ويُمتنع من قطيعته. واحذر من الخطاء الثمانية: الكفورُ النعمة الغادر بما يعهد إليه، والذي لا يؤمن بيوم الحساب والثواب والعقاب، والمفرط في حرصه وهمة وغضبه، ومن يُسخطه اليسير بغير علة، ومن لا يرضى بشيء وإن كان

الحشيش الضعيف يقتل منه الحبل ويوثق به الفيل الشديد



كثيراً جسيماً، وذو المكر الداهي الغامض مكرّاً، واللهجُ بالزنا والخمر، والسبىء الظن المتلون المتهجم القليل الحياء. واعتقد من الخلطاء والأصحاب: الشكور النعمة الوفي العهد، والكريم عند تصارييف الأمور، وذو الدين المتقي الورع، والمستريح الصدر بالخيرات، والعالم الدين الحبّ الخير للناس، والرحيم القليل الحقد الصافح عن ذنوب أخلائه المحافظ عليهم غير الناسي لوذهم، والمختبر بالعفة والحياء.

فلما ظهر للأسد براءة ابن آوى مما قُرِف به ازداد له تكريمه، وبه ثقة، فدعاه واعتذر إليه بما كان منه في أمره وقال له: إنّ الذي كان من الأمر قد زاد فيما كان من ثقتي بك ثقة، وزاد ظني بك إلى ما كان من حسنه حسناً، فأقم على ما كنت عليه من أمرنا وعملنا. قال ابن آوى: إني قاتل لك أيها الملك قولاً فلا يغلظنّ عليك؛ فإنّ أحقّ من قبل من أهل الحجج الحكام، وإنك إن كنت أحدثت بي ثقة وحسن ظن فليس شيئاً تفضلت به عليّ فتعتدّه من نفسك صنعة عندي، أو طولاً عليّ؛ ولكن قد أحدثت بك أيها الملك سوء ظن، وقلة ثقة، لما ظهر لي من سرعة استماعك لأهل الكذب وإفسادك الكثير من حُسن البلاء الذي لا تنكره بالقليل الحقير من القذف الذي لا تعرفه، وتقلبك إليّ بالباطقة والجائحة^{٥٥} قبل التثبت والإعذار. فقد صيرتني في حدّ لا تثق بي ولا أثق بك، لما صيرت لهم عليّ من السبيل؛ لأنه لا ينبغي للملك أن يثق بهذه الأصناف ممن قد عوقب العقوبة الكبيرة عن غير جرم، ومن ناله الضرّ العظيم منهم، ومن عزلوه عن ولاية وعمل كان في يديه، ومن سلبوه أمواله وعقاره، ومن كان في الثقة عندهم فأقصوه وقطعوا طمعه بغير سبب، وذو المروءة والنبل إن نُزل غير منزلته، أو قدّم عليه أكفأؤه ونظرائه، والمظلوم الطالب للنصفة غير المصنّف، ومن يرجو المنفعة والصلاح بمضرة السلطان، ومن استقبل بما يكره في المحافل، وذو الحرص القليل التبرع، والمذنب الراجي للعفو فلم يعف عنه. فهذه الأصناف أعداء الملك وأعدائي، وقد صار لهم السبيل إليّ والاستخفاف بي والجرأة عليّ. قال الأسد: ما أحسن كلامك وأغلظه. قال ابن آوى: أيها الملك لا يغلظنّ عليك ولا يحشّن الحق

٥٥ الباطقة: الشر والخصومة، والجائحة: الداهية العظيمة.

٥٥ منّا وتكرماً.



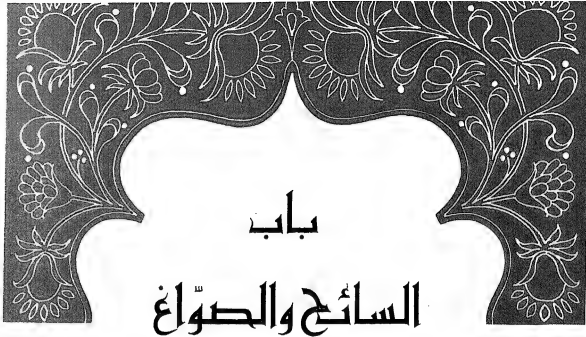
فلما ظهر للأسد براءة ابن آوى اعتذر إليه

والصدق إن خفَّ عليك الكذب والباطل، مما حُمِّلَ به عليّ. ولا تحملنّ جواي لك والغلظة في محاورتي إياك على سفه رأي وقلة بصر بما أقول؛ ولكن قد قلت ذلك لخصمتين: منهما أن في القصص تسليّة الضعائين وإطلافاً لمنعقد الحقد، وأحببت أن أخرج ما في نفسي مما وترتني به ليسلم لك صدري من الضغن ولتخلص لك منه سلامة العتب؛ ومنهما أفي أحببت أن تكون أنت الحاكم على نفسك، وألا أكون أنا الحاكم عليك؛ مع أنني لم أجترأ على هذه المقالة حتى استعهدتكم من نفسك. قال الأسد: أو لم أحسن التثبت في أمرك؟ قال ابن آوى: إنما كان التثبت من أمّ الملك، وكان التعجيل يقتلي من قبلك أيها الملك. قال الأسد: ألم تزعم أن تجاوز عن إساءة العمد أفضل ما يكون من الإحسان؟ فكيف لا يكون ذلك لأهل الخروج عن الخطأ على الكره، إلى الإحسان على علم؟ قال ابن آوى: إني لم أقل ما قلت لأوقف الملك على إساءة في أمري، ولا على الخطأ في أمره وحكمه في شأني، ولكني أيضاً قد تخوّفت موضعاً حدث لأهل المكر يجدون به فيا بيني وبينك مدخلاً. قال الأسد: وما ذاك الموضع؟ قال: يقال

لك أيها الملك: قد دخلت قلب ابن آوى عليك ضغينةً فيما أدخلت عليه من التهمة والوحشة، وما أشربت به قلبه من الإشراف على الهلكة، فقال كذا وكذا. وهذا سبب مظنون بالملوك ممن أصابته منهم عقوبة أو جفوة أو تغير منزله أو عزل عن سلطان أو أوتر غيره عليه ممن هو دونه في المنزلة والحال. قال الأسد: إنك لست ممن يصدق عليه القبيح، وقد عرفتك بالأثر الحسن، وإنك عندنا ممن يشكر الحسنة ويذكر السيئة ويذكر جميع ما أبلى، فلا يعرض بك تحوُّف لقبولي فيك قبيحاً يأتي به آت، ولا يسو ظنك ما حسن ظننا فيك. وأقم على ما وليناك من أمرنا؛ فإننا منزلك منزلة الكرام الأخيار، والكريم تنسيه الخلّة الواحدة من الإحسان ألف خلّة من الإساءة. وأضعف له الملك الكرامة، وازداد به ثقة وإليه تفويضاً وبه اغتباطاً حتى هلك .







قال الملك للفيلسوف: قد سمعت مثل الملوك فيما يجري بينهم وبين قرايئهم، فأخبرني عن الملك، إلى من ينبغي أن يصنع المعروف؟ ومن يحق له أن يتق به؟

قال الفيلسوف: إنّ الملوك وغيرهم جُئِرُوا أن يأتوا الخير إلى أهله، وأن يؤمّلوا من كان عنده شكر، ولا ينظروا إلى أقاربهم وأهل خاصّتهم، ولا إلى أشرف الناس وأغنيائهم وذوي القوّة منهم، ولا يمتنعوا أن يصنعوا المعروف إلى أهل الضعف والجهد والفاقة؛ فإنّ الرأي في ذلك أن يجربوا ويختبروا صغار الناس وعظماؤهم، في شكرهم وحفظهم الوُدَّ، وفي غدرهم وقلة شكرهم، ثم يكون عملهم في ذلك على قدر الذي يبدو لهم؛ فإنّ الطبيب الرفيق لا يداوي المرضى بالمعاينة لهم فقط، ولكنه ينظر إلى البول ويحسّ العروق، ثم يكون العلاج على المعرفة وقدرها. ويحقّ

على المرء اللبيب، إذا وجد قوماً لهم وفاء وشكر، أن يحسن فيما بينه وبينهم لعله يحتاج إليهم يوماً من الدهر فيكافئوه؛ فإن العاقل ربما حذر الناس ولم يأمن على نفسه أحداً منه، وأخذ ابن عرس فأدخله كمنه والطيور فوضعه على يده^١ وقد قيل: ينبغي لذي العقل ألا يحقر صغيراً ولا كبيراً من الناس ولا من البهائم، ولكنه جدير أن يبلوهم ويكون ما يصنع إليهم على قدر الذي يرى منهم. وقد مضى في ذلك مثلٌ ضربه بعض الحكماء. قال الملك: وكيف كان ذلك؟ قال الفيلسوف:

زعموا أن أناساً انطلقوا إلى مغار فحفروا فيه رُبة^٢ للسباع فوقع فيها رجل صائغ وببر^٣ وحية وقرد. فلم يهجن ذلك الرجل، ولم يجدوا لهم مخلصاً. فرَّ رجل سائح بهم فاطَّلَعَ فيها. فلما رآهم فكر في نفسه وقال: ما أراي مقدماً لآخرتي شيئاً أفضل من أن أُخلص هذا الإنسان من بين هؤلاء الأعداء. فأخذ حبلاً فدلاهُ فتعلّق به القرد ليخفّته فأخرجه، ثم دلاهُ الثانية فتشبّث به الببر فأخرجه، ثم دلاهُ الثالثة فالتوت به الحية فأخرجها. فشكروا له صنيعه، وقُلن: لا تُخرج هذا الإنسان من الرُبة، فإنه ليس في الأرض أقلُّ شكرًا من الإنسان، ولا سيما هذا الرجلُ خاصة. وقال القرد: إنَّ وطني في جبل كذا وكذا إلى جانب مدينة يقال لها براجون^٤. وقال الببر: وأنا أيضاً في أجمة إلى جانبها. وقالت الحية: وأنا أيضاً في سور تلك المدينة، فإن أتيتها يوماً من الدهر أو مررت بها فاحتجت إلينا فنادرنا حتى نخرج إليك ونجازيك بما أوليتنا وأتيت إلينا. ثم إن السائح أدلى الجبل إلى الصائغ، ولم يلتفت إلى ما ذكره القرد والببر والحية من قلة شكره، واستخرجه فسجد له وأثنى عليه وقال له: إنك قد أوليتني معروفاً جسيماً وأنا حقيق بشكره وحفظه.

وقالت الحية والقرد والببر: لا تخرج هذا الانسان

ولكن السائح لم يطعها وأخرج الصائغ من البشر

١ الزبية: مصيدة الأسد، ولا تتخذ إلا في قلة أو رابية أو هضبة. وجمعها زبي ومنه قول الطرماح: «كمتغي الصيد أعلى زبية الأسد» هذا مذهب البرد.

٢ حيوان يعادي الأسد. ويذهب الأزهري إلى أنه ليس من كلام العرب.



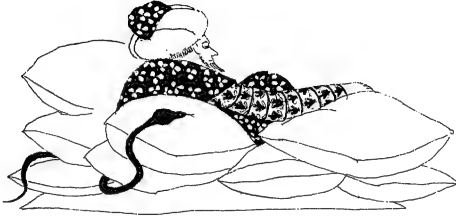
فَإِنْ قُضِيَ لَكَ أَنْ تَأْتِيَ مَدِينَةَ بَرَاوُونَ — وَهِيَ الْمَدِينَةُ الَّتِي ذَكَرَهَا الْقَرْدُ وَصَاحِبَاهُ — فَسَلِّ عَنِّي، فَإِنَّ مَنَزْلِي بِهَا؛ لَعَلِّي أَجْازِيكَ بِجَمِيلٍ مَا كَانَ مِنْكَ إِلَيَّ.

وَمَضَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لَوَجْهِهِ. وَمَكَثَ السِّيَاحُ حِينًا ثُمَّ عَرَضَتْ لَهُ حَاجَةٌ نَحْوَ تِلْكَ الْمَدِينَةِ، فَسَارَ إِلَيْهَا فَلَقِيَهِ الْقَرْدُ وَسَجَدَ لَهُ وَقَبَّلَ يَدَيْهِ وَرَجَلَيْهِ وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ وَقَالَ: إِنِّي لَا أَمْلِكُ شَيْئًا؛ وَلَكِنْ أَنْظِرْنِي سَاعَةً حَتَّى آتِيكَ بِبَعْضِ مَا تَصِيبُ مِنْهُ. فَضَى الْقَرْدُ وَلَمْ يَلِثْ أَنْ جَاءَهُ بِفَاكْهَةٍ طَيِّبَةٍ فَوَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ، فَأَكَلَ مِنْهَا حَاجَتَهُ. ثُمَّ تَوَجَّهَ نَحْوَ الْمَدِينَةِ فَاسْتَقْبَلَهُ الْبَيْرُ فَحَيَّاهُ وَسَجَدَ لَهُ وَقَالَ: قَدْ أَوْلَيْتَنِي جَمِيلًا، فَلَا تَبْرَحْ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْكَ. وَذَهَبَ إِلَى ابْنَةِ الْمَلِكِ فَاقْتَلَهَا وَأَخَذَ حَلْيَهَا وَأَتَاهُ بِهِ فَدَفَعَهُ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُعْلِمَهُ. فَقَالَ السِّيَاحُ فِي نَفْسِهِ: هَذِهِ الْبَهَائِمُ قَدْ أَوْلَتْنِي هَذَا وَصَنَعَتْ بِي؛ فَكَيْفَ لَوْ انْتَهَيْتُ إِلَى الصَّوْأغِ؟ فَإِنَّهُ إِنْ كَانَ مُعْسِرًا لَا شَيْءَ لَهُ، فَإِنَّ أَقْلَ مَا يَصْنَعُ أَنْ يَبِيعَ لِي هَذَا الْحَلْيَ بِشَمْنِهِ، فَيُعْطِينِي بَعْضَهُ وَيَأْخُذَ بَعْضَهُ.

ثُمَّ إِنَّ السِّيَاحَ دَخَلَ الْمَدِينَةَ فَاتَى مَنَزَلَ الصَّوْأغِ فَرَحَّبَ بِهِ وَأَدْخَلَهُ مَنَزْلَهُ. فَلَمَّا بَصُرَ بِالْحَلْيِ عَرَفَهُ فَقَالَ: اطْمَئِنِّ حَتَّى آتِيكَ بِشَيْءٍ تَأْكُلُهُ، فَإِنِّي لَا أَرْضَى لَكَ بِمَا فِي مَنَزْلِي. فَانْطَلَقَ الصَّائِغُ حَتَّى أَتَى الْمَلِكَ فَقَالَ: إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي قَتَلَ ابْنَتَكَ وَأَخَذَ حَلْيَهَا، قَدْ أَخَذْتُهُ، وَهُوَ مَحْبُوسٌ عِنْدِي، فَلَا تَطْلُبْنِي بِهِ أَحَدًا، فَإِنِّي قَدْ ظَفَرْتُ بِهِ وَمَعَهُ الْحَلْيُ. فَأَرْسَلَ الْمَلِكُ بِأَصْحَابِهِ مَعَ الصَّوْأغِ، فَهَجَمُوا عَلَى السِّيَاحِ، فَأَخَذُوهُ وَأَتَوْا بِهِ إِلَى الْمَلِكِ. فَلَمَّا رَأَى الْحَلْيَ مَعَهُ أَمَرَ بِهِ أَنْ يَعْذَّبَ وَأَنْ يَطَافَ بِهِ فِي الْمَدِينَةِ ثُمَّ يُصَلَّبَ. فَلَمَّا فُعِلَ بِهِ ذَلِكَ وَطِيفَ بِهِ الْمَدِينَةَ، جَعَلَ يَبْكِي وَيَقُولُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: لَوْ أَنِّي أَطْعَمْتُ الْقَرْدَ وَالْبَيْرَ وَالْحَيَّةَ فِيمَا أَمَرْتَنِي بِهِ لَمْ يَصْبِنِي هَذَا الْبَلَاءُ. فَسَمِعَتْ بِذَلِكَ الْحَيَّةُ فَخَرَجَتْ مِنْ جُحْرِهَا فَلَمَّا بَصُرَتْ بِهِ اشْتَدَّ عَلَيْهَا أَمْرُهُ، وَفَكَّرَتْ فِي الْاِحْتِيَالِ لِخُلَاصَتِهِ. فَانْطَلَقَتْ إِلَى ابْنِ الْمَلِكِ فَلَدَغَتْهُ عَلَى رِجْلِهِ. فَبَلَغَ الْمَلِكُ ذَلِكَ فَدَعَا لَهُ أَهْلَ الْعِلْمِ لِيَرْقُوهُ فَلَمْ يَغْنُ عَنْهُ شَيْئًا. فَنَظَرُوا لَهُ فِي النُّجُومِ وَاحْتَالُوا لَهُ حَتَّى تَكَلَّمَ فَقَالَ: إِنِّي لَا أَبْرَأُ حَتَّى يَأْتِيَنِي هَذَا السَّائِحُ فَيَرْقِيَنِي وَمَسَحَ بِيَدِهِ عَلَيَّ؛ فَإِنَّكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ أَمَرْتَ بِقَتْلِهِ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا.

وَقَدْ كَانَتْ الْحَيَّةُ تَقْدَمَتْ إِلَى أُخْتِهَا مِنَ الْجَنِّ فَأَخْبَرَتْهَا بِخَبَرِ السَّائِحِ وَفَعَالِهِ * بِهَا وَمَا قَدْ

وانطلقت الحية الى
ابن الملك فلدغته

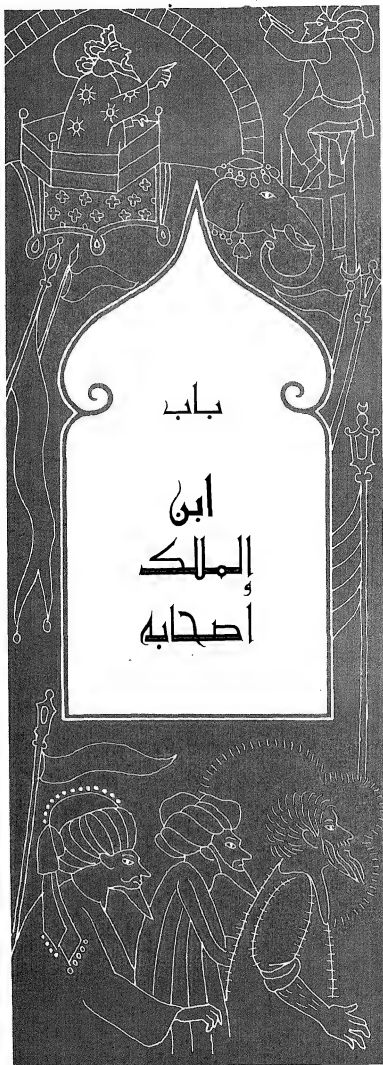


أصابه، فذهبت إلى ابن الملك فأرته ذلك في منامه فنطق به بحضرة المنجمين. فانطلقت الحية إلى السباح فأعلمته بذلك وقالت له: ألم أنك عن هذا الإنسان فلم تطعني؟ وأعطته شجرة^٥ تنفع من سمها، وقالت له: إذا صرت إلى الملك فارق الغلام واسقيه من هذه الشجرة، فإنه يبرأ، واصدق الملك الحديث فإنك تنجو إن شاء الله. فلما سمع الملك ذلك من ابنه: أن شفاي^٣ عند الناسك الذي أخذته وأمرت بعذابه، أمر الملك أن يكف عن عقوبة الناسك وأن يؤتي به. فأني به، فأمره أن يرقى ابنه، فقال: لست أحسن ما أمرتني به؛ ولكن أدعو الله، عز وجل، بدعوة أرجو أن يكون فيها شفاء ما به. فقال الملك: إنما دعوتك لتخبرني بحاجتك في هذه المدينة، وما أقدمكها. فقال السباح وقص عليه أمره، وما كان من صنعه إلى الصواغ والقرود والحية والبربر، والذي قلن له في أمر الصواغ، وما حمله على أن يأتي مدينته. ثم قال: اللهم إن كنت تعلم أنني صادق فيما ذكرت فجعل لابن الملك إبراء مما هو فيه، والشفاء والعافية. فبرئ الغلام مما كان به وكُشِف عنه الألم. فأعطى الملك السباح، ووصله وأحسن جائزته، وأمر بالصائع أن يضرب حتى يموت، ويصلب.

ثم قال الفيلسوف للملك: ففي صنع الصائع بالسباح وكفره به، بعد استنقاذه إياه من

المكروه، ومكافأة البهائم له وتخليص بعضها له من القتل - عبرة للمعتبر، وفكرة لمن يفكر، وأدب في وضع المعروف والإحسان عند أهل الوفاء والكرم قُرُيُوا أم بُعدوا؛ لما في ذلك من صواب الرأي وجلب الخير وصرف المكروه .







قال الملك للفيلسوف: قد فهمتُ ما ذكرتُ مما يحقُّ على الملك من التوخيِّ بمعرفه أهلِ الشكرِ قربوا أم بُعدوا. فأخبرني ما بالُ الرجلِ السفِيه يصيبُ الرفعةَ والشرفَ، والحكيمِ اللبيبِ لا يخلو من الهمِّ والجَهدِ ؟

قال الفيلسوف: كما أنَّ الرجلَ لا يبصرُ إلَّا بعينه ولا يسمعُ إلَّا بأذنيه، كذلك العلمُ، إنَّما تمامه الحلم والعقل والتثبُّتُ؛ غيرُ أنَّ القضاء والقدرَ يغلبانِ كلَّ شيءٍ. وإنَّما يريدانِ أدنى علةً¹ فيمُولانِ صاحبها أو يهلكانه. ومثْلُ ذلك مثلُ ابنِ الملكِ الذي رُئيَ على بابِ مدينةٍ يقال لها مَطُونٌ² جالساً وقد كتب على البابِ: «إنَّ العقلَ والجمالَ والاجتهادَ والقوةَ وما سوى ذلكِ إنَّما يلاِكهُ القضاء والقدرُ». قال الملكُ: وكيف كان ذلك ؟ قال الفيلسوفُ :

زعموا أنَّ أربعة نفر اصطحبوا: أحدهم ابنَ ملكٍ، والآخِر ابنَ تاجرٍ، والآخِر ابنَ شريفٍ

مِنْ أُنْتِ النَّاسِ حَسَنًا وَجَمَالًا، وَالْآخِرُ ابْنُ أَكَّارٍ* . وَكَانُوا جَمِيعًا مُحْتَاجِينَ قَدْ أَصَابَهُمْ ضَرٌّ وَجَهْدٌ، لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا إِلَّا مَا عَلَيْهِمْ مِنْ ثِيَابِهِمْ. فَبَيْنَمَا هُمْ يَمْشُونَ إِذْ قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ: إِنْ أَمَرَ الدُّنْيَا كُلَّهٗ بِقَدْرٍ. قَالَ ابْنُ التَّاجِرِ: الْعَقْلُ أَفْضَلُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. قَالَ ابْنُ الشَّرِيفِ: الْجَمَالُ خَيْرٌ مِمَّا ذَكَرْتُمْ. قَالَ ابْنُ الْأَكَّارِ: الْجَاهِدَادُ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ. ثُمَّ مَضُوا نَحْوَ مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا مَطُونٌ. فَلَمَّا انْتَهَوْا إِلَى تِلْكَ الْمَدِينَةِ أَقَامُوا فِي نَاحِيَةِ مِنْهَا، وَقَالُوا لِابْنِ الْأَكَّارِ: انْطَلِقْ فَاطْلُبْ لَنَا بِاجْتِهَادِكَ الْيَوْمَ طَعَامًا لِيَوْمِنَا هَذَا. فَانْطَلَقَ ابْنُ الْأَكَّارِ يَسْأَلُ: أَيُّ عَمَلٍ إِذَا عَمِلَهُ الرَّجُلُ مِنْ غُدُوَّةٍ إِلَى اللَّيْلِ كَسَبَهُ مَا يُشْبِعُ أَرْبَعَةَ نَفَرٍ؟ فَقِيلَ لَهُ: لَيْسَ شَيْءٌ أَغْزَّ مِنْ الْحَطَبِ، وَكَانَ عَلَى رَأْسِ فَرْسَخٍ مِنْهَا، فَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ فَحَمَلَ طَنًّا* مِنْ حَطَبٍ فَجَاءَ بِهِ فَبَاعَهُ بِنِصْفِ دِرْهَمٍ. ثُمَّ اشْتَرَى بِهِ مَا يُصْلِحُ أَصْحَابَهُ. وَكَتَبَ عَلَى بَابِ الْمَدِينَةِ: «اجْتِهَادُ يَوْمٍ وَاحِدٍ تَبْلُغُ قِيَمَتُهُ نِصْفَ دِرْهَمٍ». وَأَتَاهُمْ بِمَا اشْتَرَى فَأَكَلُوهُ .

فَلَمَّا أَصْبَحُوا قَالُوا لِابْنِ الشَّرِيفِ: انْطَلِقْ فَاسْكِبْ لَنَا بِجَمَالِكَ بَعْضَ مَا يَقُوتُنَا الْيَوْمَ. فَانْطَلَقَ فَفَكَّرَ فِي نَفْسِهِ وَقَالَ: لَسْتُ أَعْرِفُ شَيْئًا مِنَ الْأَعْمَالِ، وَأَسْتَحْيِ أَنْ أَرْجِعَ إِلَى أَصْحَابِي بِغَيْرِ شَيْءٍ. وَهَمُّ أَنْ يَفَارِقَهُمْ، فَاسْتَدَّ ظَهْرَهُ إِلَى شَجَرَةٍ فِي الْمَدِينَةِ. فَبَيْنَمَا هُوَ مُهِمُّومٌ إِذْ مَرَّتْ بِهِ امْرَأَةٌ لِبَعْضِ عِظَمَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ فَأَعْجَبَهَا جَمَالُهُ. فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ جَارِيَتَهَا فَأَتَتْ بِهِ إِلَى مَنْزِلِهَا. ثُمَّ أَمَرَتْ بِهِ فَنُظِّفَ، ثُمَّ خَلَا بِهَا يَوْمَهُ كُلَّهُ فِي نَعِيمٍ وَسُرُورٍ. فَلَمَّا أَمْسَى أَمَرَتْ لَهُ بِخَمْسَمِائَةِ دِينَارٍ. فَلَمَّا قَبِضَهَا تَوَجَّهَ إِلَى أَصْحَابِهِ وَكَتَبَ عَلَى بَابِ الْمَدِينَةِ: «جَمَالُ يَوْمٍ وَاحِدٍ بِخَمْسَمِائَةِ دِينَارٍ» .

فَلَمَّا أَصْبَحُوا قَالُوا لِابْنِ التَّاجِرِ: انْطَلِقْ أَنْتَ الْيَوْمَ فَاسْكِبْ لَنَا بِعَقْلِكَ وَتِجَارَتِكَ شَيْئًا. فَذَهَبَ ابْنُ التَّاجِرِ، فَمَا لَبِثَ قَلِيلًا حَتَّى أَبْصَرَ سَفِينَةً عَظِيمَةً فِي الْبَحْرِ قَدْ أُرْسَتْ إِلَى الشَّطِّ غَيْرَ بَعِيدٍ مِنَ الْمَدِينَةِ، وَقَدْ خَرَجَ إِلَيْهَا أَنْاسٌ كَثِيرٌ لِيَشْتَرُوا مَا فِيهَا، فَسَافَمُوا أَصْحَابَهَا، ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: انْصَرَفُوا يَوْمَكُمْ هَذَا حَتَّى يَكْسُدَ عَلَيْهِمْ وَيُرْخِصُوهُ عَلَيْنَا. فَجَاءَ ابْنُ التَّاجِرِ فَاشْتَرَى مَا فِيهَا بِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ. فَلَمَّا بَلَغَ الْقَوْمَ ذَلِكَ أَتَوْهُ فَأَرْبَحُوهُ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ، فَأَخَذَهَا مِنْهُمْ وَأَحَالَ



زعموا أن أربعة
نفر اصطحبوا

صاحب السفينة على التجار، ورجع إلى أصحابه. فلما مرَّ بباب المدينة كتب عليه: « عقل يوم واحد بمائة ألف درهم » .

فلما أصبحوا في اليوم الرابع قالوا لابن الملك: انطلق أنت اليوم فاكسب لنا شيئاً. فذهب حتى أتى باب المدينة فجلس على دُكَّانٍ بالباب. فقُضِيَ أَنَّ ملك المدينة هلك في ذلك اليوم، ولم يُخلَّف ولداً ولا أخاً ولا قرابة. فَرَوَا عليه بالجنائزَة فبُصُّوا به لا يتحرَّك ولا ينحاشُ^٢ ولا يحزن لموت الملك. فسأله رجل فقال^٣: من أنت؟ وما الذي يقعدك على باب المدينة لا يُحزنك موت الملك؟ فلم يجبه. فشتمه وطرده. فلما مضوا رجع إلى مكانه. فلما انصرفوا رآه الذي طرده فقال: أَلَمْ أنْهَكَ عن هذا الموضع، وأتقدم إليك؟ فأخذه وحبسه .

ثم إنهم اجتمعوا ليملكوا عليهم رجلاً يختارونه، فقام الذي كان أمر بالفتى إلى الحبس فحدثهم بقصته، وقال: إني أتحوِّف أن يكون عينا علينا لعدونا. فبعثوا إليه فأتوا به فسألوه مَنْ هو، وما أمره، وما الذي أقدمه بلدهم ؟ فقال: أنا ابن اصطهر ملك أرض قورماه^٤. تُوفِّي

٢ يرد ويتعد .

والذي فغلني أخي على الملك، وأنا أكبرُ منه، فهربت منه حذراً على نفسي. فعرفه من كان وطيء أرضهم فأنثوا عليه، وملكوه عليهم. وكان سنتهم إذا ملكوا الرجل طافوا به على القيل الأبيض، وتركوا التاج على رأسه وجالوا به المدينة. فلما مرَّ على باب المدينة فأبصر ما كتبه أصحابه، أمر أن يكتب مع ذلك: «إنَّ الاجتهاد والجمال والعقل وما أصاب المرء من خير وشرَّ فبقضاء وقدر. اعتبروا ذلك بما ساقه الله إليَّ من الخير والسعادة».

ثم إنَّ الملك أتى مجلسه وقعد على سرير ملكه وأرسل إلى أصحابه فأتوه فوَّهم وأعطاهم وأغناهم. ثم جمع الناس والعَمال وذوي الرأي من أهل مملكته فقال: أما أصحابي فقد استبقنوا أنَّ الذي رزقهم الله من الخير إنما كان بقدر فاعان عليه ببعض ما ذكروا. وأما أنا فإنَّ الذي منحني الله ورزقي ووهبه لي لم يكن من الجمال ولا من العقل ولا من الاجتهاد. وما كنت أرجو، إذ طردني أخي، أن أصيب هذه المنزلة، ولا أن أكون بها؛ لأنِّي قد رأيت من أهل هذه الأرض مَنْ هو أفضلُّ مني جمالاً وحسناً، وعلمت أنَّ فيها مَنْ هو أكملُّ مني عقلاً ورأياً وأشدُّ اجتهاداً، فسأقي القضاء والقدر إلى أن اغتربت فلكت أمراً قد علمه الله وقدره، وقد كنت راضياً أن أعيش بحال خشونة وضيق معيشة. فقام سيَّاح كان في جمعهم ذلك فقال: أيها الملك قد تكلمت بحلم وعقل فحسن ظننا بك، وعظم رجائنا فيك، وعرفنا ما ذكرت، وصدَّقناك فيما وصفت، وعلمنا أنك كنتَ لما ساق الله إليك من ذلك أهلاً، بفضلٍ قَسَمه لك، وتابَع نعمه عليك؛ فإنَّ أسعد الناس في الدنيا والآخرة وأولاهم بالسُرور فيها مَنْ رزقه الله ما رزقك، وجعل عنده مثل ما عندك، وقد أرانا الله الذي نحبُّ إذ ملكت علينا. فنحمد الله على ما أكرمنا به من ذلك وامتنَّ به علينا. وقام سيَّاح آخر فأنثى على الله تعالى ومجَّده وذكر آلاءه وقال: أيها الملك إني قد كنت، وأنا غلام قبل أن أكون سائحاً، أخدم رجلاً من أشراف الناس. فلما بدا لي أن أرفض الدنيا فارقت. وقد كان أعطاني من أجرتي دينارين. فأردت أن أتصدَّق بأحدهما وأنفق الآخر. فقلت: أليس أعظم الأجر أن أشتري نفساً بدينار وأعتقها لوجه الله؟ فأُتيت السوق فوجدت مع صيَّاد حمامتين، فسأوته بهما فأبى أن يبيعهما بأقلَّ من دينارين. فجهدت على أن يعطينيهما بدينار فأبى. فقلت: لعلهما أن يكونا زوجين أو أخوين، فأخاف أن أعتق أحدهما فيموت الآخر. فاشتريتهما منه بالثمن الذي سَمي. وأشفقت، إن أنا أرسلتهما في أرض



فلما مر الملك على باب المدينة فأبصر ما كتبه أصحابه ، أمر أن يكتب ...

عامرة ، ألا يستطيع أن يطير من الهزال وما لقيا من الجهد. فذهبت بهما إلى مكان كثير الرعي فسرحتهما فطارا فوقا على شجرة. ثم انصرفت راجعا. فقال أحدهما للآخر : لقد خلصنا هذا السائح من البلاء الذي كنا فيه ، وإنا لحقيقان أن نجازيه بفعله. فقالا لي : قد أتيت إلينا معروفاً ، ونحن أحق أن نشكره به ونجازيك عليه ؛ وإن في أصل هذه الشجرة جرة مملوءة دنانير ، فاحتفر عنها فخذها. فأتيت الشجرة وأنا في شك مما قالوا ، فلم أحفر إلا قليلاً حتى انتهيت إليها فاستخرجتها ودعوت الله لهما بالعافية وقلت لهما : إذا كان علمكما على ما أرى ، وأنتما تطيران بين السماء



قالت الحمامتان: إن في أصل الشجرة جرة مملوءة دنائير .

والأرض، فكيف وقعنا في هذه الورطة التي نجتكما منها ؟ فقالا لي: أيها العاقل، أما تعلم أن القدر يغلب كل شيء، ولا يستطيع أحد أن يجاوزه أو يقصر عنه !

ثم قال الفيلسوف للملك: ليعرف أهل النظر في الأمور والعمل بها أن الأشياء كلها بقضاء وقدر؛ لا يجلب أحد منها إلى نفسه خيراً ولا يدفع عنها مكروهاً، وأن ذلك كله من الله عز وجل، وأن الله يفعل فيها ما أراد ويقضي فيها ما أحب. فلتسكن إلى ذلك الأنفس، ولتطمئن إليه القلوب؛ فإن ذلك لمن ألهمه الله ووفق له، سعة وراحة .





باب البهفة والشعر^①

قال الملك للفيلسوف: قد فهمت ما ذكرت من أمر القضاء والقدر وغلبتهما للأشياء. فأخبرني عمّن يدع ضرّ غيره لما يصيبه من الضرّ، ويكون له فيما ينزل به واعظ وزاجر عن ارتكاب الظلم والعدوان من غيره .

قال الفيلسوف: إنه لا يُقدّم على طلب ما يضرّ الناس ويسوؤهم إلّا أهلُ الجهالة والسفه، وسوءِ النظر في عواقب الأمور في الدنيا والآخرة، وقلةُ العلم بما يدخل عليهم في ذلك من حلول النعمة، ويلزمهم من تبعه ما اكتسبوا مما لا يحيط به القول. فإن سلم بعضهم من بعض لمينةً عرضت قبل نزول وبالٍ ما صنعوا، اعتبر² بهم الآخرون بما ينقطع فيه الكلام والوصف من الشدة وعظم الهول. وربما اتعظ الجاهل واعتبر بما يصيبه من المكروه من غيره، فارتدع عن أن يتبلى أحداً بمثل ذلك من الظلم والعدوان، ورجا نفعاً ما كفّ عنه في الآخرة. ونظير ذلك



ومر الأسوار بالشبلين فرماهما

حديثُ الأسوار^٥ واللَّبوةُ والشَّعْهَرُ. فقال الملك: وكيف كان ذلك؟ قال الفيلسوف:

زعموا أنَّ لَبْوَةً كانت في غَيْصَةٍ ولها شَيْلَان، وأنها خرجت ذات يوم تطلب الصيد، وخلفتَهما. فرَّ بهما أسوار فرماهما حتى قتلهما، وسلخ جلودهما، ومضى بهما إلى منزله. ثم إنَّ اللَّبْوَةَ رجعت فرأت ما بشيليهما من الأمر الفظيع فصرخت وصاحت وتقلبت ظهرًا وبطنًا.

وكان إلى جانبها شعْهَر جارٌّ لها. فلما سمع بكاءها وصراخها وجزعها، خرج إليها فقال لها: ما هذا الذي أراه بك؟ وما جرى عليك؟ فأخبريني به لأشاركك فيه. قالت: إنَّ شَيْلِيَّ مَرَّ عليهما أسوار فقتلهما وأخذ جلودهما وألقاهما بالعراء. قال الشعْهَر: لا تحزني ولا تصرخي، وأنصفي من نفسك، واعلمي أنَّ هذا الأسوار لم يأت إليك شيئًا إلاَّ وكنْتَ ركبَتِ من غيرك

مثلّه، ولم تجدي من الأسف والحزن على شبليك شيئاً إلا وقد كان من كنتِ تفعلين بأحبابه ما تفعلين، يجد مثلّه أو أفضل منه³. فاصبري. من غيرك على نحو ما صبر عليه غيرك منك؛ فإنه قد قيل: كما تدينُ تدان. وإنَّ ثمرة العمل الثوابُ أو العقاب، وهما على قدره في القلّة والكثرة؛ كالزراع إذا حصد الحصاد أُعطيَ على قدر بذره. قالت اللبوة: اشرح لي ما تقول وأوضحه. قال الشعر: كم لك من العمر؟ قالت اللبوة: مائة سنة. قال: ما الذي كان يقوتك ويُعيشك؟ قالت اللبوة: لحوم الوحش. قال الشعر: ومن كان يُطعمك ذلك؟ قالت اللبوة: نفسي. قال: أما كان لتلك الوحوش آباء وأمّهات؟ قالت اللبوة: بلى. قال الشعر: فما لنا لا نسمع من تلك الآباء والأمّهات من الضجة والجرع والصراخ ما نسمع ونرى منك؟ أما إنه لم يصبك ذلك إلا لسوء نظرك في العواقب، وقلة تفكيرك فيها، وجهالتك بما يرجع عليك من ضرّها! فلما سمعت اللبوة ذلك عرفت أنها هي اكتسبت ذلك على نفسها وجرته إليها، وأنها هي الظالمة الجائرة، وأنه من عملٍ بغير الحق والعدل انتقم منه وأدب عليه. فتركت الصيد وانصرفت عن أكل اللحم إلى الثمار، وأخذت في الزهد والنسك والعبادة.

ثم إنَّ الشعر، وكان عيشه من الثمار، رأى كثرة أكل اللبوة إياها. فقال لها: لقد ظننتُ، لقلة الثمار وكثرة أكلك إياها، أنَّ الشجر لم يحمل إلا نزرًا العام. ولما رأيت أكلك لها - وأنت صاحبة لحم - ورفضك رزقك وما قسم الله لك، وتحولك إلى رزق غيرك فانتقصته ودخلت عليه فيه، علمت أنَّ الشجر قد أتمر كما كان يُثمر فيما خلا، وأما هذه الزرورة في ذلك من قبلك. فويل للشجر وللثمار ولن كان عيشه منها! فما أسرع هلاكهم ودمارهم، إذ قد نازعهم في ذلك من لا حق له فيه ولا نصيب! فتركت أكل الثمار وأقبلت على أكل العشب.

وإنما ضربتُ لك هذا المثل لأنَّ الجاهل ربما انصرف لمكروه يحلّ به عن ضرّ الناس، كاللبوة التي تركت، بما لقيت من شبليها، أكل لحوم الوحش، ولقول الشعر، أكل الثمار، وأقبلت على النسك والعبادة.

٣ غلب بعد أن كانت له الغلبة.

ثم قال الفيلسوف للملك: فالناس أحق بحسن النظر في الأمر الذي لهم الحظ فيه؛ فإنه قد قيل: ما لا ترضاه لنفسك لا ترضه لغيرك، وما لا تحب أن يصنع بك فلا تصنعه بغيرك؛ فإن في ذلك العدل، وفي العدل رضا الله تعالى .



ولما رأى الشعير كثرة أكل اللبوة من الثمار، قال: لقد ظننت لقلة الثمار أن الشجر لم يحمل إلا نزرًا هذا العام..







باب النَّاسِكِ وَالضَّيْفِ

قال الملك للفيلسوف: قد فهمت ما ذكرت من أمرٍ من يدعُ ضُرَّ غيره لضرِّ نفسه. فأخبرني
عَمَّنْ يدعُ عمله الذي يعرفه ويليق به، ويطلبُ سواه فلا يقدرُ عليه، فيراجع الذي كان في
يده من عمله، فيفوتُه ويبقى حيرانَ متلذذاً^{*}. قال الفيلسوف:

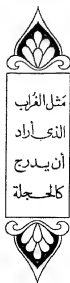
زعموا أنه كان في أرض يقال لها الكَرَّخ ناسكٌ مجتهد في النسك فتزل به ضيف ذات
يوم فدعا له بتمر ليُطِرَّفه به، فأكلا منه جميعاً. ثم إن الضيف قال: ما أحلى هذا التمر وأطيبه !
وليس في بلادِي التي أسكنها نخل، مع أنه إن لم يكن فيها فإنَّ هنالك من الثمار ما أكتفي به.
فإنه من يقدر على التين وما أشبهه من حلو الفاكهة يُجزِّيه[°] ويقضي منه حاجته. هذا مع
وخامة التمر وقلة موافقته للجسد. قال الناسك: إنه لا يُعدُّ سعيداً مَنْ احتاج إلى ما لا يجد وليس

°° ينفعه .

* متردداً ، لا يستقر على رأي .



بمقدور عليه، فَنَشَرُهُ لَذَلِكَ نَفْسُهُ، وَيَقْلَّ عَنْهُ صَبْرُهُ، وَيَصِلُ إِلَيْهِ مِنْ ثَقُلِ ذَلِكَ وَاغْتَامِهِ مَا يُضِرُّ بِهِ وَيُدْخِلُ الْمَشَقَّةَ عَلَيْهِ. وَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَظِيمُ الْجَدُّ الْجَزِيلُ الْحَظُّ، حِينَ قَنَعْتَ بِمَا رَزَقْتَ وَزَهَدْتَ فِيمَا لَا تَتَفَرَّجُ بِهِ وَلَا تَدْرِكُ طَلِبَتِكَ مِنْهُ. قَالَ الضَّيْفُ: وَقَفَّتْ وَرَشِدَتِ. وَقَدْ سَمِعْتَ مِنْكَ كَلَاماً عِبْرَانِيّاً أَعْجَبَنِي فَاسْتَحْسَنْتَهُ؛ فَلَوْ عَلِمْتَنِيهِ ! فَإِنَّ لِي فِيهِ رَغْبَةً، وَأَنَا عَلَيْهِ حَرِيصٌ. فَقَالَ النَّاسِكُ: مَا أَخْلَقَكَ أَنْ تَقَعَ، فِيمَا تَرَكْتَ مِنْ كَلَامِكَ وَتَكَلَّفْتَ مِنْ كَلَامِ الْعِبْرَانِيَّةِ، فِي مِثْلِ مَا أَصَابَ الْغَرَابَ. قَالَ الضَّيْفُ: وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟ قَالَ النَّاسِكُ :



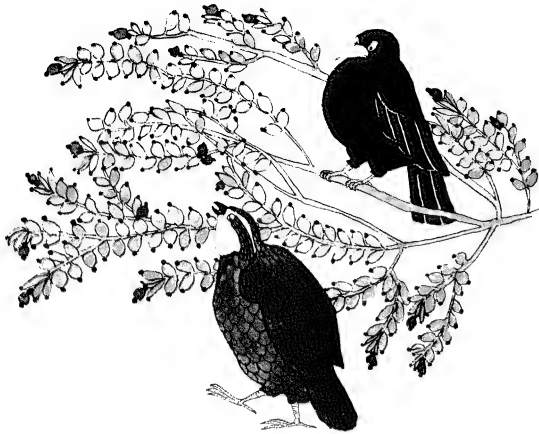
زَعَمُوا أَنَّ غَرَاباً رَأَى حَجَلَةً تَدْرُجُ، فَأَعْجَبَتْهُ مِشْيَتُهَا، فَطَمَعَ فِي تَعَلُّمِهَا، فَرَاضَ نَفْسَهُ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى إِحْكَامِهَا. فَانْصَرَفَ إِلَى مِشْبَتِهِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا فَلَمْ يُحْسِنْ. فَبَقِيَ حَيْرَانٌ مَتَرَدِّداً، لَمْ يَدْرِكْ مَا طَلَبَ وَلَمْ يَحْسِنْ لِمَا كَانَ فِي يَدِهِ الْجَفْظَ .

وإنما ضربت لك هذا المثل لتعلم أنك خَلِيقٌ، إِنْ تَرَكْتَ لِسَانَكَ وَتَكَلَّفْتَ عِلْمَ مَا لَا يَشَاكِلُكَ مِنْ كَلَامِ الْعِبْرَانِيَّةِ، أَلَّا تَدْرِكَهُ وَأَنْ تَنْسِيَ الَّذِي كَانَ فِي يَدِكَ مِنْ غَيْرِهِ؛ فَإِنَّهُ قَدْ قِيلَ: يُعَدُّ جَاهِلًا مَنْ حَاوَلَ مِنَ الْأُمُورِ مَا لَا يَشَبْهُهُ وَلَيْسَ مِنْ أَهْلِهِ، لَمْ يَدْرِكْهُ آبَاؤُهُ وَلَا أَجْدَادُهُ مِنْ قَبْلِهِ، وَلَا يُعْرِفُونَ بِهِ .

ثُمَّ قَالَ الْفِيلَسُوفُ لِلْمَلِكِ: فَالْوَلَاةُ، فِي قَلَّةِ تَعَاهُدِهِمْ لِلرَّعِيَّةِ فِي هَذَا وَأَشْبَاهِهِ، أَلْوَمٌ وَأَسْوَأُ تَدْبِيرًا؛ لِأَنَّ تَنْقُلَ النَّاسِ مِنْ بَعْضِ الْمَنَازِلِ إِلَى بَعْضٍ فِيهِ صَعُوبَةٌ وَمَشَقَّةٌ شَدِيدَةٌ. ثُمَّ إِنَّ الْأَشْيَاءَ فِي ذَلِكَ تَجْرِي عَلَى مَنَازِلَ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى الْخَطَرِ الْجَسِيمِ مِنْ مَضَاةِ الْمَلِكِ فِي مَلِكِهِ .

وقال الضيف للناسك: ما أحلى هذا التمر وأطيبه وليس في بلادتي نخل

ورأى الغراب حجلة تدرج فأعجبته مشيتها







قال الملك للفيلسوف: قد سمعتُ هذا المثل فاضربْ لي مثلاً في شأن الرَّجُلِ الَّذِي يرى الرَّأْيَ لغيرِهِ ولا يراه لنفسِهِ. قال الفيلسوفُ: إنَّ مثل ذلك مثلُ الحَمامَةِ والتعلبِ ومالك الحزين. قال الملكُ: وما مثلُهُنَّ ؟

قالَ الفيلسُوفُ: زعموا أنَّ حمامةً كانتُ تُفْرِخُ في رأسِ نخلةٍ طويلةٍ ذاهبةٍ في السماء، فكانتِ الحمامةُ تُشْرِعُ في نقلِ العِشِّ إلى رأسِ تلكِ النخلةِ، فلا يَمَكِنُ أنْ تنقُلَ ما تنقُلُ مِنَ العِشِّ وتجعله تحت البيضِ إلا بعدَ شِدَّةٍ وتعبٍ ومشقةٍ: لطولِ النَّخلةِ وَسُحْقِهَا ؛ فإذا فرغتُ من النقلِ باضتُ ثم حَضَنْتُ بيضها، فإذا فقسَتْ وأدركَ فراخُها جاءها ثعلبٌ قد تعاهد ذلك منها لوقتٍ قد علمه بِقَدْرِ ما ينهضُ فراخُها، فيقفُ بِأَصْلِ النخلةِ فيصيحُ بها ويتوعدها أنْ

• بعدها الشديد .

يرقى إليها فتلقني إليه فراخها. فبينما هي ذات يوم أدرك لها فرخان إذ أقبل مالك الحزين فوقع على النخلة. فلما رأى الحمامة كثيية حزينة شديدة الهم قال لها مالك الحزين : يا حمامة، مالي أراك كاسفة اللون سيئة الحال ؟ فقالت له : يا مالك الحزين ، إن ثعلباً دهيت به كلما كان لي فرخان جاءني يهددني وبصيح في أصل النخلة، فأفرق منه فأطرح إليه فرخي. قال لها مالك الحزين : إذا أتاك ليفعل ما تقولين فقلّي له : لا ألقى إليك فرخي، فأرق إلي وغر بنفسك. فإذا فعلت ذلك وأكلت فرخي، طرأت عنك ونجوت بنفسي. فلما علمها مالك الحزين هذه الحيلة طار فوقع على شاطئ نهر. فأقبل الثعلب في الوقت الذي عرف، فوقف تحته، ثم صاح كما كان يفعل. فأجابته الحمامة بما علمها مالك الحزين. فقال لها الثعلب : أخبريني من علمك هذا ؟ قالت : علمني مالك الحزين. فتوجه الثعلب حتى أتى مالكاً الحزين على شاطئ النهر، فوجده واقفاً. فقال له الثعلب : يا مالك الحزين : إذا أتتك الريح عن يمينك فأين تجعل رأسك ؟ قال : عن شمالي. قال : فإذا أتتك عن شمالك فأين تجعل رأسك ؟ قال : أجعله عن يميني أو خلفي. قال : فإذا أتتك الريح من كل مكان وكل ناحية فأين تجعله ؟ قال : أجعله تحت جناحي. قال : وكيف تستطيع أن تجعله تحت جناحك ؟ ما أراه يتها لك. قال : بلى . قال : فأرني كيف تصنع ؟ فلعمري يا معشر الطير لقد فضلكم الله علينا . إنك تدرين في ساعة واحدة مثل ما ندرني في سنة، وتبلغن ما لا تبلغ، وتدخلن رعوكن تحت أجنحتكن من البرد والريح . فهنيئاً لكن فأرني كيف تصنع . فأدخل الباطر رأسه تحت جناحه، فوثب عليه الثعلب مكانه فأخذه فهمزه همزة دقت عنقه . ثم قال : يا عدو نفسيه ، ترى الرأي للحمامة، وتعلمها الحيلة لنفسها، وتعجز عن ذلك لنفسك، حتى يستمكن منك عدوك، ثم أجهز عليه وأكله .



فلما انتهى الملك والفيلسوف إلى باب الناسك والضيف سكت الملك، وقال الفيلسوف : عشتَ أيها الملك ألف سنة، ومُلكت الأقاليم السبعة، وأعطيت من كل شيء سبباً، وبلغته في سرور منك برعيتك، وقرّة عين منهم بك، ومساعدة من القضاء والقدر. فلقد كمل منك الحلم، وزكا منك العقل والقول والنية. فلا يوجد في رأيك نقص، ولا في قولك سقط، ولا في فعلك عيب. وجُمع فيك النجدة واللين، فلا توجد جباناً عند اللقاء، ولا ضيق الصدر فيما ينوبك من الأشياء .

وقد شرحت لك الأمور، ولخصت لك جواب ما سألتني عنه، واجتهدت لك في رأيي، ونظرت بمبلغ فطنتي في التماس قضاء حاجتك. فاقض حقي بحسن النية منك بإعمال فكرك وعقلك فيما وصفت لك؛ فإن الأمر بالخير ليس بأسعد به من المطيع له فيه، ولا الناصح بأولى بالنصيحة من المنصوح له بها، ولا المعلم بأسعد بالعلم ممن تعلمه

منه. فمن تدبّر هذا الكتاب بعقله، وعمل فيه بأصالة رأيه، ثم فكّر فيه كان قميناً للمراتب العظام والأمور الجسام. والله يوفّقك أيها الملك، ويصلح منك ما كان فاسداً.

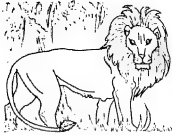
فأمر الملك عند ذلك بفتح أبواب خزائنه، وأن يحكّم فيها الفيلسوف فيأخذ ما احتكم من الأموال ومن صنوف الدرّ والجوهر والذهب والفضة، وألا يُمنع شيئاً من ذلك. وأقطعه إقطاعاً كثيراً، ورفع درجته ومرتبته إلى الغاية التي لا يسمو إليها أحد من نظرائه.



تعريفات

هذه التعريفات التي نفردت بها نسختنا إضافة جديدة لا توجد في أية نسخة مطبوعة من كلية ودعة . وقد أردنا بها أن نتيح للقارئ فهم الشخص الذي كانت محور قصص كلية ودعة . ولذلك اخترنا من هذه الشخص ما له قسط من أمثال الكتاب وقصصه ، معرضين عن بعضها تجنباً للإطالة ، ورغبة في الفائدة .
وقد اعتمدنا على معظم الكتب القديمة واجتهدنا أن يكون التعريف قريباً من مضمون القصص ، موضحاً مستقلها ، مفيئاً جوانبها المظلمة . ولذلك قصرنا التعريف بالحيوان على ما يخص كلية ودعة دون تناول الصفات والطابع الأخرى مما ليس له صلة بقصص الكتاب أو أمثاله .

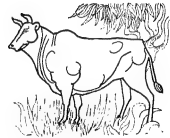
الأسد



أشرف الحيوان المتوحش . منزلته منها منزلة الملك المهاب لقوته وشجاعته ، وقساوته وشهامته ، وجهامته وشراسة خلقه . ولذلك يضرب به المثل في القوة والنجدة والبسالة وشدة الإقدام ، والجرأة والصولة . ومنه نوع على شكل البقر له قرون سود .
يفزع من صوت الديك ، وقر الطست ، وخوار الثور ، ويتحير عند رؤية النار .
يعمر كثيراً . وعلامة كبره سقوط أسنانه .

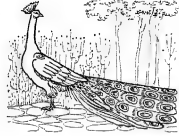
الشور

أمير البقر ، تطيعه طاعة إناث النحل للبعسوب . له خوار مكرب يهيج له الأسد ويفزع منه . لكنه أشد الحيوان براعة ودماثة إذا لم يثر . والثور إذا عدا عدل بلسانه عن شق شماله إلى يمينه . سلاحه قرنه ، وهو قوي ، منه ما يحمل حمل الجمل باركاً ثم ينفض به . ومنه ما يحلم ويحتم . وهو يفزع من الصبح والإشراق . يعادي اللذب والغراب ويكره ابن آدم .



الطاووس

من طير الجنة ، حسنة في ذنبه وتلاوين ريشه . وصوته سجع يشتمام منه . يلقى ريشه في الخريف ، ويكتسي إذا اكسى الشجر . ويقال إنه يحسن الرقص ، ويجب الملاحظة وإذا عرض الطاووس في منام الإنسان عثر على كنز أو تزوج امرأة جميلة . وكانت الهند تتخذ من ريش ذنبه حلية للوكها وأعظم رجالاتها . كما كانوا يزينة به حجال العروس .



الكلب



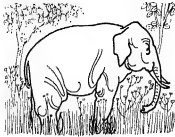
يجمع خصال اللؤم والتفالة والحرص والشره . ومن عجابه أن أنه إذا سافدت أدت إلى كل كلب سافد شكله . وله ضرب من النغم والتصويت ، وله نوح وتغريب ، ودعاء وخوار ، وبصبة ، وشيء يصنعه عند القرع . وله صوت شبيه بالأنين إذا غشي الصيد . يخاف الناس ، ويكرم الرجل الجميل اللباس ، ويقوم مع الإنسان ، فيعرف اسمه وصاحبه . ويتلوى في التلوى . وهو من أفقر الحيوان على السباحة .

القرود



أشبه الحيوان بالإنسان ، وأكثرها تقليداً له . فهو يضحك ويغرب ويحكى ويتناول الطعام بيديه . لا يعرف السباحة ، فإذا سقط في الماء غرق ولم يسبح ، ويحكى عنه شدة التزاوج والغيرة على أنثاه . وهو حيوان ذو أعاجيب ، كثير القطة ، صاحب حيلة ، يقبل التدريب إلى درجة بالغة . وهو أنواع . ومن الهندوس من يعبد له لما عرف عنه من أساطير .

الفيل



أشرف مراكب الملوك . في عينه من صحة الفهم والتأمل إذا نظر بها ما يشبه نظرة الملوك . يعيش مائة السنة ، وماتى السنة . سريع التعلم . يخرج من بطن أمه نابت الأسنان . يقاقل بخرطومه ، ويضرب ويصيح ، وهو مقتل من مقاتله كذلك . والهند تربط في طرفه سيقاً شديداً للثمن فيقاتل به ، وأنثاه سبية الأخلاق عند الهيج .

الثعلب



سبع ، جبان ، مستضعف ، لكنه ذو مكر وخديعة . ولقرط خبثه يجري مع كبار السباع . ومن حيلته في طلب الرزق أنه يتأوت ، ويشغ بطنه ، ويرفع قوائمه ، حتى يظن أنه مات . فإذا قرب منه حيوان وثب عليه ، وصاده . ومن شأنه إذا دخل برج حمام ، وكان شعبان ، قتلها ، ورسم بها ، لعله أنه إذا جاع ، عاد إليها فأكلها . وحين تكثر البراغيث في فروته يتناول بفيه صدقة ويدخل في الماء فيغمس كل بدنه ما عدا خطمه . وهكذا تتجمع البراغيث في الصدقة فيتركها ، ويهرب .

الفأر



من الحيوانات المتقدمة في إحكام شأن معيشتها . فهي تذخره ، وتشبه في ذلك بالإنسان : عقلاً وروية ونظراً في العواقب . وهي ضارة ، إذ ربما تحرق أهل البيت ، وتقرض الثياب الثمينة ، وتفسد بذلك اللحف ، وتجلب الحيات إلى البيوت ، وربما تقطع أذن النائم ، أو تنسب في هلاك أمة . لا تلاحق الجرذان ، ولا تأنس . وهي لا تحفر بيوتها على قارة الطريق ، وتجنب المواد حتى لا تهدم الحوافر بيوتها ، وهي تفر من السور ، لتسلط عليها ، ولعبه بها ، وأكله لها .

الأرنب



حيوان مسخ ، من مراكب الغيلان ، فهي تتناسل منها ، تحيض ولا تسمن . وذكرها الخرز . ويقال : إن قضيه من عظم على صورة قضيب الثعلب . ومن أعاجيبها أنها تنام مفتوحة العين ، وأنها تطفأ على مؤخر قوائمها كي لا تعرف الكلاب آثارها . ويحكى أن العقاب إذا اصطادها ، يلعب بها ساعة ، فيخلي سبيلها ، ويتغافل عنها ، فإذا ظنت أنها نجت اقتضض عليها فأخذها .

البيـر



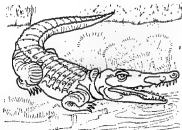
إذا دمي استكلب ، فخافه كل شيء كان يسلمه من كبار السباع . وهو يسلم الأسد ، والنمر يطالبه ، فإذا التقى الأسد النمر ، أعان البيـر الأسد . يأتي إلى ضفاف الأنهار المكسوة بالغاب الطويل أو إلى أحراش الخيزران الكثيفة . كما أنه يسكن الخراب . فائق السرعة ، لا يتعب إلا بعد وقت طويل ، وجهود مضنية . فهو في غزواته يقطع مسافات شاسعة في وقت قصير . ويخلق السباحة . ومعظم غذائه من الغزال ووحش البقر والخنزير البري ، كما يسطو على الحيوانات المنزلية . وعند الحاجة يأكل الزواحف والطيـر .

الـتـيـنـور



يألف المكان والإنسان . فهو أليف يرجع إلى صاحبه مهما غاب . لكنه لص لنم ، فإذا رمى إليه صاحب المنزل ببعض الطعام ، يحتمله احتمال المريب ، حتى يولج فيه خلف شيء يخفيه ، ثم لا يأكله إلا وهو يلتفت بنبأ وشمالاً ، وليس في الأرض خبث إلا وهو يأكلها وإناث التنانير إذا هجن ، آذنين يصباحهن الناس ليلاً نهاراً . ومن التنانير ما يأكل أولاده . اشتهر بدواته للجرذان ، وبعضها يعجزه .

القساة



مشهور بالحيرة وتقلب الهوى ، فهو لا يظهر على الأرض حتى يرجع إلى الماء ، ولا يطمس في الماء حتى يعود إلى الأرض . وحشي لا يفر فريسة .

الغزال



من ألطف حيوان البر وأرشفها ، نابي ، شديد الفرع ، سريع الركض ، لا يكاد يظهر في مكان ، يتزواج سراً . ويقال انه يحلم ، وان الله جعله زينة لحيوانات الجنة . أليف ، ربما يعقد صداقات مع غيره من الحيوانات . والمند تحكي عنه أساطير عجيبة . ويقولون إن أصله رجل أحب السفر والترحال فسخره الله إلى ظلي .

الحمامة المطوقة

تدافع عن نفسها بجناحها ، فتقودها أصابعها ، وجناحها يدها ، ورجلها القدم . وتنفرد بين الحيوان بالثقيل . شديدة البر ليضها وفرانها ونوعها . يعاون ذكرها الأنثى ، وبألف مكانه ويشاق إليه . والمطوقة تطير في جماعة . وتخاف البازي والشاهين والصقر والعقاب . تتزوج بطريقة لطيفة : يطير الذكر ويختار مكان العش ، ثم يتنادي الأنثى التي تتقدم نحوه بدلال ، وهي تجر ذيلها على الأرض . ثم يتناجان بطريقة جميلة ، ويتزوجان .



الزرافة



حسنة الخلق ، ومن طبعها التودد والتأنس . ويقال انها متولدة من ثلاثة حيوانات بين الناقة الوفية والبقرة الوحشية والضبعان ، فيقع الضبعان على الناقة فتأتي بولد بين الناقة والضبع ، فان كان الولد ذكراً وقع على البقرة فتأتي بالزرافة . مشهورة برقبته الطويلة جداً ، وبلون جلدها الجميل وبطريقة مشيتها الغريبة . لها لسان مدبب طويل تلغى حول أوراق الشجر فتترعها .

النمر



مخادع محتال . ولوع بالفتك ، وسفك الدماء . ومع ذلك فهو حذر وجل . من أشد الصواري خطراً على الحيوانات والانسان ، إذ فيه كل الصفات التي تجعله لئماً حاذقاً ، وقنصاً بشرياً . والمند تقول ان النمر مسكون بالجن ، وانه يستطيع أن يخفي عن العين ، ويظهر من خلف الانسان . ومع ذلك فهو شجاع لا يهاجم فرسته على بغية منها .



اللبؤة

تشبه الأسد ، لكنها أشد عراماً منه ، إذا طلبت الإنسان لتأكله . سيئة الخلق ، لا تصبر على جوع ، ويقال ان في المند بعضاً منها يعيش على النار . عنقها من عظم واحد . ويعيونها حمر تدرج بالليل . ومع أنها مخوفة من السباع كافة إلا أن ابن آوى كثيراً ما يكرها . تأكل الجيفة وتبدأ بفريستها فتشرب دمها ثم تفر بطنها وتأكل ما فيها . وهي تضم العظم .

البوم

يقال لها غراب الليل . وهي تدخل على كل طائر في كره وتخرجه منه ، وتأكل فراخه ويضيه . لا يحتملها شيء من الطير . فإذا رآها الطير بالنهار قتلها ، ونفن ريشها ، للعداوة التي بينهن وبينها ، ومن أجل ذلك يجعلها الصيادون تحت شباكهم ليقع هم الطير . وكل اليوم تحب الخلوة بأنفسها والتفرد . وفي أصل طبيعتها عداوة الغربان . سلاحها الأسنان ، وهي ردية النظر في النهار .



القبرة



طائر أليف يشبه الليل . صديق الصباح ، إذ لا يغرد إلا مؤذناً بانطلاق الضوء . يتخذة العشاق مندرأ لهم من غفلة العشق ، فهم يحبونه ويكرهونه . والقنبر يساعد الليل والحجلة ويضئف اليوم والغربان ويتغذى من ثمرة غريبة لا يعرفها إلا هو ، فإذا ما أهداها إلى الإنسان أسرع في تمناه وشبابه . وهو شديد الحذر لا يثق بالعودة ولا يأمن من الإنسان .

الحجلة



تبيض من سماع صوت الذكر ، أو يربح تهب من قبله . وإذا باضت ، ميز الذكر الذكور منها فحفظها ، وهي تحضن الاناث . ومن طبعه أن الذكر شديد الغيرة على الأنثى ، فلذلك إذا اجتمع ذكران اقتتلا على الأنثى ، فأيهما غلب ، ذل الآخر وتبع الأنثى الغالب منها .



الحداة

من أخص الطير ، وهي لا تصيد ، وإنما تحفظ . ومن طبيعتها أنها تقف في الطيران وهي من أحسن الطير مجاورة ، فإنها لو ماتت جوعاً لا تعدو على فراخ جيرانها . طرشاء ، وعسراء لا تحفظ إلا من شمال الإنسان . وتكون سنة ذكراً ، وسنة أنثى . والسبب في صياحها عند سفادها أن زوجها قد جحد ولدهامنه ، فاشتكت ذلك لسليان الملك ، فاستيقن منها ، ونصح لها أن لا تمكته من نفسها حتى تشبه عليه الطير ، لتلا يحمدها . فصارت إذا سفدها ، صاحت : يا أيها الطير اشبهوا .

الببغاء



أكثر أنواع الجن ثرثرة وغباء ، وقد حكم عليه ملكهم بالنفي والمسخ ، ومع ذلك يظهرن أحياناً على شكله ، ويوحون إلى الناس بلسانه . وهو طائر أليف بيتي ، يتخذة الناس تسلية في بيوتهم . شديد التقليد .

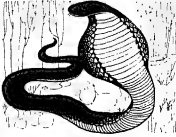
النعام



تتاج ما بين الإبل والطيور . وهي من الحيوان العجيب . ويقال إنها ليست من الطير ،
ويزعمون أنها صباء ، وليس لأذنانها حجم ، إذ يقال أنها ذهبت تطلب قرنين ، فرجعت
مقطوعة الأذنين ، لأنها تجمع سوء الفهم والنفار والشرور كلها . يخاف الذئب منها
إذا تعاون عليه الذكر والأنثى . فإنهما متى ناهضاه ركضه الذكر فرماه إلى الأنثى ،
وأصجلته الأنثى فركضته ركضة تلقيه إلى الذكر ، فلا يزالان كذلك حتى يقتلاه ،
أو يعجزهما هرباً

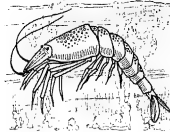
ليس بين الحيوان أشم منها . ويقال إنها تلتهم الجعر ، وتلتقم الحجارة . وهي تعرف
صورة إشارة الرتلان وإرادتها ، فتعقل ذلك وتجاوبها بما تعقل عنها من الإشارة والحركة .

الأسود



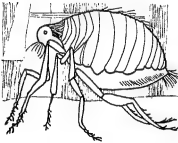
من طباعه أنه يحقد ويطلب ، ويمكن في المئاع حتى يدرك بطائلته ، وله زمان يقتل فيه كل
شيء . وله عينان يقتلها القنص لكرامتهما وندرتها ولأنهما تتحجران بعد موته .
وهو يطلب الضفادع ويحتال لأكلها ، كما يطلب فراخ الطير .

السرطان

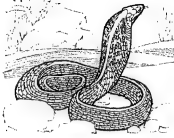


ليس من السمك . له قوائم كثيرة ، وأرجله عديدة . عيناه في ظهره ، ويستعين إذا
مشى بأسنانه . يظهر على شطوط المياه ، وكثيراً ما تتعارك فيها بينها فتفقد بعضها سيقانها ،
ولكنها سرعان ما تستبدل أخرى بها . ينضب في الربيع ، وحين تخرج صغارها تتعلق
بأرجل أمها إلى أن يتم كمالها الحقيقي .

البرغوث



من الحيوان الذي له الوئب الشديد . ومن طبيعته أنه يشب إلى ورائه ليرى من يصيده .
وهو أحذب على صورة القمل ، له أنياب يعض بها وغرطوم يمس به . ومنها البراغيث
البحرية . وللبراغيث عداوة مع القمل ، وحينما يتصادقان فترة يغدر أحدهما بصديقه .



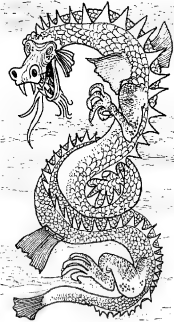
الافعى

أطول عمراً من النسر فهي لا تموت حتف أنفها ، وإنما تموت بالأمر يعرض لها . ومنهم من يقول ان فيها شياطين ومسخاً ، وإن إبليس وسوس إلى آدم وإلى حواء من جوفها . إذا قطع ذنبها نبت ثانية وتعيش في الماء إن صارت فيه بعد أن كانت برية . كذلك يقال ان القفرع منها يسرع في سريان سمها في جسد اللديخ . وهي وحشية لا تألف الإنسان . تلبع بدون مضغ ، وتهضم العظام ، وتسير على قعد الطعام ، وإذا هرمت صفرت في بدنها ، وأقنمها النسم ، ولم تنشئه الطعم .

الضفدع



لا يصبح حتى يدخل حنكه الأسفل في الماء . ولذلك لا تسمع من الضفادع تقيقاً إذا كن خارجات من الماء . والضفدع حيوان يعيش في الماء ، ويبيض في الشط ، ويتق ، فإذا أبصرت النار أمسكت . وهي من المخلوق الذي لا عظام له . والحيات تأتي منافع الماء تطلب الضفادع ، لأن صيدها من أسهل الصيد عليها . وذكروها لا تسكت عن التقيق في فترة القلاح .

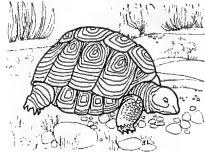


التنين

ضرب من الحيات ، كبير جداً . وهو أيضاً نوع من السمك . في فمه أنياب مثل أسنة الرماح . طويل كالنخلة السحوق أحمر العينين مثل الدم ، واسع القم والجوف ، يراق العينين بينلع كثيراً من الحيوان ، فيخافه حيوان البر والبحر . إذا تحرك بموج البحر لشدة قوته . لا يعرف كيف يتوالد ، لكنه يقال إنه يفضاج الجن في الأماكن الخالية ، فيسمع حينذاك عذيف ترزول له الأرض . كذلك يقال انه يعيش في أجواف البراكين ، وإنه حين يتشابب يذلف بالحمم . وقد كان أهل الهند القدماء يتشامون من التنين إذا رآه أحدهم في منامه ، وأنهم كانوا يخرجون جماعات في طلبه بين بطون الوديان وفي مناطق الزلازل والبراكين . وكانوا إذا رآوه يحتالون عليه بقرع الطبول ونفخ الزمائر ، لأنه إذا سمع أصواتها أصابه الناس لزمن طويل يكتفي لترع مخالبه وأسنانه ولهاثة التي تقلعت النار .

السلفحاة

يقال للذكرها غيلم . تبيض في البر ، فما نزل من بيضها في البحر كان لجأة ، وما استمر في البر كان سلفحاة . وإذا أراد الذكر السفاد ، والأُنثى لا تطيعه ، يأتي الذكر بحشيشة في فيه ، من خاصيتها أن صاحبها يكون مقبولاً ، فتقطع رأسها وتغص من ذنبها . والحية تضرب نفسها على ظهر السلفحاة على ذنب الحية ، فتقطع رأسها وتغص من ذنبها . والحية تضرب وللكرها ذكراً ، وللأنثى عرجان .



العنقاء

طير غريب . بيض بيضاً كالجبال ، ويعد في طيراته . وسميت بذلك لأنه كان في عنقها بياض كالطوق . وقيل هو طائر يكون عند مغرب . تخطف القبل .

كانت في قديم الزمان بين الناس فتأذوا منها ، إلى أن سلبت يوماً عروساً بحليها . فدعا عليها حفلة التي ، فذهب الله بها إلى بعض جزائر البحر المحيط ، وراء خط الاستواء . وهي جزيرة لا يصل إليها الناس .

عند طيران العنقاء يسمع لأجنحتها دوي كدوي الرعد القاصف . وتعيش ألفي سنة ، وتتراوح إذا مضى لها خمسمائة سنة . فإذا كان وقت يبضها يظهر بها ألم شديد .

أما الذين يطلبون صيدها ، فيوقفون ثورين ، ويعملون بينهما عجلة ، ويقبلونها بالحجارة العظيمة ، ويعملون بين يدي العجلة بيتاً يجتنب في رجل معه نار . فتزول العنقاء على الثورين لتخطفهما . فإذا نشبت أنفقاها في الثورين أو أحدهما لم تقدر على اقتلاعها ، لما عليها من الحجارة الثقيلة ، ولم تقدر على الطيران . فيخرج الرجل بالنار فيحرق أجنحتها .



ابن آوى

يلاقح الصباع والكلاب والذئاب . ويوصف قبيح الصوت . ويقال إن له صباحاً يشبه صباح الصبيان . وهو لا ينزل القفار وإنما يكون حيث يكون الريف . مشتهر بالخبث ، والحيلة والمكر . وقد تتجمع منه في فصول الأمطار أسراب كبيرة تارة جالعة تهاجم قطعان الماشية ، وتشجع الفرع بين الرعاة ، وتتلغ وتندمر أكثر مما تأكل ، كما تنقض صاخبة على الجيف فتمزقها وتأكلها .



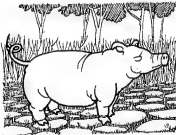
الذئب

ينام وإحدى مقلتيه مفتوحة ، فهو من أكثر الحيوان حذراً ومكراً . يشتهي الإنسان اللذي ، ويشب على الذئب الجريح . كما لا يطيل الإقامة في مكان واحد . يخرج إلى الصيد فيتنجول خلال الغابات والمزارع ويسطر على القرى والحظائر ، ومتى طلع الصبح لجأ إلى أقرب غابة يجتنب فيها . والذئاب لا تتجمع على قطع واحد ، ولا تأمن بعضها . سلاحها في شدتها ، ولها صوت قبيح . تسافد الكلبة والذئب .



الخنزير

يقاتل في زمن الفج ، ويدنو من الشجرة ، ويدلك جلده ، ثم يذهب إلى الطين والحماة ، فيطبخ به ، فإذا تساقط عاد فيه . أروغ من الثعلب ، إذا أراده الفارس ، وإذا عدا أطعم في نفسه كل شيء . وإذا طولب أعيا الخيل . يأكل الحيات ، قوي شديد الاحتال ، وربما قتل الأسد . سلاحه ناب ، قبيح الصوت ، شديد النسل . قوي السفاط طوبله .

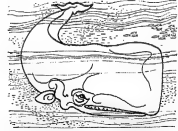


الجرذ



يُصير بالليل كيصره بالنهار ، شديدة المكر والحيلة فهي حين تعجز عن استخراج الطعام بأفواهها تخرجه بأذنانها . تعيش متآلفة ، وتتراوج ليل نهار . ومن طياع الجرذ عدواة السنور وابن عرس والقرع منها ، لكن ربما اجتمعت فدفرت لهما المكيدة القاتلة . ومنها ما ينجي الدنانير والدراهم والحلي . وبينها وبين القار قرابة ، ولا يعرف من منهما هدم سد مأرب .

الحوت



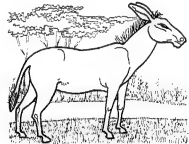
من الحيوانات البحرية النادرة ، ويقال ان آدم قبل أن ينزل على الأرض لم يكن فيها غير النسر في البر والحوت في البحر . وكان النسر يأوي إلى الحوت فيست عنده ، فلما رأى النسر آدم ذهب إلى الحوت وأخبره ، فقال : لن كنت صادقاً فأني منجى منه في البحر ، وما لك مخلص منه في البر . والحوت سلطان حيوانات الماء .



الكركي

من أعظم الطير . لها قائد وأمير . وهي لا تنام أبداً إلا في أبعد المواضع من الناس وأحرزها . كذلك لا ترى إلا فرادى فكان الذي يجمعها الذكر ، ولا يجمعها إلا أنواجاً . مقاره شنع ، وله صوت يسمع من بعيد . لا يستوحش منه الحمام لأنه أليف

الحمار



إذا شم رائحة الأسد رمى نفسه عليه من شدة الخوف ، يريد بذلك الفرار منه ، ويوصف بالهداية إلى سلوك الطرقات ، وبحدة السمع . وأثناء الأتان لا تميزها العين منه تتبعه دائماً ، وهي تقطم ولدها إذا ظلت أنه أطلق الأكل ، فتمتعه بعض المنع ، ثم لا تزال تدرجه ، حتى إذا علمت أن به غش عنها فطمته فطاماً لا رجعة فيه .

تعليقات

التحسين

ص 33 : هذا التحميد مختص بهذه النسخة والظاهر أنه من إنشاء بعض ناسخها أو مالكيها لا من كلام ابن المقفع (انظر تفصيل هذا في المقدمة) .

باب عرض الكتاب لعبد الله بن المقفع

(1) ص 37 : هذا أول مقدمة ابن المقفع التي جعل عنوانها في كثير من النسخ : « باب عرض الكتاب لعبد الله ابن المقفع » . وليس لها في أصل نسختنا عنوان . والنسخ تختلف في مكان هذه المقدمة ؛ فهي في نسخة دي سامي De Sacy والطبعات المصرية وطبعتي البازجي وطبارة ، بين باب بعثة برزويه وباب برزويه . وفي نسخة شيخو ، قبل باب الأسد والثور ، وهي فيها قصيرة جداً . وظاهر أن ترتيب نسختنا أقرب إلى الصواب ؛ لأن ابن المقفع حرى أن يضع مقدمته قبل أبواب الكتاب كله . وأما « مقدمة يهود بن سحوان » التي تصدر بها بعض النسخ فقد وضعت بعد ابن المقفع ؛ فلهاذا تخلو منها نسخ قديمة كنسختنا هذه . ثم النسخ الأخرى تتقارب فيما بينها وتحالف نسختنا في كثير من نصوص هذه المقدمة .

(2) ص 38 : النسخ الأخرى تضع هنا : « قراءة هذا الكتاب » بدل « طلب العلم » في نسختنا .

(3) ص 40 : هذه الجملة : « وحمله النوم » ليست في النسخ الأخرى . وهي ترجمة حرفية لعبارة فارسية : « خواب أورا برد » ؛ فهي من الأدلة على أن هذه النسخة أقرب إلى ترجمة ابن المقفع (انظر المقدمة) .

(4) ص 41 : في النسخ المصرية ونسختي البازجي وطبارة : « وليس للعالم أن يعيب امرأ بشيء فيه مثله ، ويكون كالأعمى الذي يعير الأعمى بعماه » . وفي نسخة حماد التي نقل عنها شيخو : « فإن خللاً ينبغي لصاحب الدنيا أن يقتبسها : منها ألا يعيب أحداً بشيء هو فيه فيكون كالأعمى ... » .

(5) ص 42 : في النسخ الأخرى أن التاجر ظن صديقه قد نسي الرداء فاستحسن أن يضع رداء صديقه على سنامه ليجده صاحبه حيث يحب .

(6) ص 42 : في النسخ الأخرى أن التاجر الآخر جاء فلم يجد عدل صاحبه . فاعتم وعزم على أن يقرمه من ماله . ثم جاء الشريك الخائن فسأل صاحبه عن حزنه فلما أخبره اعترف بما فعل . فغضب له صاحبه مثل اللص الذي أراد أن يسرق خاية مملوءة ذهباً فأخذ أخرى مملوءة برأ - وذلك تمثيل غير مستقيم ، والظاهر أن ما يزيد على ما في نسختنا من تصرف بعض القراء .

(7) ص 44 : تفصيل هذا في نسخة البازجي : « ومن كان سعيه لدنياه خاصة فحياته عليه ، ومن كان سعيه لآخرته فحياته له » .

فيها لؤلؤة فأعرض عنها حرصاً على سمكة صغيرة في شبكته.
وترَّ صياد آخر بالصدفة فأصاب فيها لؤلؤة عظيمة .

(10) ص 45 : هذه الخاتمة تذكر في نسخة اليازجي في صيغة مخالف ما هنا بعض المخالفة، ولا تذكر في النسخ الأخرى. وهي ذات قيمة في تبين الباب الذي زاده ابن المقفع (انظر المقدمة) .

(8) ص 44 : هنا تذكر النسخ الأخرى قصة « تاجر السمسم وشريكه » التي تقدمت في ص 41 وما بعدها .

(9) ص 45 : هنا تذكر النسخ الأخرى مثل ثلاثة إخوة أسرف اثنان منهم فأتلفا ماله وأحسن الآخر القيام على ماله فنفخ أخويه، ثم مثل الصياد الذي رأى صدفة فظنها لؤلؤة فترك شبكته ولها سمكة كبيرة. فلما وجد الصدفة فارغة ندم على تضييع ما في يده. ثم وجد صدفة أخرى

باب توجيه برزويه الطبيب إلى بلاد الهند

(6) ص 54 : مثل الرجاجة ليس في النسخ الأخرى .
(7) ص 54 : وضع الإشارة موضع الضمير هنا يشبه التعبير الفارسي .
(8) ص 55 : الظاهر أن عبارة : « قال برزويه » كررت في أثناء كلامه تأكيداً .

(9) ص 55 : في النسخ المصرية ونسختي اليازجي وطبارة أن هذا الهندي كان خازن الملك. ونظنها زيادة من بعض السلاخ يراد بها تفسير يمكن هذا الرجل من كتب الملك .

(10) ص 57 : في النسخ الأخرى إطناب في حديث برزويه والملك .

(11) ص 57 : في النسخ الأخرى إطناب في وصف الملك الباب الذي يضعه برزجهم، وفيها طلب الملك أن يجعل هذا الباب أول الأبواب .

(12) ص 57 : في النسخ الأخرى وصف احتفال أنو شروان بقراءة « باب برزويه » .

(1) ص 49 : لا يصدر هذا الباب بقول برزجهم إلا في نسختنا ونسخة شيخو. وفي الترجمة الفارسية لنصر الله ابن عبد الحميد، أول هذا الباب : « يقول أبو الحسن عبد الله بن المقفع ». وهذه المقدمة تأتي أثناء الباب على لسان برزويه في نسختي اليازجي وطبارة .

(2) ص 50 : هنا تنتهي مقدمة هذا الفصل التي تنفق فيه نسختنا والنسخة المصرية ونسخة شيخو بعض الاتفاق. وأما نسختنا اليازجي وطبارة فليس فيها من هذه المقدمة إلا تحميد في بضعة أسطر ثم تذكر فيها هذه المقدمة أثناء الفصل على أنها من كلام برزويه حينما اختاره كسرى للسفر .

(3) ص 50 : تنفق النسخ هنا في الحديث عن أنو شروان ولكن تختلف في السياق اختلافاً كبيراً. والعجب أن أقرب النسخ إلى نسختنا هنا النسختان اللتان تخالفان كل المخالفة في مقدمة الفصل، وهما نسختنا اليازجي وطبارة .
(4) ص 51 : في الأصل : « أدهرير »، ونظنها محرفة عن « أدهربد » أي سادن النار .

(5) ص 52 : لم يذكر اسم هذا الرجل إلا في نسختنا ونسخة شيخو. وهو في الثانية : « أدويو »

بَابُ بَرَزَوِيَّهِ الطَّبِيبِ

(6) ص 65 : كلمة «الذي» هنا تشبه أن تكون ترجمة الكلمة «كه» الفارسية، وهي تكون بمعنى الذي وتأني للتعليل والتفريع، وينبغي أن يكون موضعها هنا : فقد زعموا. وفي النسخ الأخرى: «زعموا فيه» أو «في شأنه»، وهذا تصحيح للجملة بذكر الضمير العائد على الموصول لتوافق النحو العربي .

(7) ص 69 : في النسخ الأخرى: «كما يمهّد الولد لولده»، وكأنها توضيح للجملة التي في نسختنا .

(8) ص 70 : هذه العبارة تشبه العبارة الفارسية التي يؤتى فيها باسم الإشارة ثم الموصول مفسراً له: «آن كه» .

(9) ص 70 : ليس في النسخ الأخرى تسمية القاضي ولا المدينة. ولم نجد اسم هذا القاضي في كتب الأدب العربية والفارسية .

(10) ص 74 : في نسخة اليازجي: «فأقمت على هذه الحال واتجهت إلى بلاد الهند في طلب العقاقير والأدوية ثم عدت إليها في انتساخ هذا الكتاب وانصرفت منها إلى بلادي»، وهو كلام له خطره في الدلالة على معرفة برزويه ببلاد الهند وذهابه إليها من قبل (انظر المقدمة، باب بعثة برزويه) .

(1) ص 61 : تتفق النسخ على أن هذا الباب من وضع برزهمهر، وتتفق في سياقه وعباراته أكثر مما تتفق في البابين السابقين. ونسخة شيخو تضعه بعد «باب بعثة برزويه»، وقبل «عرض الكتاب لابن المقفع». والنسخ الأخرى تضعه بعد «عرض الكتاب»، وتضع هذا بعد «باب بعثة برزويه» (انظر المقدمة) .

(2) ص 61 : في النسخ الأخرى أن أبويه أسلماه إلى المؤدب وعموه سبع سنين، فلما حذق الكتابة نظر فاختار الطب .

(3) ص 62 : في النسخ الأخرى: «وفوق في المال والجاه وغيرها مما لا يعود بصلاح ولا حسن سيرة قولاً ولا عملاً» .

(4) ص 63 : مثل الذبالة ليس في النسخ الأخرى .

(5) ص 64 : من قوله: «فلما خاصمت نفسي» إلى قوله في ص 65 : «فلما رأيت ذلك لم أجد إلى متابعة أحد منهم سبيلاً» ناقص في النسخ الأخرى إلا نسخة شيخو. وكأنه حذف لما فيه من الكلام عن الأديان وغيرها. ولهذا يرى بعض الناس أن هذا الباب كله من وضع ابن المقفع، أراد أن يشكك به الناس في الدين (انظر المقدمة) .

بَابُ الْأَسَدِ وَالشَّوَدِ

«دَقَشَرَيْن». ويسهل تحريفها في الفهلوية إلى «دبشلم». وفي بعض المخطوطات العربية: «دبسلم» و «دبشلم» .

(1) ص 81 : في السريانية الحديثة: «دَبْدَهَرَم» ويقال أنه محرف عن «دَبْشَرَم». وهو في السنسكريتية:

(11) ص 84 : توافق نسختنا في هذه الجملة :
« وجعل يحك ... الخ » النسخة السريانية الحديثة. وهي
ليست في النسخ الأخرى .

(12) ص 84 : ليس في النسخ الأخرى تسمية الأسد.
وهو في الهندية : « بنكلاك »، ومعناه الأصهب. وفي
نسختنا : « شكله »، والظاهر أنها تحريف « بنكله »، وهو
اختصار الاسم الهندي .

(13) ص 84 : « كليله » ذكر في الأصل باسم
« كركنكا ». واللام والراء في الفهولية لهما صورة واحدة .
فن السير : أن تحرف الراء إلى اللام . وكذلك لا يبعد أن
تحرف التاء إلى الياء . وأما إبدال الكاف الأخيرة هاء فهو
شائع بين الفهولية والقارسية الحديثة. و « دمنة » ذكر في
الهندية باسم « دمنك ». وهما في النسخة السريانية : « كليلك »
و « دمنك » .

(14) ص 86 : يستعمل الكاتب « السلطان » في معنى
الجمع، وهو استعمال قديم. جاء في كتاب « الكامل »
للمبرد حكاية عن الأخنف بن قيس : « ولا جئت باب
أحد من هؤلاء، يعني السلطان، ما لم أدع إليه ». وقد دعا
هذا الاستعمال بعض اللغويين إلى ادعاء أن « السلطان »
جمع « سليل ». والظاهر أن النسخ الأخرى حرفت الكلام
لتجعل السلطان مفرداً في كل المواضع. وهذا وأمثاله مما
تمتاز به نسختنا (انظر المقدمة) .

(15) ص 87 : في النسخ الأخرى، ما عدا شيخو،
وضعت كلمة « توفقك » بدل « وفقك »، والظاهر أنه
تحريف أدى إليه جهل النساخ بمعنى « الرفق » ههنا .

(16) ص 88 : في الأصل : « لقربته ». وفي النسخ
الأخرى : « لجلسائه ». والظاهر أن جهل النساخ بمعنى
« قرابين » أدى إلى تحريفها إلى « قربته » في نسختنا، وإلى
إبدالها « بجلسائه » في النسخ الأخرى. فلذلك وضعت كلمة
« قرابين » مكان « قربته » في هذا الموضع وغيره .

(17) ص 88 : في الأصل وشيخو : « يصونها ». وفي
النسخ الأخرى : « يضرها »، وقريب من هذا في السريانية
الحديثة .

(2) ص 81 : هو في السريانية الحديثة : « ندوب ».
وهو محرف عن « يدينا » أو « يديبا »، على اختلاف النسخ
العربية. ويقابله هذا الاسم في الأصل الهندي : « فشنوجرمن ».

(3) ص 81 : في نسخة شيخو : « دستبا »، وفي
النسخ الأخرى : « دستاوند ». وفي بعض المخطوطات :
« دستاباد » و « دستا »، وكأن هذا تحريف عن « دستاباد ».
وفي الهندية : « دكشباتا »، وهو اسم إقليم الدكن .

(4) ص 81 : في النسخ الأخرى : « حرفة يكسون
منها لأنفسهم خيراً ». وكان هذه الجملة وضعت موضع
جملة « تدّ عليه وعليهم » لأنها أوضح منها .

(5) ص 82 : في النسخ الأخرى : « انبثق البثق الذي
لا يصلح » .

(6) ص 82 : في النسخ الأخرى اسم الأرض :
« ميمون ». وفي السريانية : « منوا ». وفي الأصل الهندي
« منجا نثرا » : « منورا »، وهي مدينة جنوب أجرا تسمى
الآن منرا. فنسختنا أقرب إلى الأصل .

(7) ص 83 : يثبن من مقارنة المخطوطات ومن
الرجوع إلى الأصل الهندي أن « شترية » أقرب إلى الصواب
من « شترية » والصيح الأخرى .

(8) ص 83 : جاءت هذه الكلمة في المخطوطات
بصور مختلفة، وأقربها إلى الأصل الهندي : « ننده »، ولكن
النسخ العربية كلها تزيد باء في آخر الكلمة وكأنها
للمجانسة بين « شترية » و « نندية ». فأقرب الصيح إلى
الصواب بعد هذه المجانسة هي « نندية » .

(9) ص 83 : هذا المثل محكي في النسخ الأخرى
على لسان الأجير الذي أخبر التاجر أن الثور مات. وهو
ناقص في نسخة شيخو والسريانية الحديثة .

(10) ص 83 : في النسخ الأخرى أن الرجل بعد
أن أخرج من الماء رأى بيتاً مفرداً فأوى إليه فإذا جماعة
من اللصوص قد قطعوا الطريق على رجل وهم يتقسمون
ماله ويريدون قتله ... الخ .

2 - ان كلمة «البغي» وردت

أكثر من مرة في الكتاب فلم يغيرها
عزام، ولست أدري مرر بتغييرها
هنا فقط. وهل هي أكثر شناعة
من المواطن الأخرى التي وردت فيها؟
3 - ان كلمة «المكاري» التي
وضعها عزام لا تفي بالقصد، بل
هي أكثر شناعة وغموضاً من الكلمة
الأصل . (المراجع)

(24) ص 111: من «وان لم يكن هذا ..» ص 111
إلى «ساعة من نهار» صفحة 116 س 12 ، صفحات
ساقطة من الأصل. وقد أخذناها من نسخة شيخو وهي
أقرب النسخ إلى نسختنا .

(25) ص 112: في النسخ المصرية ونسخة طيارة:
«من العلل التي وضعت عليها الأقدار». وفي نسخة الألباني:
«بالعلل التي انفتحت لها». وبعبارة هذه النسخة المتقولة عن
نسخة شيخو أقرب إلى أسلوب الكتاب في مثل هذا الموضع
(انظر قوله: «ولكل سبب علة، ولكل علة مجرى» صفحة
50 س 3) .

(26) ص 118: هذه الجملة: «إنه ليس من شيء»
أشد معرفة الخ» ليست في النسخ الأخرى ما عدا شيخو.
وفي نسخة شيخو: «ليس شيء» أقل معرفة لنفسه من الإنسان.
وفي منظومة ابن الهبارية:
قد قيل أقوى الناس جمعاً مرفهه

عارفٌ قدر نفسه بلا صيفه (سقه ؟)
وفي ترجمة نصرالله بن عبد الحميد: «خويشش شنامي
نيكوست» أي معرفة النفس حسنة. ويرى القاري أن ذكر
الإنسان هنا لا يخلو من غموض

(27) ص 120: للعقاء التي تسمى بالفارسية:
«سيميرغ»، مكانة في أدب الإيرانيين والآريين عامة. (انظر
التعليقات على الترجمة العربية للشاهنامة صفحة 56 وصفحات
أخرى مبينة في الكشف وهو فهرس الأعمال) .

(18) ص 88: في الأصل: «يجوز». وفي السريانية
الحديثة: «يجب»، وهو أقرب إلى سياق الكلام فلذلك
أثبتناه هنا .

(19) ص 90: يذكر في النسخ الأخرى الأمران
الأول والثاني فقط، وفي شيخو: «المتكلم على المتكلم» بدل
«القليل على القليل». وكأن هذا نشأ من تحريف كلمة
«القليل» إلى «القليل» بالقاف. وفي السريانية الحديثة:
«الرجال على الرجال، والقبيلة على القبيلة، والمعلمين على
المعلمين» .

قلت: ولقد اخترت «القليل»
هنا لاطرادها مع السياق، ولأن
المفاضلة هنا بين العاقلين. وأظن أن
الدكتور عزام رحمه الله قد غفل
عن معنى القليل هنا مما حفزه إلى
إهمالها . (المراجع)

(20) ص 92: في النسخ الأخرى إلا شيخو، أن
دمنة قال للأسد: ليس من كل الأصوات تجب الهيبة.
فقال الأسد: وما مثل ذلك ؟ قصص دمنة مثل التعلب
والطبل. وظاهر أن ما هنا أقرب إلى سياق الكتاب؛ أعني
أن دمنة يشير إلى المثل، والأسد يطلب منه أن يقصه .

(21) ص 98: في النسخ الأخرى: «فإن إفراطه
في أمر الثور» أو «...» في تقريب الثور .

(22) ص 102: جملة «وأنا أفرق منه» مأخوذة من
شيخو لتصحيح سياق الكلام. وبعبارة شيخو: «هذا مكان
الأسد وأنا أفرق منه إلا أن تحملي في حضنك فلا أخافه
حتى أريكه» .

(23) ص 110: في الأصل ونسخة شيخو: «مثل
البغي» كلما ذهب واحد جاء آخر مكانه»، وقد غيرنا
العبارة لشاعتها .

وقد أعدت الكلمة إلى أصلها

لعدة أسباب :

1 - أمانة مع الأصل .

والأسود، ليسا في النسخ المصرية ونسخة طبارة .

(31) ص 124: في الأصل: «انظر إلى جحر ابن عرس ... الخ». وقد صححته بما يوافق سياق الكلام ويفهم من النسخ الأخرى .

(32) ص 128: ليس في النسخ الأخرى تسمية الأرض، ولكن فيها: «أرض كذا». وكذلك يحذف من النسخ الأخرى كثير من أسماء البلاد والأشخاص. وفي هذا تمتاز نسختنا أيضاً .

(33) ص 130: هذه الخاتمة تنفرد بها نسختنا

وانظر أيضاً «منطق الطير»

لفريد الدين العطار .

(المراجع)

(28) ص 121: ذكر «التاسيح» هنا ليس مستغرباً؛ فإن أنهار الهند فيها تماسيح حتى ظن بعض القدماء أن نهر السند والنيل متصلان، لما في السند من تماسيح .

(29) ص 124: في عبارة الأصل هنا خلل ونقص تداركتهما من النسخ الأخرى. وعبارة الأصل: «أني كنت توجب أعظم ما أقدر عليه من الروح خوفاً حتى أصيبه» .

(30) ص 124: محاورة الخب وأبيه، وبشكل العلجوم

بَابُ الْفَحْصِ عَنْ أَمْرِ دِمْنَةِ

(3) ص 136: في الأصل: «فان الكاتم لدم المعرج في رقع منتفع شره إياه فيه». وهي عبارة محرقة مختلفة، وقد صححتها جهد الطاقة في العبارة التي هنا .

(4) ص 136: سقطت في نسختنا الكلمات التي بين «أخبرها» و «فأخبرته». فنداركناها من شيخو على قدر الضرورة .

(5) ص 138: وُضِعَ اسم الإشارة موضع الضمير في قوله: «فتونا يغلب على أكثر ذلك الخطأ» يشبه التعبير الفارسي .

(6) ص 138: كان في الأصل: «رغبة الملك» بالأفراد مع إعادة الضمير جمعاً فيما بعده. وليس هذا بعيداً من أسلوب الكتاب وأساليب الفرس ولكن لم نثق بعبارة الكتاب لكثرة تحريفها فغيرنا كلمة «الملك» إلى

(1) ص 133: هذا الباب يحسب من زيادات النسخة العربية لكتاب «كلیلة ودمنة» فهو لا يعرف في الأصل الهندي ولا الترجمة السريانية القديمة، ويظن بعض الباحثين أنه لم يكن في الترجمة الفهلوية أيضاً (انظر المقدمة) .

(2) ص 133: في النسخة السريانية الحديثة يطول سؤال الملك فينضمّن الاستفهام عن موضوع الباب كله: كيف أتهم دمنة وكيف دافع عن نفسه وكيف عُرف أمره وكيف عوقب. ونسختنا أوجز من النسخ الأخرى في هذا السؤال كما أنها لا تشير في آخر الباب السابق إلى موضوع هذا الباب .

قلت: في الباب اشارات عدة تدل على أن واضعه مسلم، انظر مثلاً التعليق رقم (7) .

(المراجع)

«الملوك»، مجارة للنسخ الأخرى. ولعلها كانت في الأصل: «السلطان» وهو يستعمل جمعاً في هذا الكتاب .

(7) ص 139 : كلمة «إسلام» ليست في النسخ الأخرى ولعلها من سهو واضع هذا الباب. وربما تعدّ من الأدلة على أن هذا الباب موضوع في العربية ابتداء (انظر المقدمة) .

(8) ص 140 : في نسخة شيخو اسم المدينة : «ثائرون»، واسم التاجر : «حبل». وليس في النسخ الأخرى العربية تسمية المدينة ولا التاجر. واسم التاجر في السريانية : «بكتريزيب» .

(9) ص 145 : إن لم تكن «منه» محرفة عن «عنه» فهي ترجمة الكلمة الفارسية «أز» التي تأتي بمعنى من وعن وتستعمل في مثل هذا التركيب (انظر صفحة 150 س 18)

(10) ص 146 : في النسخة السريانية الحديثة : «في مدينة ساحلية من مدن الحبشة». ونسخة شيخو توافق نسختنا. وليس في النسخ الأخرى تسمية المكان .

(11) ص 147 : في شيخو والسريانية : «فكلم صاحب المائدة». وفي ابن الهبارية : «الخياز». وفي النسخ الأخرى : «سيد الخنازير». واتفقت النسخ على أنه صاحب المائدة. ونحسب أن عمله هذا قد يبرّر أن تحرف «الخنازير» إلى «الخيازين»، والكلمتان متشابهتان خطأ .

(12) ص 149 : اسم المدينة في نسخة شيخو : «بورخشت». وليس في النسخ الأخرى تسمية المدينة. وفي النسخة العربية : «مروات» .

(13) ص 150 : ليس في النسخ الأخرى تسمية هذا الأمين. وفي نسختي اليانزي وطبارة والنسخ المصرية أنه

«شعهر» كان الملك اثنمه. وفي العربية : «شهرج». ويظهر أن «شعهر» في النسخ الأخرى محرف عن هذا الاسم .

(14) ص 150 : في النسخة السريانية الحديثة والنسخ الأخرى : «رؤبه» بدل «فيروز». وهذا اختلاف جدير بالنظر، فإن ابن المقفع فيما يقال كان اسمه «رؤبه». والظاهر أنه لا يستحسن وضع اسمه في مثل هذه القصة. «فيروز» أقرب إلى الصواب من «رؤبه» هنا. وقصة فيروز هذه ليست في نسخة شيخو .

(15) ص 150 : وهذا مثل آخر من استعمال هذه العبارة : «يذكر منه»، وهي شبيهة بالتعبير الفارسي .

(16) ص 152 : في السريانية : «مأزب». وليس في النسخ الأخرى تسمية المدينة. والقصة كلها ناقصة في شيخو .

(17) ص 153 : «البازيار» كلمة فارسية معناها القائم على البراة المعدة للصيد.

(18) ص 153 : في النسخ الأخرى أن صاحب الدار سأل الضيوف عما يقول البعاوان فامتنعوا أن يجيروهم فألح عليهم حتى أخرجوه. والنسخة السريانية الحديثة توافق نسختنا .

(19) ص 156 : من قوله «ولما شهد النمر» إلى قوله «فلما كررت أم الأسد» منقول من نسخة شيخو، وهو موافق للنسخ كلها. وهو مقتضى سياق القصة فقد أراد واضعها أن يأتي بشاهدين على إقرار دمنة بذنبه. ولذلك نجد في النسخ الأخرى أن الأسد سأل النمر والسيح : ما منعكما من الشهادة ؟ فاعتذرا بأن شهادة الواحد لا توجب حكماً. وفي نسخة شيخو أن الذي مثل هذا السؤال هو السبع المسجون وحده .

بَابُ الْحَمَامَةِ الْمُطَوَّقَةِ

الفأر في الأصل الهندي: «هَرِيَاكَا» .

(4) ص 160: ليس في شيخو وابن الهبارية تسمية المدينة. وفي السريانية: «مَارْزُب». ويرى رَئِيتُ أنها محرفة عن «مهراروب» أو «ماهلاروبيا» التي تقدمت في رقم (1) من هذا الباب. وفي النسخة الفارسية لنصر الله بن عبد الحميد: «مدينة نيشابور»، وظاهر أنه تغيير من النسخ. يقارن هذا الاسم بفاروات (ص 152) وماروات (ص 159).

(1) ص 159: في النسخ الأخرى: «أرض سكاوندسجين عند مدينة داهر». وقد وقع في النسخ العربية والسريانية تحريف كثير في هذين الاسمين. وأصلهما في السنسكريتية: «دكشيناباتا» و«ماهلاروبيا» (انظر مقدمة النسخة السريانية لَرِئِيتُ The Book of Kalilah and Dimnah ص XVIII). وليس في شيخو تسمية الأرض ولا المدينة.

(2) ص 159: ليس في النسخ الأخرى تسمية الغراب.

(3) ص 160: «زيرك» بالفارسية: الذكي. واسم

بَابُ السُّبُومِ وَالْفَرْدِيَانِ

(1) ص 186: ليس في النسخ الأخرى تسمية الشجرة.

(2) ص 186: في الأصل: «فاذا أقبل عدونا لقينا» حتى نصيب منه غرة». ويظهر من قول الوزير الثالث في هذه الصفحة: «ولعمري ما مدافعة الأيام والليالي ... الخ» أنه سقطت جملة فيها ذكر المدافعة. لذلك أخذنا من نسخة شيخو ما يستقيم به السياق. وهذه الزيادة في النسخ الأخرى أيضاً.

(3) ص 188: همنا بأن نحذف «يكن» من هذه الجملة ثم رأينا أنها تشبه أن تكون من أثر الترجمة الفارسية. فان استعمال الفعل «يكن» مأثور في مثل هذا التركيب بالفارسية.

(4) ص 188: هذه الجملة: «ومن يواكل القيل

يواكل الحيف» من عجائب التحريف في هذا الكتاب فهي في شيخو: «من يرى كل القتل يرى الخير». وفي نسختنا: «من يرا كل القتل يرا كل الحيف». وقد رجعنا إلى السريانية فاذا فيها: «من يقارب القيل يهرب من نفسه». فحزنا أن «القتل» محرفة عن «القيل»، ورجعنا إلى ابن الهبارية فاذا فيها:

فان من واكل فيلا هائل

فللبلاء والشقاء واكبلا

فعرفنا أن «براكل» محرفة عن «يواكل» وصححنا الجملة. وفي الترجمة الفارسية: «هركه باييل در آويزد زير آيد» أي من يتعلق بالليل يصرع.

(5) ص 188: في الأصل: «لم يقيض المختال ولا للحسب». وفي شيخو: «لم يقيض للجهاج ولا للحسب».

تنصيدها الحدة فلا نجد فيها خيراً. والظاهر أنها محرفة عما في النسخ الأخرى: «زئمة العتر التي يحصها الجدي وهو يحسبها حلمة الضرع فلا يصادف فيها خيراً».

وكلتا العبارتين محرفة. وقد عرفنا بمعونة النسخة الفارسية أن الصواب ما أثبتناه هنا.

(6) ص 216 : في شيخو: «مثل زئمة العتر التي

بَاب الْقِرْدِ وَالْقَيْسَمِ

(2) ص 220 : في السريانية أن زوج الغليم كتب إليه أنها مريضة شُفِيّة على الموت، وأن القرد أشار عليه أن يلتبس لها الدواء ويذهب إليها.

(3) ص 223 : في الأصل: «فلما رأى القرد احتباس الغليم قد رجع عما كان عليه». وقد تداركنا السقوط من النسخ الأخرى.

(1) ص 219 : في النسخ الأخرى ما عدا شيخو: «ماهر». وفي شيخو: «قاردين» وهو تحريف «قاردين». وفي السريانية الحديثة: «باردين»، وتبريها: «قاردين» كما في نسختنا. وفي السريانية القديمة: «بوليكيك». وفي السنسكريتية: «ركنا موخا». فالاسم «قاردين» تنفق عليه نسختنا وشيخو والسريانية الحديثة.

بَابُ إِبِلَادٍ وَإِيرَاخْتٍ وَشَادَرَمَ مَلِكِ الْهِنْدِ

الأخرى العربية: «باب إيلاد وبلاذ وإيراخت». وفي ابن الجبارية: «باب هيلار ملك الهند ووزيره بيلار». وفي السريانية: «باب بيلار الحكم».

(1) ص 238 : في النسخ اختلاف في أسماء الملكة وابنها والكتاب الخ. فن شاء فليرجع إلى ترجمة فلكنر صفحة ٣٠٤ ومقدمة رُيْتُ للنسخة السريانية صفحة XXX. «إيراخت» تسمى في النسخة السريانية الحديثة «إيلار» ولا يبعد أن يكون محرفاً عن «إيراخت» في الخط الفهلوي.

(٥) ص 237 : هذا الباب مؤخر عن هذا الموضوع في النسخ الأخرى إلا في نسخة شيخو. يفصل بينه وبين «باب الناسك وابن عرس» ثلاثة أبواب في النسخ المصرية، وأربعة في نسختي البازجي وطبارة. وهنا يبدأ اختلاف النسخ في ترتيب الأبواب، بعد اتفاقها على الأبواب الخمسة التي يتضمنها الأصل الهندي «بنجا تنرا» (انظر المقدمة). وعنوان هذا الباب في الأصل: «باب ابلاد وبلاذ وشادرم»، وقد وضعنا «إيراخت» بدل «بلاذ» مراعاة لثن الكتاب. وفي شيخو: «باب إيلاد وشادرم وإيراخت». وفي النسخ

فيها أثر محاكاة التعبير الفارسي الذي يحذف فيه عائد
الموصول .

(11) ص 244 : هي في شيخو : « كورقناه » . وفي
نسخة دي ساسي والنسخ الأخرى المطبوعة : « حورقناه » .
وفي بعض النسخ : « جورقناه » . وفي السريانية الحديثة :
« كُلباه » . والظاهر أن الصواب : « كُلبناه » . وأقرب صيغة
هذه ، بعد النظر إلى الخط القهولوي وإلى التعريب ، هي
« جوربناه » كما في نسختنا . وما في النسخ الأخرى محرف
عنها .

(12) ص 252 : عطفت « يدفعها » على « تسقط »
غير مستقيم في المعنى . وفي شيخو : « يقول إن سقطت
السماء حبستها برجلي » .

(13) ص 254 : في الأصل : « ستة نفر » ، ولكن
مقتضى السياق وموافقة النسخ الأخرى يجعلها « سبعة » .

(14) ص 254 : ليس في نسختنا الجملتان اللتان
فيهما « الغضب » و « الهَم » من هذه الأشياء السبعة . والظاهر
أنهما سقطتا ، وقد نقلناهما عن شيخو لتمام العدد .

والابن « جوير » يسمى في السريانية : « جور » ، وهو في
السنسكريتي : « جوبالا » .

(2) ص 238 : في الأصل ونسخة شيخو وابن الهبارية
والنسخ الأخرى : « كال » ولكن يبين من كلام رُبْتُ أن
أصله « كاك » ، وأن تعريبه « كاك » .

(3) ص 238 : في الأصل : « كيانايون » على
اختلاف الإعجام أثناء الباب . وفي شيخو : « كنان ابزون » .
وفي ابن الهبارية : « كيار » ، وهو اختصار « كياريون »
الذي في النسخ الأخرى . وفي السريانية القديمة : « كتاريون » .
وفي الحديثة ما في القديمة ، وأحياناً « كيارون » و « كياريون » .
والأصل السنسكريتي : « ماها كاتايانا » فأصبح قراءة للصورة
التي في نسختنا هي « كتاياريون » .

(4, 5, 6, 7, 8, 9) ص 242 : في
هذه الأسماء اختلاف كثير في النسخ وقد وضع لها رُبْتُ
جدولاً فليرجع إليه (ص XXII) من مقدمة النسخة السريانية
الحديثة) .

(10) ص 242 : عبارة « الهدايا التي قال كتاياريون »

تَابِ مِهْرَايَزْ مَلَكُ الْجَزْدَانِ

(3) ص 261 : اسم هذا الوزير في ملحق شيخو :
« زودامه » .

(4) ص 263 : هذا المثل عرف في الأدب العربي
في عهد بشار بن برد الشاعر . وقد نظمته حين اقترح عليه
ذلك :

فصرت كالعير غدا طالباً

قرناً فلم يرجع بأذنين

(1) ص 261 : هذا الباب ليس في النسخ المطبوعة
ولا النسخة السريانية . وقد ألحقه شيخو بنسخته . ولغته
وأسلوبه يشهدان أنه ليس من كتابة ابن المقفع . وإنما
أثبتناه محافظة على النسخة التي اخترناها للطبع . وتوطئة
للبحث في أبواب الكتاب الأصلية والزائدة . وأيقينا عباراته
السقيمة على حالها إلا ما كان محرفاً .

(2) ص 261 : في ملحق شيخو اسم الأرض :
« دوزان » . واسم المدينة « ابدزينون » .

بَابُ السَّنُورِ وَالْجُرْدِ

(2) ص 272 : في النسخة السريانية الحديثة اسم القط: «روبي»، واسم القار: «أفريديون». وفي السريانية القديمة: «بريد» و «روما».

(3) ص 278 : ما بين كلمة «الاسترسال» في هذا السطر والذي قبله، ساقط من نسختنا، وقد نقلناه عن نسخة شيوخ.

(1) ص 272 : هذا الباب مذكور في «المهاجرات». واسم الشجرة التي في أصلها جحرا الجرذ والسنور، في النسخة السريانية الحديثة: «بيروز»، وفي القديمة: «بيرات». وبين هذين الاسمين واسم الشجرة التي ذكرت في نسختنا (باب اليوم والغربان ص 185) مشابهة. وكأن أحد الاسمين محرف عن الآخر أو هما محرفان عن أصل واحد.

بَابُ الْمَلِكِ وَالطَّبِيقَةِ

النسخ العربية، أن هذا الملك كان في كشمير. وكأنها محرفة أو مبذلة من الاسم الذي في السريانية القديمة: «كامليا». واسم الملك في النسخ العربية المطبوعة: «بريدون». وفي الفارسية: «ابن مدين». وفي السريانية الحديثة: «برمزير». وفي القديمة: «برمشيرين». وينظن أن هذه الصيغ كلها ترجع إلى السنسكريتية: «برهمدنتا». ومن البين أن أقرب الأسماء إلى الأصل السنسكريتي ما في نسختنا: «برمود». وتوافقها منظومة ابن الهباري:

قال نعم كان كشمير
ألك المعظم المحمود

(1) ص 281 : هذه القصة مذكورة في «المهاجرات». واسم الطائر في النسخ الأخرى: «فزة» أو «فزة» أو «فزة»، غير مشكول. وهو في النسخة السريانية الحديثة: «بزه»، وفي القديمة: «بيزوه»، وهي صيغ أدى إليها التحريف. وأصلها في السنسكريتية: «پوزاني». و «فزة» أقرب الصيغ إلى الأصل؛ ولكننا لم نشأ تغيير الاسم «فزة» الذي في نسختنا لأنه قديم يرجع إلى عصر ابن الهباري على الأقل. جاء في منظومة «كليلة ودمنة» لهذا الشاعر:

طير يريسه يسمى قهره
كدمية في حائط مصوره

(2) ص 281 : في النسخة السريانية الحديثة وبعض

باب الأسد وأبن آوى

(3) ص 296 : جملة «لم يزل ذلك عادةً الارذال والانذال حسدُ أهل المروءة» فيها رائحة العبارة الفارسية؛ يؤتى باسم الإشارة ثم يفسر .

(1) ص 290 : جملة «ثم عليهم - مبيتاً» ساقطة من الأصل، ونقلت عن شيخو .

(2) ص 290 : «وإنما صحبتكم بنفسي» كذلك جاءت في النسخ الأخرى، والأشبه بالصواب ما في المنظومة:
وإنما صحبتكم يحسي
ليس بقلبي وبصدق عزمي

باب الكاشح والضوّاع

(2) ص 306 : اسم هذه المدينة في النسخ العربية المطبوعة إلا نسخة شيخو: «نواديرخت». وليست مسماة في السريانية .

(3) ص 309 : «فلما سمع الملك ذلك من ابنه: أنّ شفاقي»، في الجمع بين «ذلك» و «أن» في هذه الجملة محاكاة للعبارة الفارسية. وقد تقدم أمثال هذا (انظر المقدمة) .

(1) ص 306 : «وأخذ ابن عرس فأدخله في كمة والطير فوضعه على يده» هذه الجملة ليست في نسختنا وقد نقلناها من شيخو بعد تصحيحها، لأن السياق يقتضيها ولأن النسخ متفقة على معناها. والمراد أن الإنسان قد يحنر الناس ويأمن الحيوان فيدخله في كمة أو يضعه على يده. وفي البازنجي: «وأخذ ابن عرس فأدخله في كمة وأخرجه من الآخر وأخذ الطير الجارح فوضعه على يده، فإذا صاد شيئاً أبقى له منه نصيباً» . وقريب منه في طيارة والمصرية .

بَابُ ابْنِ الْمَلِكِ وَاصْحَابِهِ

لا اتفاق النسخ على هذا الحرف. وليس في السريانية تسمية للمدينة .

(3) ص 315 : «سأله رجل فقال» هذه الجملة تكبر بالتعبير الفارسي: «بر سیده گفت» .

(4) ص 315 : اسم المدينة في نسخة شيخو: «قروناد». وفي النسخ الأخرى: «قوربان»، وليست مسماة في السريانية .

(5) ص 316 : «تركوا التاج على رأسه» استعمال «تركوا» هنا يشبه التعبير الفارسي «كذاشتند» .

(1) ص 313 : « وإنما يريدان أدنى علة الخ » ليس في النسخ المطبوعة هذه الجملة أو ما يقابلها. وفي نسخة شيخو: «فإنما يريدان عليه فيميلان صاحبه أو يهلكانه». وفي نسختنا: «يريدان أدنا عله». وهي محرفة عن «يريدان أدنى عله». ودليل هذا ما في منظومة ابن الهبارية: لكنه يريد أدنى سبب

وموجب يوجب كل موجب

(2) ص 313 : اسم المدينة في النسخ الأخرى إلا نسخة شيخو: «مطرون». وفي شيخو: «مطرون». وفي منظومة ابن الهبارية: «قطون». وفي الفارسية: «نسلور». وفي نسختنا: «مطرون». والظاهر أن الراء فيها محرفة عن الواو

بَابُ اللَّبْؤَةِ وَالشَّعْهَرِ

عرض له قبل أن ينزل به وبأل ما صنع لم يسلم في كل مرة». ونسخة طيارة والنسخ المصرية توافق نسختنا في المعنى. فاختلاف النسخ بين كلمة «منية» و «فتنة»، وكلمة «اعتبر» و «اغتر» .

(3) ص 323 : في الأصل: «يجد مثله أو أمثل منه». وفي شيخو: «أو أفضل منه». وقد رجحنا رواية شيخو لأن «أفضل» ربما تدل على الزيادة فقط، و «أمثل» لا يقال إلا في الخير .

(1) ص 321: في النسخ كلها إلا نسخة طيارة: «الشعهر». ولم أجده في كتب اللغة. وفي نسخة طيارة: «الشعر». وهو كما في كتب اللغة، ضرب من بنات آوى. وهذا الباب ناقص من منظومة ابن الهبارية .

(2) ص 321 : في الأصل : «اعتبروهم الآخرون». وفي نسخة شيخو: «فإن سلم بعضهم من بعض لفتنة عرضت قبل نزول وبال ما صنعوا اغتر بهم الآخرون». وفي نسخة البازنجي: «وإن سلم بعضهم من ضرر بعض باتفاق

الفهرس

الصفحة

5 - 5	• تصدير - للدكتور أحمد طالب الإبراهيمي
7 - 7	• مقدمة للدكتور عبد الوهاب عزام
35 - 35	• عرض الكتاب لعبد الله بن المقفع
38 - 38	• مثل الرجل والكثر
38 - 38	• مثل طالب العلم والصحيفة الصفراء
40 - 40	• مثل الرجل المتواني والسارق
42 - 42	• مثل بائع السمسم وشريكه
42 - 42	• مثل الرجل الفقير والبارق
47 - 47	• باب توجيه كسرى أنوشروان برزويه إلى بلاد الهند
59 - 59	• باب برزويه الطبيب من كلام بزرجمهر بن البختگان
65 - 65	• مثل المصدق المخدوع
69 - 69	• مثل التاجر وثاقب الجوهر
70 - 70	• مثل شهوات الدنيا ولذاتها
70 - 70	• بلاء الدنيا وعذابها
74 - 74	• مثل رجل ألبأه الخوف إلى بئر
77 - 77	• كلية ودمنة
78 - 78	• أبواب الكتاب

الصفحة

79 - ٧٩	• باب الأسد والثور
83 - ٨٣	• مثل الرجل الهارب من الذئب
84 - ٨٤	• مثل القرد والتجار
92 - ٩٢	• مثل الثعلب والطيء
94 - ٩٤	• مثل الناسك واللص
94 - ٩٤	• مثل المرأة الفاجرة وجاريته
95 - ٩٥	• مثل امرأة الإسكاف وجارتها
99 - ٩٩	• مثل الغراب والأسود
100 - ١٠٠	• مثل العلجوم والسرطان
101 - ١٠١	• مثل الأرنب والأسد
105 - ١٠٥	• مثل السمكات الثلاث
107 - ١٠٧	• مثل القملة والبرغوث
114 - ١١٤	• مثل الذئب والغراب وابن آوى والجمال
118 - ١١٨	• مثل وكيل البحر والبطوى
118 - ١١٨	• مثل السلحفاة والبطنين
123 - ١٢٣	• مثل القردة والبراعة
124 - ١٢٤	• مثل الخب والمغفل
124 - ١٢٤	• مثل العلجوم والأسود وابن عرس
128 - ١٢٨	• مثل الجرذان وتاجر الحديد
131 - ١٣١	• باب الفحص عن أمر دمة
140 - ١٤٠	• مثل المرأة وعبيدها
146 - ١٤٦	• مثل الطبيب الجاهل المتكلف
149 - ١٤٩	• مثل الحراث وامراتيه العاريتين
153 - ١٥٣	• مثل المرزبان وامراته والبازيار
157 - ١٥٧	• باب الحمامة المطوقة
166 - ١٦٦	• مثل الجرذ والناسك والضيف

الصفحة

١٦٨-168	• مثل المرأة التي باعت سمساً مقشوراً بغير مقشور
١٦٨-168	• مثل الصياد والظبي والخنزير والذئب
١٧١-171	• مثل الجرذ صاحب الدنانير وأصحابه
١٧٢-172	• مثل من لا مال له
١٧٧-177	• مثل الظبي والغراب والسلحفاة والجرذ
١٨٣-183	• باب اليوم والغربان
١٩١-191	• مثل الأرنب وملك القبيلة
١٩٤-194	• مثل الصفرد والأرنب والسنور
١٩٨-198	• مثل الناسك والمكرة والعريض
٢٠٠-200	• مثل التاجر وامرأته والشارق
٢٠٤-204	• مثل الناسك واللص والشیطان
٢٠٤-204	• مثل التجار وامرأته وخليها
٢٠٦-206	• مثل الناسك والفأرة التي تحولت إلى جارية
٢١٣-213	• مثل الأسود وملك الضفادع
٢١٧-217	• باب القرد والغليم
٢٢٦-226	• مثل الأسد وابن آوى والحمار
٢٢٩-229	• باب الناسك وابن عرس
٢٣٢-232	• مثل الناسك وجرة السمن والعسل
٢٣٥-235	• باب ابلاد وايرانخت وشادرم ملك الهند
٢٤٦-246	• مثل الحمامتين والحب
٢٥٩-259	• باب مهرانز ملك الجرذان
٢٦٣-263	• مثل الملك والنقب
٢٦٤-264	• مثل الحمار الذي التمس قرنين فذهبت أذناه
٢٦٩-269	• باب السنور والجرذ
٢٧٩-279	• باب الملك والظير قبرة
٢٨٧-287	• باب الأسد وابن آوى

الصفحة

303-303	• باب السائح والصواغ
311-311	• باب ابن الملك وأصحابه
319-319	• باب اللبوة والشمهر
327-327	• باب الناسك والضيف
331-331	• مثل الغراب الذي أراد أن يدرج كالحجلة
333-333	• باب الحمامة والتعلب ومالك الحزين
339-339	• التعريفات
349-349	• التعليقات
363-363	• الفهرس
367-367	• «وبعد» . كلمة الختام للأستاذ محمد المعلم

وبعد ...

فهذا العمل الأدبي الفني الكبير ، إنما جاء نتيجة جهود صادقة مضنية ، تصافرت وتآزرت طوال عامين كاملين ، تخطَّط وتجرب ، وتقابل وتدقق ، ثم تمضي في التنفيذ باذلة فيه ومنفقة عليه ما لا عهد للنشر العربي به ، مما حقق هذا المستوى الرفيع الذي لم يسبق له مثيل في مكتبتنا العربية ، والذي يمكن أن يقف واثقاً أمام أروع ما تقدمه دور النشر العالمية من أعمال أدبية وفنية قيمة .

ويرجع فضل المبادرة في هذا العمل إلى الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر . وقد أسعد دار الشروق أن تشاركها الإيمان به وطموحها فيه . وتمضيان معاً في عمل جاد دؤوب ، تختاران الأفضل والأقدر والأمثل .. لا تضنان بجهد أو وقت أو مال .. إلى أن جاء هذا الكتاب - ذو القيمة التاريخية والعلمية - بهذه الدقة والعناية من حيث النص الذي هو أقدم وأكمل وأصح نص لكليلة ودمنة ، وبهذه الجودة والروعة من حيث الإخراج الذي أخذنا فيه بأحدث فنون العصر فبلغ المستوى العالمي في جميع نواحيه : التصميم ، والرسوم ، والطباعة ، والتجليد .

وقد تضمنت هذه الطبعة باباً جديداً وطريفاً يقدم لأول مرة .. يُعرف بالحيوانات والطيور التي جاءت في أمثال الكتاب وقصصه كما كان يتصورها الأقدمون . وقد انتقينا مادته من عدد من أمهات الكتب العربية القديمة .

وإننا إذ نحمد الله على عونه وتوفيقه لنا في تقديم هذا العمل بهذا المستوى ، ندعوه - جلَّت قدرته - أن يهبنا العون والتوفيق لمتابعة الخطى ومواصلة الجهد المشترك لتطوير كتابنا العربي ، والارتقاء به ، وتقديمه بأسلوب العصر وفي مستواه .

إنه نعم المولى ونعم النصير .

المعلم
موسى

شَمَّ بِعَوْنِ اللَّهِ طَبَعَ هَذَا الْكِتَابُ
فِي مَطْبَاعِ الشُّرُوقِ - بَيْرُوتَ
١٩٨١م - ١٤٠١هـ

